


هذا
كتاب
هز القحوف في شرح
قصيدة أبي شادوف
للعلامة الشيخ يوسف
ابن محمد بن عبد الجواد
ابن خضر الشربيني
رحمه الله تعالى
وعفا عنا وعنه
آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرف نوع الانسان بنطق اللسان * وخصه بعموم الفضل والامتنان * وهيأه لادراك حقائق المعرفة والبيان * وتوجه بتاج الكرامة والبراعة والاتقان * وجعل الطبائع مختلفة والاخلاق متباينة على ممر الازمان * وميز صاحب الذوق السليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان * وخص اضداده بسوء الخلق وكثافة الطبع كعوام الريف اراذل البلدان * والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من افضل جرثومة العرب من عدنان * المخصوص بجوامع الكلم ولوامع التبيان * وعلى آله واصحابه الذين جعلهم الله لاقتطاف جواهر العلم افنان * صلاة وسلاما دائمين متلازمين فى كل وقت واوان * وبعد فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه إن مما مرّ علي من نظم شعر الارياف * الموصوف بكثافة اللفظ بلا اختلاف * المشابه فى رسمه لطين الجوالس وجرى ذكره فى بعض المجالس * قصيد ابى شادوف * المحاكى لبعر الخروف وطين الجروف * فوجدته قصيدا يا له من قصيد * كأنه عمل من حديد * او رص من قحوف الجريد * فالتمس منى من لا تسعنى مخالفته * ولا يمكننى الا طاعته * ان اضع عليه شرحا كريش الفراخ * او غبار العفاش وزوابع السباخ * يحل الفاظه السخيمه * ويبين معانيه الذميمه * ويكشف القناع عن وجه لغاته الفشروية * ومصادره الفشكلية * ومعانيه الركيكه * ومبانيه الدكيكه * ومقاصده العبيطة * والفاظه المويطه * وان اتمه بحكايات غريبه * ومسائل هبالية عجيبه * وان اتحفه بشرح لغات الارياف * التى هى فى معنى ضراط النمل بلا اختلاف * واشعارهم المغترفة

من بحر التخابيط * واشتماله على بعض كلماتها التي هي في الصفات تشبه الشرا * ووقائع وقعت لبعضهم باتفاق * في القاهرة ومصر وثغر بولاق * وذكر فقهائهم الجهال * وعلمهم الذي يشبه ماء النخال * وفقرائهم الاجلاف * واحوال الاوباش منهم والاطراف * وذكر نسائهم عند المراش * وملاعبتهن في الفراش * التي هي شبيه نط القرود * او بربرة الهنود * وان اورد بعض كلام المتن بحيث اذا ذقته ايها السامع يحكي طعم البول * واذا اقتطفت من يانع ثمار لفظه ايها الناظر فكأنك قد قطعت زبل الغول * واذا نظرت الى اشعاره فكانها رص القلقاس * واذا تأملت عفاشة كلامه فكأنك تلوك زبل الخيل * وان اصرح فيه ببعض نكتات غزلية * وحكم هبالية * على سبيل المجون والخلاعة * والدبدبة والصقاعة * حتى يشتهر شرح هذا القصيد * من دمياط الى الصعيد * وارجو ان لا يخلو منه اقليم بل ولا بلد من بلاد العبيد * وقل ان يخلو سامعه من تواتر الالفاظ التي كالولايش * وربما اعترى قارئه ضرب من الطراش * فهو ان مر على المسامع يمر كالريح * وان مجه الطبع كالمرض للصحيح * كما قال الشاعر الفصيح * الملتقط شعره من الدر الوضيح *

اذا حققت ان اللفظ صوت * وان الصوت معنى يا فصيح *
فحقق ان تأليفي كلام * تلذ به المسامع وهو ريح *

وفي المثل في البحر سمك يغسي نارا فلو كان الماء يطفيه * فالهذا كلام اسمعه والاخليه * ولا بأس بوصف هذا الشرح بأبيات * كأنها بول البنات * فاقول

كتاب قد حوى فن الولايش * كتاب قد اتى مثل الفراش
كتاب فيه اوراق وحبر * وقول صادق مع قول لايش
وفيه يا اخي من كل معنى * اذا ما ذقته طعم العفايش
والفاظ به تحكي لبول * عليها رونق مثل العمايش
وفيه مسائل حازت هبالا * عليها سابل مثل العمايش
وفيه النظم شبه الطوب رصا * وفيه مسائل جاءت بلايش
اذا طالعته حقا وصدقا * فلا تأمن سريعا من طراش

وكل هذا المناسبة الفاظ القصيد * وحل معانيه التي تحكي قحوف الجريد
فالشارح لا يخرج عن كلام الماتن * كما هو عادة القاطن في هذا الفن
والظاعن * فيا له من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك * ولو نعش على
عامود الصهواري لتحرك * ولو مس به حجر لتشظى * ولو ألقي في اليم لتكدر
فهو جدير بأن يرقم ببول الحوش على جدران الكانش * وحقيق بأن
يسطر على بيوت الخلية ببول العراش * وأن يلقى على رؤس المزابل *
وأحق بأن يرقم على جدران المكاسل * فهو شرح عديم النظير في الكثافة
لكونه في معنى أوصاف الرذالة * وليس له شبيه في الثقالة * لكونه في وصف
ذوي الرذالة * واعلم ان كل شرح لابد له من اسم يناسبه * وعلم عليه يقاربه
(وقد سميت) هذا الشرح هز القحوف * بشرح قصيد أبي شادوف *
وأطلب من القريحة الفاسدة * والفكرة الكاسدة * الاعانة على كلام فهم
من بنات الافكار * وأسطره في الاوراق من فشار * وان يكون من بحر
الخرافات * والامور الهباليات * والخلاعة والمجون * وشئ يحاكي كلام ابن
سودون * فقد يلتذ السامع بكلام فيه الضحك والخلاعة * ولا يميل الى قول
فيه البلاغة والبراعة * لأن النفوس الآن متشوقة الى شئ يسليها من
الهموم * ويزيل عنها وارد الغموم * (وفي هذا المعنى شعر) *

فمذهبي أن الخلاعة راحة * تسلي هموم الشخص عند انقباضه
وزماننا هذا لايعيش فيه الا من صنع طرف من التمسخر والخلاعة

* والديدبة والصقاعة * ولهذا قال الشاعر *

مات من عاش بالفصاحة جوعاً * وحظي من يقود أو يتمسخر
وقد تساق الارزاق * لمن لا يدرك الخط في الاوراق * ويحرم
صاحب البلاغة * ولا يجد من القوت بلاغة * ولهذا قال الشاعر *

رزق التيوس يجيئها بسهولة * وذوو الفصاحة رزقهم مستبرنْ
ان كان حرماني لأجل فصاحتي * أمنن علي من التيوس أكون

وقال البوصيري الاديب رحمه الله تعالى موالياً

ربّ الفصاحة عديم الذوق يقفّ ابلم * والابلم التيس مصدّر ومتعظم
يا رب ان كان حرماني كما تعلم * امنن عليّ اكون تيس ابن تيس ابلم

(وقال ابن الراوندي)

يا قاسم الرزق كم ضاقت بي القسم * ما انت متّهم قل لي من اتّهم
تعطي اليهود قناطيرا مقنطرة * من اللجين ورجلي ما لها قدم
اعطيتني حكما لم تعطني ورقا * قل لي بلا ورق ما تنفع الحكم

فالشخص يكون مع زمانه بحسب حاله * ويداري وقته بما يناسب لاحواله * ويكون حذرا من دهره وصولته * ويرقص للقرد في دولته * ويعاشر الناس على قدر احوالهم * ويدور معهم وينسج على منوالهم * ويتدرج في مدارج خلاعاتهم * ويظهر في مظاهر مراعاتهم * كما قال بعضهم

وداراهم ما دمت في دارهم * وحيّهم ما دمت في حيّهم * واحسن العشرة مع بعضهم * يضحك الكل على بعضهم *

وقيل ان بعض الملوك مات امامه فقال لوزيره وخواص دولته انظروا لنا اماما يكون ورعا زاهدا فيه لين وهدء نفس فاجتمع رأيهم على رجل بالمدينة فيه هذه الاوصاف الا انه فقير الحال فقال الملك عليّ به فلما حضر بين يديه اكرمه وعظمه واعلى منزلته وصيره ارفع من وزرائه واجرى عليه النعم فلما رأى نفسه في هذه الحالة تعاظم على ابناء جنسه واحتقرهم وترك مداراة الناس ولم يعتبرهم واحتقر ارباب الدولة * فاتفق رأيهم على مكيدة يهلكونه بها فلما كان يوم الجمعة واراد الملك ان يصلي في بعض المساجد ارسل السجادة ففرشت له في ذلك المسجد فدخل وجلس عليها هو وذلك الامام وكان اتفاقهم على ذلك انهم اصطنعوا صورة صليب صغير من الذهب والجوهر واعطوه لرجل من خواص الملك ممن يكتم السر وجعلوا له جعلا وقالوا له ضعه تحت جبهة الامام بحيث انه لا يشعر بك احد ففعل ذلك فلما فرغ الناس من صلاة الجمعة واراد الملك الانصراف اخذ الفراش السجادة فرأى الصليب فعرضه على الملك فانكره وقال لارباب دولته ما هذا الامر فانه قد رؤي هذا الصليب

تحت جبهة الامام فقالوا هذا كافر ومستتر علينا فغضب الملك وامر بقتله فلما مرت جنازته انشد بعضهم بقوله *
(كان والله تقيا صالحا * منصفا عدلا وما قط اتهم) فاجابه آخر بقوله (كان لايدري مداراة الورى * ومداراة الورى امر مهم)
فالسلامة في مداراة الناس * وحسن الانطباع معهم بلطف الايناس * وان يكون الشخص متنقلا في اطوارهم * دائرا تحت فلك ادوارهم * كما صرح بذلك في بعض الابيات
فطورا تراني عالما ومدرسا * وطورا تراني فاسقا فلعوسا
وطورا تراني في المزار عاكفا * وطورا تراني سيدا ورئيسا
مظاهر انس ان تحققت سرها * تريك بدورا اقبلت وشموسا
ولنشرع الآن فيما وعدنا * وما ذكرنا به ورقصنا * والشخص يغلب عليه عمله وفنه * والزامر لا يخبي ذقنه * وقبل الخوض في بحر هذا الكلام * والمشابهة له من جنس النظام * نذكر ما وقع لعوام بعض اهل الريف ووصف طبعهم الكثيف * واخلاقهم الرذيله * وذواتهم الهبيلة * واسمائهم المقلبه * وخوفهم المشقلبه * وقصائدهم المشرمطه * واشعارهم المخلبطه * ونسائهم المزعجات * وما لهم من الدواهي والبليات * فنقول
اما سوء اخلاقهم وقلة لطافتهم فمن كثرة معاشرتهم للبهائم والابقار * وملازمتهم لشيل الطين والعفار * وعدم اكتراثهم باهل اللطافه * وامتزاجهم باهل الكثافه * كانهم خلقوا من طينة البهائم * كما قال ذلك الناظم *
لا تصحب الفلاح لو انه * نافجة اريحها صاعده
ثيرانهم قد اخبرت عنهم * بانهم من طينة واحده
فهم لا يخرجون من طور الجعافه * لملازمتهم المحراث والجرافه * ومن خوفهم حول الاجران * وطردهم في الملق والغيطان * ودورانهم حول الزرع * ونطهم في الحصيد والقلع * وغطوسهم في الجلة والطين * وعدم اكتراثهم بالصلاة والدين * اذ الواحد منهم لا يعرف غير الحزام والنبوت * وال... والمنتوت * والساقية والفرقله * وشيل الطين

والجلّه * والعياط والغاره * والطبلة والزمّاره * والحذوة خلف قفاه * وفرزاقه وهز ردّاه * وحزامه الليف * والتبن والشنيف * وخلقته المشرمطه * وصورته المخلبطه * وطربوشه الدنس * وزرّه الغلس * وطرده للغارات * والدواهي والبليّات * ومشيه حافي * في الحر والحلا * وعياطه في الظلام * يا السعد او يا حرام * فتجتمع عليه الهموم * ويقع منهم على البلاد الهجوم * وهم سعد او حرام * ويخرج اليهم الآخر باتهام * فيقع بينهم الحرب والعناد * وتخرب بسببهم البلاد * وتقطع الطريق على العدو والصديق * ويترتب على ذلك المفاسد * وتمتنع عن بلادهم الفوائد * وكل هذا من قلة عقلهم * وكثرة جهلهم * وسوء اخلاقهم * وعدم اتفاقهم * اذ كلهم في الظاهر مسلمون * والقتل عندهم مثل الذبح * وايضا عندهم قلة الوفا * وعدم الانس والصفا * لا يؤدون القرض * ولا يعرفون السنة من الفرض * ان عاملتهم اكلوك * وان نصحتهم ابغضوك * وان اتيت لهم الشرع رفضوك * وان اتيت لهم الجانب مقتوك * العالم عندهم حقير * والظالم عندهم كبير * امورهم معانده * وليس عندهم فوائد * عندهم قابض المال * اعز من العم والخال * سود الوجوه * اذا راوا معروفا انكروه * كما قال الشاعر في المعنى

اهل الفلاحة لا تكرمهم ابدا * فان اكرامهم في عقبه ندم
يبدوا الصياح بلا ضرب ولا الم * سود الوجوه اذا لم يظلموا ظلموا

اذا اقاموا افراح * لا تكون الا بالعياط والصراخ والصياح * وشدة الاضطراب والكرب * وربما وقع فيها البطح والضرب * وشاهدنا كثيرا من افراحهم * وما يقع فيها من عدم نجاحهم * وستاتي كيفية افراحهم واعراسهم * وعدم ذوقهم مع جلاسهم * واما اكرامهم للضيوف فهو هز الاردية والكفوف * والجلوس على المساطب * ونفش اللحى والشوارب * وان حصل منهم الكرم بالاضطرار * يكون العدس والبيسار * والكشك الحامض بالفول * او نوع من المدمس والبقول *

ولو سكن الشخص منهم مدة في مصر ودمياط * لم يكتسب من اللطافة
قيراط * وبعض اكابرهم المشار اليه * والمعول في الامور عليه * اذا
طلع مصر لمقابلة الامير * او قضاء حاجة من الوزير * ترى عليه لبس
محبوب * ومع ذلك يمشي حافي بلا مركوب * وامورهم ليس لها انضباط *
واحوالهم شياط وعياط * وورودهم عند الانحدار * التفكر في الغنم
والابقار * وتشبيههم في الظلام * هات النبوت والحزام * وحط
العلف * وهات الكلف * قال الشاعر في المعنى *

لا تسكن الارياف ان رمت العلا * ان المذلة في القرى ميراث
تشبيههم هات العلف حط الكلف * طلق لثور اعجابك المحراث

لا يرحمون صغيرا * ولا يوقرون كبيرا * عوراتهم عند الاستنجاء
على الفساق مكشوفه * وثيابهم بالنجاسة محفوفه * يجتمعون لحساب
المال في المساجد * وليس فيهم راكع ولا ساجد * اولادهم دائما عريانين
* وتراهم في صورة المجانين * الرحمة فيهم قليله * والرافة متروكة ذليله
* كما ترى كتب لطرد النمل بلا مرا * ارحل ايها النمل كما رحلت الرحمة
من قلوب شيوخ القرى * (ومن وصايا الامام مالك للامام الشافعي
رضي الله تعالى عنهما لا تسكن القرى فيضيع علمك وجاهك * وقال
سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى لبعض تلامذته عليك
بسكنى المدن فان المقت اذا نزل في بلاد الريف طوفانا يكون في
المدن كخلخال الرجل (قلت) واذا صحفت لفظة ريف مع قلب
حروفها كانت قبر فالساكن في الريف معدوم اللذات لانه دائما
في انقباض وطرد * وجري وكر وفر * وحبس وضرب * ولعن وسب *
وهوان وشجار * وشيل تراب وحفر آبار * وخروج للعونة على جهة السخرة
وتعب شديد بلا اجرة * واذا كان ذو فضل ضاع فضله * او ذو عقل
ذهب عقله * او ذو مال اغروا عليه الحكام * او ذو تجارة نهبوه في الظلام *
فالحق عندهم مضاع * والباطل عندهم مذاع * وحكم الله ليس له اندفاع *

ولنذكر طرفا يسيرا من اسمائهم وما يكنون به فنقول اما اسماؤهم فانها كاسماء العفاريت او رقع الشلاتيت فيسموا جنيجل وجليجل وعفر ودعموم وزعيط ومعيط وقسيط وشلاطه ولماطه وشقليط ومقليط وصفار وهوار وجعار وعمران وشعوان وسمنوت وبرغوت والعفش والنبش وكسبر وقفندر وجنين وبنين ومحمد بكسر الميم والحاء المهملة ومحمدين بكسرهما ايضا وغير ذلك من الاسماء وان كانت لا تعلل فان اسماءهم هذه تشبه التلقيب وقد يسموا بالفال كما اتفق ان رجلا ولد له غلام فسمع رجلا آخر يقول يا اعمش العين فقال نسميه عويش فسمي بذلك واتفق ان رجلا ولدت زوجته انثى فسمع رجلا يقول لآخر هات الزبل فقال لامها نسميها زبيلة فسميت بذلك وزبيلة تصغير زبلة وزبلة فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقة من الزبالة والزبلة على وزن عجلة او فجلة او نملة او قملة وقال بعضهم في هذا المعنى (ووزن زبلة لديهم عجله * ونملة ورملة وفجله)
وقد ذكرت بالتسمية بهذا الفال ما يقرب من هذا المعنى وهو ما حكى بعضهم ان زوجته ولدت غلاما فسمع رجلا يقول لآخر دم الحس قفاك فسماه بذلك ثم ولد له ولد ثاني فسمع رجلا يقول لآخر شاربك في الخرا فسماه بذلك ثم ان دم الحس قفاك كبر وانتشى وكذلك شاربك في الخرا بلغ من العمر عشر سنين فارسلهما والدهما الى الكتاب فقرا دم الحس قفاك القرآن وبرع فيه وكذلك شاربك في الخرا بلغ منزلة عظيمة فاتفق في يوم من الايام ان دم الحس قفاك قال لاخيه شاربك في الخرا اقصدنا يا اخي الذهاب لبحر النيل نسبح فيه فقال شاربك في الخرا مليح السمع والطاعه فتوجه دم الحس قفاك هو واخوه شاربك في الخرا الى ان اشرفا على بحر النيل ونزلا فيه وكان دم الحس قفاك ماهر في العوم واخوه شاربك في الخرا عومه قليل فسبق دم الحس قفاك اخاه شاربك في الخرا فتضايق شاربك في الخرا واشتد به الامر واشرف على الغرق

فالتفت اليه دم الحس فقال فرأى شاربك في الخرا في شدة عظيمة فاقبل عليه ووضع يده تحت ابطه واسنده على ظهره ولم يزل يتلطف به حتى اوصله الى البر فلولا ان دم الحس فقال سبق والا كان شاربك في الخرا غرق (ومر رجل) فرأى ولدا يضرب اباه ويسخر به ويسبه فقال له يا غلام ان لابيك عليك حقا ان لا تنهره ولا تؤذيه وان تحسن الادب معه ولو كان كافرا فقال له يا سيدي وانا الآخر لي عليه حق فقال له وما حقك عليه فقال له ان يحسن اسمي ويعلمني القرآن وان يرشدني الى احسن الصنائع وهذا سماني دبوس وعلمني لسانا المجوس وصيرني بين الناس خلبوس افلا اضربه واسخر به واسبه فقال له بل صكه يا نعال فانه مستحق لاقبح الفعال (ومر رجل) على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له ما اسمك فقال تنور قال واسم امك قال شرارة قال وابوك قال لهب قال وفي اي واد انت قال في وادي النار فقال له رضي الله تعالى عنه اذهب الى واديك فان اهلك قد احترقوا فلما مضى الرجل رأى الامر كما ذكره رضي الله تعالى عنه (والاسماء تدل على لطافة المسمى او على كثافته وفي كلام اهل العلم والتأديب كل احد له من اسمه نصيب (واما كناهم) فابو شعرم وابو معرم وابو عفرم وابو دعموم وابو شادوف وابو جاروف وابو مشكاح وابو دماح وابو بطاح وابو بقر وابو مطر وابو هودج وابو خرق النورج وابو ضلام وابو شقره وابو قشقوش وابو قسيم وابو جريدم وابو طعيمه وابو بليله وابو زغلول وابو سيسي وابو جاهل وابو فصاله وابو زباله وابو بعبوص وابو عوص وابو لبدم وابو غده وابو زعيط وابو معيط وابو بربيطع وابو زعيزع وابو تعيتع وابو شعيشع وابو صابر وابو خنافر وابو هبول وابو هوير وابو طرطر وابو عوكل وابو حوقل وابو عسقول وابو ذبابه وابو زغابه وابو طريف وابو قدح وابو عريش وابو كريش وابو قنيشه وابو دشيشه وابو فرقع وابو قلوط وابو محلاظ وابو جيص وابو كانون وابو معلد وابو جعبا

(ويلقبون) عمران القليط وعمير القرط ودقموس وقنديسه وشحاره
وبعيبر وعنطوز الباب وشلاطه محلاب ومحمد القلاوي وكسلو التقليه
وبن بوبه الهبله ولهاط الزبله ومشالي الجله ونحو ذلك كثير لا غاية له
(ويجيبون السائل) بلفظة هاه وهيه وايش مالك واي مالك وانما
مما هو مشهور بينهم (واما اسماء نسائهم) فمن معنى اسمائهم فيسمون
زعره ونعره وهبطله وميكله واخطيطه وحويطه ومعيكه ودعكه
ودكيكه وشباره وشراره وزراره وعلاوه وعباره وشلبايه وعطايه
وعليوه وحليوه وهديه وبليته وابل وغته وشمه وبلة وبلمه وسروه
وبروه وفيوه وخربوه (ويكنون) بام جعيص وام معيص وام زميع
وام عرام وام زقام وام شقيره وام صقيره وام شواهي وام دواهي
(ويلقبون) بجلابيه وكرسابه وغاشوله وقاره وفرفاره وعاره وغايره
(فهذه) اسماء والقاب وجودها كالعدم وانما هي الفاظ يصنعونها
مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمى وبعضهم اذا نادى زوجته
يقول لها يا داهيه نقوبله تجى لك من الحيط (كما اتفق) ان رجلا منهم
دخل منزله فرأى زوجته عند الجيران فناداها يا داهيه يا داهيه
فقالت له تجيلك من الحيط فقال لها تعالى اتعشى فقالت ابنك يخرى
كل انت وقال شخص منهم لزوجته يا قطيعه قالت له تجيلك يا بو عنطوز
(واما اولادهم) فانهم مثل اولاد الهنود او اولاد القرود دائما فى
شلاتيت وشراميط ترى الواحد منهم دائما مكشوف الراس عارى فى
الجلة والتاس ونومه فى المزود وشربه من المترد واكله من نخله
ولعبه حول العجله شيء ويخرى فى ثيابه دائما فى سخامه وهبابه عمره فى
الدناسه وامه فى نجاسه واذا درج فى الحاره لا يعرف غير الطبله
والزماره والطرد وراء الثور والعجل وسخامه فى الجلة والوحل لا يلبس
على طهارة قميص وعيشه دائما فى تنغيص خالى من التنظيف وكلهم
تخوف من خوف الريف (واما نساؤهم) عند الجماع فانهن فى حكم الصباع

يدخلن الافران ويصيرن فيها النيران ويعبق عليهم الدخان وتظهر
لهم روايح الدمس حتى يصيروا في قلس ثم ينضجعوا على شي من القش
وما تيسر من القصل والعفش بعد اكلهم المدمس والبيسار حتى يصير
الشخص منهم كانه حمار ثم يضم زوجته اليه وهي تستقلب عليه فيظهر
من بين الاثنين روايح الجلة والطين وتعطيه رجليها وينظر الى
عمشة عينيها ويطرحها على جنبها فتستغيث بربها وتقول احيه جتك
داهيه احيه جتك مصيبه احيه جتك غاره فغنجها بليه وجماعها
رزيه وربما جامع الشخص منهم زوجته في مدود الحماره او في الغيط
جنب العباره وقد تمكث المراة منهن الجمعه لا تغتسل من الجنابة لعدم
وكذلك الرجل تحقيق في اعظم الدناسة وعدم التوفيق (واما اعراسهم)
فانها مثل قيام الغارات او تعفير الكلاب في الحارات يدوروا
بالعريس دوره وهم في غارة او غوره وعائط وصراخات ودواهي
وبليات وزعيق وعفره وصياح وغيره والكلاب تنبح والشعراء
تمدح والطبل يضرب والمشاة حوله تلعب والجدعان تخبط بالنبابيت
والاولاد تنط بالشلاليت وربما كانوا في هزل صاروا في الجد وربما
هشموا بعضهم البعض وقد يموت الواحد منهم والاثنين ويحصل
من ذلك الفرح الهم والشيان وتخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد
ثم بعد هذه الدوره يفرشوا للعريس جنب الجوره ويجلسوا على نخ او
حصير او برش من ابراش البير ويأتوا له بالعروس كانها جمل بامرس
منقشة بالحبر والهباب وقدامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا
بالزغاريط تصيح والجدعان تمشي بالمصابيح ويرشوا عليها الملح خوف
النظره وقد يلطخوا وجهها بالسواد والحمره ويكشفوا وجهها عند الجلا
وصارت بهذه الفعلة مثلة بين الملا وهذا من اقبح افعالهم واتعس
احوالهم اذ لا يجوز هذا في الشرع ولا يقول به اصل ولا فرع ثم انهم يجلسوها
على شي عال ويأتي اليها الطبال وينشدوها الاشعار مما هو مناسب

لها بالاعتبار * شعر ياعروسه ياام غلى * انجلى ولاتبالى
انجلى ياوجه بومه * زاعقه وسط الليالى) (وجهكى بالنقش يشبه * وجه ضبعه فى الرمال
لك مسيحه بشعر يربط * فوق رأسك لا محال) (تشبهى بره ام مجبر * دائره وسط التلال
ياعرس قم خذ عروسك * واطلع بها فوق العلالى) (وافرشوا القبه وناموا * فوقها جنح الليالى
واتخزى له واتجلى له * بالدواهى والهبال) (تصلحى له ياعروسه * تم امرك بالكمال *
(ثم انهم) يجتمعوا حول العروس وينادى بينهم رجل فلفوس بيده شعله
من شرموط هاتوا النقوط صاحب العرس بقى فى امان هاتوا يانساء
ياجدعان فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين والذى يرمى
نصف اونصفين وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كانها وجوه
التيوس وينادوا واقح والاشعير والاسمسم مقشور غزير فان كانت
مليحه فالواقح زربيع اوسمسم مقشور وان كانت قبيحه فالواشعير نبت
فوق الجشور ثم انهم يدخلوهما الى الفرن اوالبيت ويسرجوا لهم بشئ من
عكار الزيت ويفرشوا لهم شئ من التبن او القصل ويصنعوا لهم وسائد
محشوة من قشر البصل ويغلقوا عليهم الباب ويدقوا لهم بالحجارة على الاعتاب
فان اخذ وجهها هنوه والا جرسوه وهتكوه وقالوا له شرقت البلاد
وهتكتنا بين العباد فعرسهم هتيكه وفرحهم مصيبه ووليمتهم الكشك
والفول ونوع من البقول والارز بالعسل يشبه الطين والارز
باللبن يشبه طعام المجانين وقد ذكر هذه الاوصاف صاحب هكش حيث قال
فى القصيد * ويوم عملنا العرس ياما رقصنا * وياما حرقنا قش جوا المسارح
نصفقها بالسنط من فوق قتنا * وكان انهدم ياما قشعنا فضايح
واخرجتها للضوء برا الزريبه * بقاشى يقول عشعر وشى يقول قامح
وصبحت تهنينا اكابر بلدنا * علينا تقال العيش مشنول سايح
هداديبه تخبط على تقل ركبتى * وانا بلا لبده قليل المسالح
وجلس بجنبى ابن جرو وابن كلخرا * وابن الغفير واتا اروح روايح
اى جلس بجانبه مشايخ الكفر وهم هؤلاء المذكورون فلا يحتاج الى ايضاح تم

لان الاعادة فى ذكرهم ليس فيها افاده فقد افردت ذكرهم بمؤلف فراجعه
ثم انهم عند الصباحيه يجتمع المشاة فى الظهرية ويجعلوا بينهم وبين
العريس حكومه لا قدر لها ولا قيمه ويجتمعوا مع بعضهم البعض
ويتمحوا فى طولها والعرض ويقولوا حكمنا عليك يا فلان قوم هات
العيش واللحم ورطل دخان ويأكلوا وينطوا ويشيلوا ويحطوا
ويأتوا بجارة الدخان مثل ارباع الكيل ويصيروا فى عياط وشياط
الى الليل ويسموا هذا اليوم المروبه وامورهم كلها مقلوبه وبعد ثلاثة
ايام يخرجوا العروسة بالتمام ويكشفوا وجهها ثانى مره ويجعلوها
للناس شهره ويأخذوا ايضا النقوط من الناس واحوالهم فى انعكاس
(ذكر وقائعهم) حكى ان بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصدا النزه
فرأى رجل فلاح يحرث وعلى رأسه لبده مشرمطة ولابس خلقه مقطعه
ترى عورته منها وقد حصره البول فبال عليها حتى غرقها ولم يبال من
النجاسة وقد اسود قفاه من الحر وتشققت قدماه من الحفا وشدة
البرد وهو فى حالة مكربه فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل
فقال له يا ملك هذا من فلاحين الريف ينشأ الشخص منهم على التعب
والنصب والهم والغم والطرد والجرى وقلة الدين والجهل ولا يجد من
يرشده للعباده والصلاة فيصير فى هذه الحالة كما ترى فهم همج الهمج
لا يعرفون غير الثور والمحراث فحكمهم حكم البهائم قال الشاعر

من فاته العلم وخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا *

فقال الملك لوزيره هل ترى اذا اخذناه وعلمناه القرآن وشغلناه
بالعلم والبستان ملابس النعم يتغير طبعه ويرق قلبه ويخف ذاته
وينتقل من طور الكثافة الى طور اللطافة فقال الوزير ايها الملك

اما سمعت قول الشاعر لا يخرج الانسان عن طبعه * حتى يعود الدر فى ضرعه
من كان من جيزة اصله * لا ينبت النعناع من فرعه وقال آخر
الطبع والروح فى قد خلقا * لا ينفذ الطبع حتى ينفذ الروح

وقال بعضهم يحول عن ودّه ولا يحول عن طبعه وحكي ان رجلاً اعرابياً مرّ بقارعة الطريق فرأى جرو ذئب صغير فرحمه واخذه الى منزله وكان عنده شاة ترضع فرباه عليها الى ان كبر فعدا يوماً على الشاة فبقر بطنها وولغ في لحمها ودمها فلما رجع الاعرابي ورأى ما فعل انشد يقول

غذيت بدرّها ونشأت فينا * فمن انباك ان اباك ذيب

اذا كان الطباع طباع سوء * فلا ادب يفيد ولا اديب

ومن ذلك ما حكي ان جماعة قصدوا اصيد ضبعة فالتجأت الى اعرابي ودخلت منزله فخرج الاعرابي اليهم وبيده السيف مصلتاً وقال لهم لا تتعرضوا للضبع فانه قد استجار بي فقالوا يا هذا لا تحل بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون ابداً ولا اسلمه لكم ابداً وجعل يغذيها اللبن فتجرد الاعرابي يوماً ليغتسل فلما ابصرته عرياناً عدت عليه فشقت بطنه وولغت في لحمه ودمه فقيل لابن الاعرابي فانشد

ومن يفعل المعروف في غير اهله * يجازى كما جوزي مجير ام عامر

اعدّ لها لما استجارت بقربه * من الدرّ ألبان اللقاح الدوائر

واشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانياب لها واظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفاً الى غير شاكر

ومن كلام الامام علي رضي الله عنه قال لا تعلموا اولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالي الامور فاذا نالوها اعتنوا بمذلة الاشراف وقال الامام الشافعي رضي الله عنه فمن منح الجهال علماً اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وهذا الرجل لو علمته الحكمة وقيدت له من يعلمه لا يخرج عن طبعه ويرجع الى عادته الاولى خصوصاً طباع جهلة الريف وعوامهم فانهم اجلاف كانهم خلقوا من صخر كما قيل

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه * هل في الانام رأيتم * فخارة فيها حاشيه

فاللطافة لا تخرج عن طور الاكابر ولا تتعدى لعوام الريف الاراذل خصوصاً دنيء الاصل اذا ادعى العلم والفضل (كما اتفق) ان امرأة

ذات حسن وجمال وقد واعتدال كانت متزوجة بابن عم لها وهي
متضررة منه وراغبة في فراقه فأرسلت للعلماء في تدبير حيلة الفراق
فلم تتمكن من ذلك حتى وصلت الى وضيع دنئ الاصل تعلم العلم فدبرها
ان تدعي انها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله تعالى وتختفي الى
تنقضي عدتها فتصل الى الحاكم الشرعي وتعترف بصدور ذلك
منها وانها تابت ورجعت الى دين الاسلام واخذ على ذلك منها شيئا
ففعلت ما امرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا ان لا يصدر هذا
التعليم الا من ذلك الشخص فتفقدوه فلم يجدوه * وفي هذا المعنى
قول الامام الشافعي رضي الله عنه فمن منح الجهال الخ * وكذلك يا ملك
الحكاية المشهورة وهي ان رجلا دنئ الاصل سافر الى مدينة فاشتد به
الجوع فرأى رجلا يبيع الزلابية فوقف قبالة دكانه حائرا فرق له
قلب الزلابي ورحمه وقال له ادخل لاغديك صدقة عني فدخل فقدم
له ما يكفيه من الزلابية والعسل فاكل حتى شبع واذا محتسب المدينة
مار ينادي على اهل السوق ويزن عليهم ويحذرهم نقص الموازين وكذلك
صناع الزلابية ان ينضجوها ولا يبيعوها طرية فقام هذا الرجل الكثير
الرذل واخذ بعضا من الزلابية وعجنه بيده وقال للمحتسب نصرك الله
على هذا الرجل بياع الزلابية انظر ما يفعله الناس من الغش قال فاخذ
المحتسب صانع الزلابية وضربه ضربا مؤلما فالتفت الى هذا الرجل
ردئ الحال والفعال وقال له ما ذنبي معك وانا شفقت عليك
واطعمتك حتى شبعت صدقة عني فسكت فقال له ما اسمك قال
فلان قال وابوك قال فلان قال وامك قال مرجانة جارية سوداء
فقال صانع الزلابية لا الومك ابدا جاءك الطبع الخبيث من جهة
امك ثم انه اخرجه من دكانه ومضى الى سبيله * وفي هذه الحكايات
يا ملك مواعظ واعتبارات كثيرة فقال الملك لابد من اخذه وتعليمه
ولا اركن الى ما تقول فقال له الوزير افعل ما بدا لك فاخذ الفلاح وانعم عليه

والبسه الملابس الحسنة الفاخرة وقيد له من يعلمه القرآن والعلم فحفظ القرآن وبرع في علم الرمل والحرف حتى صار يخرج الضمير ويبين الضائع قال فتذكر الملك ما قال الوزير في حق الفلاح ونصحه للملك في عدم اخذه وتعليمه فارسل اليه فلما حضر قال له يا وزير خابت فراستك في الفلاح فانه الآن بقي على غاية من العلوم وصار له براعة في علم الرمل والحرف ويخرج الضمير ويبين الضائع فقال الوزير يا ملك اختبره وانظر طبعه وخلقه فارسل اليه فحضر فقال له الملك بلغني ان صار لك قوة في اخراج الضمير وبيان الضائع فقال له نعم ان شاء الله فقال له مرادي ان امتحنك على شئ وتبينه لي فقال افعل قال فنوى الملك وقلع خاتمه واطبق عليه يده واتى اليه وقال له انظر ما في يدي قال فاقام الاشكال وقال في يدك شئ مدور وقال نعم قال وهو خالي الوسط قال صدقت ولكن ما هو فسكت ساعة زمانية ثم قال اظن والله اعلم انه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال غلب عليه طبعه الاول يا ملك فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته ورده الى حالته الاولى (وقيل) التزم بعض الامراء بقرية من قرى الريف فسافر اليها لينظر احوالها كما هو عادة الملتزمين فلما دخلها ونزل في دار الحكم وتسمى عندهم دار الشد اقبل اليه الفلاحون وهم من كل حدب ينسلون واماهم شيخ كبير قد طعن في السن وبيده عصا يتوكأ عليها قال فلما رآه الملتزم وهو امام القوم قام اليه واكرمه واجلسه الى جانبه لكبر سنه وقال في نفسه لعله من اهل الصلاح لانه ما في هذه القرية اكبر منه ثم ان الامير صار يحثهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطان والغرامة وان يجتهدوا ويفيقوا الى انفسهم ويكونوا مع بعضهم البعض قال فعند ذلك قام هذا الشيخ الكبير ووقف بين يدي الامير وقال له اني اريد ان انصحك ايها الامير وارشدك الى شئ تفعله فان انت فعلته فاقوا الى انفسهم وسددوا المال فقال له الامير تكلم يا شيخ

فان ما فيهم من هو اكبر منك سنًّا واعلى قدرًا فقال ان كان مرادك النصيحة اهدم ذا الجامع الذي في وسط البلد فانهم كل يوم يجتمعون فيه للصلاة التي يقولوا عليها الناس ويتركوا مصالحهم فاذا انهدم فاتوا للزرع والقلع وسدوا المال ولو اني طاوعتهم يا امير وصرت كل يوم ادخل الجامع كان انكسر علي مال السلطان وما نفعني طول عمري ما اعرف دي الصلاة التي يقولوا عليها الناس ولا دخلت الجامع ابدًا قال فتعجب الامير من طول عمره وقلة دينه وشدة جهله وقال له انت رجل طال عمرك وساء عملك ثم انه علق في رقبته الاوطية واركبه حمارًا معكوسًا ونادى عليه في البلد بعد ان ضربه ضربًا موجعًا واخرجه من القرية على اسوء حال (ومما يحكى) ان ابا نواس جلس يومًا هو والخليفة هرون الرشيد في محل المداعبة والملاطفة فاحضر بين يديه صحن من الخشتنانك المحشو بالسكر وصار ياكل هو والخليفة فقال الخليفة يا ابا نواس هل يمكن ان احدًا من الناس لا يعرف هذا قال نعم يا ملك عوام الريف الفلاحون واضرابهم فانهم اناس نشأوا في اكل الدخن والذرة فضلًا عن الحنطة ولا يعرفون هذا ولا غيره من الماكولات الا العدس والبيسار فقال له الخليفة لا بد ان تحضر لي رجلًا منهم في هذه الساعة والا قتلتك قال فقام ابو نواس من عند الخليفة متحيرًا يمشي في شوارع بغداد فرأى رجلًا يحاكي سارية الجبل من طوله وعليه جبة من صوف الى ركبته وقد اتسخت وتمزقت من سائر الجوانب واذا اراد ان يتحزم عليها انكشفت عورته واذا بال بال عليها من غير مانع لكونه لا يعرف الطهارة من النجاسة وعلى راسه لبدة من الصوف طويلة مثل القحف دائر من غير سقف وقد ربط ويماه وجعله خلف قفاه وبيده رغيف ذرة ياكل فيه وهو ينظر الى الحوانيت مثل المرتاب وهو في حيرة لا يدري اين يذهب وياكل وينظر الى الناس مثل المجانين قال فلما رآه ابو نواس في هذه الحالة عرف انه

فخف من خوف الزيف فسلم عليه فلم يرد عليه السلام وتحير في نفسه
ولم يعرف كلام ولا سلام بل ظن انه يريد انه يأخذ الرغيف منه فحطه في
عبه وقال له يا جندي انا ما معي شي تاكله غير هذا الرغيف وانا ان
اعطيته لك قتلني الجوع وانا عمري ما طلعت هذا الكفر وانا بانظر
فيه جنادي كثير مثلك ودور مثل دورنا وخايف من الجنادي لا
يقطعوا راسي فقال ابو نواس في نفسه الحمد لله الذي اوقعني في هذا
فهو المطلوب الذي لم يعرف الكفر من المدينة ثم انه لاطفه بالكلام
وقال له لا تخف ولا تفزع فما لي حاجة برغيفك ولا انا جيعان وانا
مرادي اغديك غدوة عظيمة فقال له حياك الله يا جندي وانا
الآخر لما تغديني وتبيض وجهي ازورك باربع بيضات وان
فقست وزتنا اجيب لك وزه خضرا واجعلك صاحبي ولا تخلي
احد يقطع راسي لاني خايف اروح الكفر بلا راس قال فضحك
عليه ابو نواس وقال له امض معي في هذه الساعة اغديك واضيافك
قال فسار معه وهو لا يدري اين يذهب حتى اقبل على ديوان امير
المؤمنين هرون الرشيد قال فلما راى الديوان وكثرة العسكر بهت
وصار في ازم واندهش وقال الله وكبر القيامة قامت وذا المحشر
لا كلام ثم انه اراد الهروب فقبض عليه ابو نواس وقال له لا تخف
ولا تخش من شي وضمانك علي فقال له يا جندي اخاف العرض
على ربي من الحساب ليحاسبني على ضرب البهايم ونيك الحمير في الغيط
لاني ما خليت حمار في الغيط بلا نيك من خوف لا اهجم على نسوان
الكفر يمسكني المشد يقطع راسي وباسمع الناس وهم يقولوا كل
من نكح دابة يجي يوم القيامة وهو حاملها وانا نكحت دواب كثير
حتى الكلاب والقطط لا اقدر احملهم في هذا اليوم وانت تشفع
لي عند ربي بشا محي في هذا اليوم مما فعلت فقال له ابو نواس
لا تظن ان هذا يوم القيامة وانما هو ديوان الخليفة هرون الرشيد

السلطان فقال له يا جندى انا ما رأيت مثل هذا المحل ابدًا ولكن
ما يكون الخليفة قال هو السلطان الذى يقبض المال من بلاد
الارياف والكفور فصرخ الفلاح وقال له يا جندى السلطان
يقطع روس الفلاحين ولا يخلى فلاح من غير قطع راس واراد الهروب
فلما سمع الخليفة كلامه سأل عن القضية فاخبروه بها فضحك
وارسل يطلبه قال فاخذه ابو نواس واقبل به على الخليفة وهو
فى دهشة وحيرة مما رآه من كثرة الجند والعسكر حتى وقف بين
يدى الخليفة فقال انا فى جيرتك يا رسول الله يا ابو زعبل يا ابو شعلوان
يا مشايخ الكفر خلصونى قال فامر الملك ان يلاطفوه بالكلام
فلاطفوه حتى سكن رعبه وروعه ثم انه نظر فرأى الخليفة جالسًا
على الكرسى وعلى رأسه التاج الكسروى فقال له انا فى جيرتك يا خطيب
المسلمين قال فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح من اى البلاد
انت فقال له انا من كفر ابو زعبل وانا شيخ الكفر وعندى بيت ملان
تبن وقصل وعندى عنز وفركوب احمر وحياة راس الشامعيك
وعندى فرختين وديك وشونتين عظم وقحف طويل مثل قحفك
دا يا خطيب فضحك عليه الخليفة وقال له من احضرك عندى قال دا
الجندى صبيتك لاجزاه الله خير وكان مراده ياكل رغيفى ثم انه
اخرج الرغيف من عبه واراه للخليفة فقال له الخليفة انت جيعان
فقال له يا خطيب صبيتك اوعدنى بالغدوة فقال له الخليفة
ما تشتهى قال العدس والبسارهات لى عدس ومترد بيساد
ورغيفين ذره وانا اخلى ام خطيطه تدعى لك فقال له الخليفة
اجلس يا فلاح قال فقعد ومد رجليه بحضرة الخليفة وحط النبوت
بجانبه والمركوب خلف قفاه وربطه فى حزامه خوفًا عليه ان يقع
من وراء ظهره فامر الخليفة ان يقدموا له الصحن الذى فيه الخشتانك
فقدموه اليه فلما رأى الـ...ـم قال يا خطيب المسلمين اعطى من دا المترد

كوزه العب بها في الكفر أنا وأبو دعموم واولاد الكفر فضحك عليه
الخليفة وقال كل منهم كوز فقال يا خطيب المسلمين الكوز تتاكل
فقال له كل على بركة الله تعالى قال فأخذ الفلاح واحد ووضعها في
فمه ومضغها فلما استفرت حلاوتها في جوفه صار ياكل اربع حبات
سواء ويعجنها في يده ويقطع منها ويبلع وتارة يسف وتارة يمضغ
وهو في حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح ما يكون
هذا الذي تاكله وما اسمه فقال يا خطيب المسلمين ملول عمري أكل
العدس والبيسار والكشك بالفول والمدمس ما ريت مثل دا ابدا
الا اني سمعت أم معيكة جدتي تقول نعيم الدنيا الحمام والله أعلم ان دا
هو الحمام اللي يقولوا عليه الناس فضحك عليه الخليفة وقال له مرحبا بك
يا فلاح كل واشبع فقال له يا خطيب المسلمين وحياة وحك لما
اروح الكفر ازورك بحمل جله ومحلايب لبن من بقرتنا الحمرا وخمس بيضات
وانت الآخر ما تحرمني من نعيم الدنيا دا الما اخضر بالهدية فضحك الخليفة
من كلامه وأنعم عليه واذن له بالانصراف ومضى الى سبيله (ولقي)
بعض أهل الارياف صديقا له وقد اشترى بردة من الصوف فقال له
دي بردتك فقال له عبدك وجاريتك فقال له بكم اشتريتها فقال
له بداهية كبيرة فقال له تلفك وتلف وليداتك في الشتاء *
(وجلس) بعض اهل الارياف بين اصحابه فدخل عليه ولده وهو يبكي
وقال له يا بوية فحل الفراخ مات فقال لا حول ولا قوة الا بالله العام
الماضي ديك والعام دا ديك احنا يا ولدي اصحاب الرزايا والمصايب
ربنا يعوض علينا ثم ان اصحابه عزوه وصار كانه مات له ميت *
(وولدت) لشخص منهم حمارة فلقيه صديق له فقال له حمارتك ولدت
فقال له وسبعت فقال له ما جاب الله فقال له جحيش كيفك سوا
بسوا فقال الله يخليه لك ويجعله جحش الحيا (وعطس رجل منهم أيضا)
فقال له فقيه من أهل الريف يرحمك اللي عطسك ولو شاء لقطسك

واخرج العطشه من قبر قراقير اللي خلفك فقال له الفلاح يا فقي لا
عدت تنسانا من دي السوره تقراها علينا في المساء والصباح واعطيك
ايام المقات اربع بطيخات وتقرا السوره لام معيكه وتمدحها الابوزيد
فانه مات من مدة شهرين فضحك عليه الرجل ومضى الى سبيله (ومجلس)
جماعة من اهل الارياف يتحادثون في احوال الزمان اقباله وادباره
فقام رجل منهم يقال له ابو عفره وسحب رداه واتكا على عصاه ثم ضرب
بها الارض وقال لهم يا شيوخ الكفر زمن الفرح اللي ولى وراح ولا بقي في
الدناخير ولا عاد يجي زمان مثل زماننا اللي كنا فيه وما نحصل ايام
الاعياد والمواسم فقالوا له الله عليك يا ابو عفره احكي لنا على زمن الفرح
اللي شفته فقال لهم رحت يوم عيد الله واكبر انا وابو معيكه وابو دمعوم
وكان معي ابني فرقع الليل ولد صغير واخينا يجري مثل الكلاب الشعرانه
وانا نافش وعلى ردا من محر الكتان شريته بنصف فلوس جدد الدراع
وجبة صوف خدتها بخمسة جدد الدراع ولبده خدتها بعتماني
وانا عزوق على العيد كيف عنز الضحيه وتحزمت بسير وسكين
خدتهم من سوق هربيط باربعة انصاص فلوس جدد وعلى راسي
شد مستنير خدته من سوق بيشله بنصفين فلوس جدد ونبوت
كنت سرقته في زمان الشطاره ومركوب احمر كيف وجوهكم يا شيوخ
الكفر كانت سرقته ام زعبل من واحد حضري دخل دارنا اللي عطى البركه
بالاماره يشتري بيض ورحت انا والجماعه نشتري مصالح العيد على
الطريق اللي تطلع على الكفر بتاع ابو عنطوز نمشي عليها كيف كلاب الغجر
وكنا لقينا واحد دبح جدي بالتخاين خمسة ارطال لحم فوقفت انا واصحابي
على راس صاحبه وهو عمال يسلخ فيه فقال لي ما تطلب يا شيخ الكفر انت
واصحابك فقلت له اسمع يا عرص يا راس الدقماق وحياة ام زعبل
ان كنت ما تكادمني اليوم وتتوصى في والا ما عدت تدبح جدي ولا كلب
فقال لي يا شيخ الكفر تطلب من اللحم والا السقط فقلت له اطلب السقط

اقسمه بيني وبين اصحابي كل واحد ياخذ ثلثه فاخذت منه السقط
بعد عياط وشياط وضراط وحياة لحاكم يا اولاد كفرنا بنص فلوس
جدد ولولا عينت له الضرب وقلت له يا عرص يا تيس وانا شيخ
وتورد على الجدعان اليوم اطبخ واعرف وانا معمود في الكفر ولا ما كان
اعطاني السقط وقسمناه احنا الثلاثه كل واحد خد جديدين ولكن
واحد من شركاتي غار على وخد رجل زايده وانا سرقت ودن من اودان
المعزى وطلبت اسرق سنه من اسنانه اعلقها لابني عفره على راسه
تمنع عنه النضره انغلبوا على شركاتي وقالوا لي يا ابو عفره لا تخون
الامانه ان جات الاسنان في حصتنا خد ما تريد فتركت الا مره وخد
حصتي في طرف ردايه وكل واحد من شركاتي خد حصته ولفعت نبوتي
على كتفي وبقينا كيف الكلاب السعرانه وانا اعفر بين الكيمان والكلاب
تجري ورانا على ريحة اللحم وكان حزقني شخاخي وحياة لحاكم ومن خوفي
من الكلاب لا ياخذوا مني السقط وكنت اشخ على ردايه حتى غرقته شخاخ
ولما دخلت الدار شفت ام زعبل حشا العيب قاعده في جنب مدود
الحماره كيف كلبة المشد تعمل الجله عليها قميص من قطن مخطط كنت
شريته لها من زمن الفرح بعشرة انصاص فلوس جدد وفوق راسها
طرحه كبيره مثل الردا اخذتها باربعة انصاص فلوس جدد وسرموج
اخضر واحمر مصبوغ بحنا وبريسم سابل للخوران وفي رقبتها جلاجل
مطلي بقزدير وفي يديها انبابل نحاس اصفر وفي اودانها خلق طارات
قد خلت عليها مشنغر بدقن كيف دقن التيس وشوارب مطرطره كل من
شافها يخري على روحه فقامت ام زعبل ومسحت يديها من الجله
ولاقتني بالحضن لا تقول الا بقينا كيف الكلاب الجياع وبعد ما لاقتها
ولاقتني ولاطعتها ولاطعتني وعملت معها ما تعمل الرجال مع النسوان
يعني ديك القضيه وانتم تعرفوا اني حدق وشاطر وما يطلع من حكي
عيب وقال انتم شعتم ايه من الفرح وبعد دا ودا فاني اغني لها موالا

انعلت الغنا من ابوية وجدى وانا فصيح قوى فقلت يا ام زعبل رتبا يخلى لى شلشولك وقامتك انا بانظر حلقك بيشتم الناس وهو مايل على اوذانك وانا رايح اغني عليه فقالت لى يا ابو زعبل وحياة شاربك الى كيف شارب الكلب الا تغني لان اوحشنا غناك وقصايدك ومرادنا نسمع قصيدتك اللى تقولها فى الحلق فنشدت لها قصيد ومن صلى على النبى يستفيد

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

تبيع الورد فى الصحنه * فيصلك زين الطرحه * عسى الله انصر كلمته * تجمع عندنا الجلات

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

الا يا بو قميص هربيط * عسى الله انصرك فى الخيط * واذى لك قدح مخيط * واذى لك شمال كرات

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

واعطى لك شمال خبيز * واعطى لك قدح جميز * واجعل لك على ميز * فطره دخن فى الصبحات

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

انا جبك كما العجلة * ويا زينك حدا الجلة * تعالى الغيط بلا مهلة * وتتفرج على العجلات

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

تعا عندى وكل جعضيض * وجيب لك يا مليح حميض * واقلى لك كمان بيض * بزيت حار من جد الزيات

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

انا خشى ان اقل تعال * تعا ونى على ذى الحال * تعال امشى وضل عمال * اروح بك دارنا وبيات

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ودمش لك انا القبة * وجيب لك فول من القصبة * وكل واشرب كمان شربة * تخليك تشبه العنزات

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وجيب لك عدس مع بيسار * وكسر عيش مع فول حار * وجيب لك مسرجة زيت حار * تنور لك كما القمرات

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

ومخطك جنب مذودنا * والا جنب جلتنا * وورّيك بوز بقرتنا * وهى تقرش من القصلات

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

وان شا الله اروح طلخة * وجيب لك يا مليح فرخة * وفى الدار ان ترى الشخة * عليها صب من بولات

الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وظليك كيف ابو بربر * وتمليقش وتتشخر * وتتشقلب وتتغندر * وتبقى لي كما الكلبات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وتعطيني وتتبكى * وحطو فيك وانكى * وانا ابو عفرا بودكى * ابيع المش في الحارات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وانا شاعر وشيخ الكفر * نشد قصيد كيف الزفر * وقومي وارقصي يالعفر * ودا يوم عيد ولا طنات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وحط اللحم والغنم * على الكانون والكرشة * ونتغدا ونتعشى * ونعزم دار ابو كرات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ونختم قولنا الاياس * نصلي على النبي ياناس * ويشفع لي وجمع الناس * وينقذنا من الهلكات
الايا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هي وابنها عفره واخوه فرقع الليل حتى وقعت الرحي من على راسها وسمعوا الجيران فجونا وقالوا يا ابو عفره سمعنا القصيد فسمعتهم اوله وثاني وقالوا غدا يسمع بك نصرانى البلد ويقربك وتبقى تجلس حداه ركبه بركبه ويقول لك يا عرص تقول له يا سيدي وان شا الله يعطيك كيلة شعير وقدح قمح فقلت لهم ان اعطاني شئ انعمت عليكم ولما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت ام عفره للسقط تطبخه فقالت لي يا ابو عفره بقا عليك البخور فقلت لها وحياة شلشولك ما بقي معي فلوس وانا قشلان فقالت لي من خلي شي لعقبه الزمان ينفعه انا خليت في الصومعه اربع بيضات خذهم ولا تقل الحذقاره الناس تحسد الناس وخصا اليوم عيد وانت اليوم يا ابو عفره في نعمه كبيره هات لنا بيضه نرسيه وبيضه محلب وبيضه نعناع وبالبيضه الرابعه عصفر نزعفر به تياب ابنك عفره واخوه فرقع الليل حتى يبانوا بين اولاد الكفر ويبقى لهم الكلام والحمد لله عندنا شويه زيت حار ادهن بها شعر راسي وتدهن بقيتها دقنك وشواربك

وتنط بين الجدعان وتنبط على شلشولك كيف شلشول العنز التميار
فخدت الاربع بيضات وجبت لها ما طلبته ولقينا فى كرش الجدى شوية
فول صحيح خدته ام عفزه وفركته بالفراكه حتى بقى مثل البيسار وقلت للطعام
بتوم وزبيت حار وصبته عليه حتى بقى مثل طعام المشد وجونى الشبان
والجدعان يغنوا حولى ويخبطوا بالنبابيت فرقت عليهم ام عفزه
لقانة طعام فاكلوا وفرحوا ولعبوا ورقصوا والمرد بينهم وكان يوم
ما عاد يجى مثله فقالوا له اصحابه زمانك يا بو عفزه ولى وراح وانت
الناس وجاروا علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح يورد لاستاذه
المال فانزله فى محل فيه طاقة مفتوحة تشرف على حريم الامير فلما جاء
الليل قال الفلاح فى نفسه يا ترى يا بو معيكه الامارة لما يختلوا بنسوانهم
كيف يفعلوا ولكن انظر كيف ما يفعل استاذك مع امراته ولما تروح
الكفر احكى لام معيكه تعمل ذالك العمله مثل ما تعمل الامارة وتحضيك
ام معيكه بذالك العمله ولابد ما يرطنوا على بعضهم البعض بالتركى
وانت تنضر طريقة ما يعملوا بحريمهم وتبقى تقول للجدعان انا بقيت
مثل الامارة وتبقى ام معيكه مثل امراة الامير استاذ البلد ثم انه
صبر الى الليل ودخل الامير الى منزله فقام الفلاح ونظر الى الطاقة
قال فرايت الامير جالس على سرير من قفص والاعاج اللى يقولوا عليه
الناس وعليه الفرش يلمع وجلست زوجته على سرير مثله وصار الامير
يلاطفها ويحاكيها بالكلام ما يعرف بيقولوا ايه شردم بردم بالتركى
ومرة بالعربى الى ان اشتهى منها قضا الحاجه فخد من جنبه وردة
ورماها بها فجت له بحسنها وجمالها على احسن حال واتم سرور وعملوا
ذالك العمله وبعدها كل واحد منهم نام على سريره ثم لما اصبح الصباح
اخذ الفلاح خاطر استاذه وتوجه الى بلده فلما طلع الكفر لاقته زوجته
ام معيكه ومعها زلعه ملانه ماء من الفحيره فسلمت عليه وجلست هي
واياه فى منادمة مثل منادمة القرود او برية الهنود الى ان سالته

عن المدينه وعلى استاذ البلد فقال يا ام معيكه المدينه مليحه ولا
صعب غير الشخاخ فيها لانهم لا يشخوا الا في نقره وهي مبنيه كيف دارنا
ولا مليح كما في الامراة استادنا تشن وترن وعليها خلقان ملاح كيف
نوار الفول ونوار ابو النوم احمر واصفر وعلى راسها طقيه مثل طقيتي
اللي البسه في ايام العيد اللي شريته ايام الفرح بنص فضه جدد وفي
ايديها اساور ضفر الله اعلم انهم من سباط النخل ولابسه قميص احمر
مخيط مثل الزكيبه اللي نعبي فيها الفول الاخضر وفي سيقانها حجل
كيف حجل ام دعموم اللي شريته لها بنصين فلوس جدد ولابسه
شايه خضره الله اعلم انها صبغتها ببرسيم ويا محسنها وقت داك العمله
اللي يعملوها الرجال مع النسوان فخاطري يا ام معيكه تعملي لي مثلها
حتى يبقوا يقولوا الناس ومشايخ الكفر بقا ابو معيكه مثل الامارة
فقالت له يا ابو معيكه احكي لي على اللي شفته من امراة استادك فقال لها
لما رحت المدينه وطلعت للاستاد حطني في مطرح فيه طاقه تطل
على الحريم وعلى المطرح اللي ينام فيه الامير فصبرت لما دخل الليل وبقت
الغلس كيف الكلب وبقي الامير استادنا قعد على خشبه سوده ومربوطه
بشراميط لها اربع رجلين كيف عرش المقاتات اللي نعمله ايام البطيخ
في الغيط وقعدت امراته على خشبه كيفها مثل جرافه الغيط وبقا
يكلمها بكلام الجادي يقول لها شلضم بلضم تقول له شقلب مقلب حتى
انتهى منها داك العمله فخدفها بنوارة حمره مثل نوار ابو النوم فبقا
تشن وترن حتى جت الى عنده وعمل فيها العمله فقالت له ام معيكه
وحياة شاربك اللي مثل شارب التيس لاعمل لك مثل عمل الامارة وتغش
على مشايخ الكفر اصبر لما يجي الليل تبلغ مرادك قال فصبر الفلاح حتى
دخل الليل فقال لها اقعدي في مدود للحمار وانا اقعد في مدود
البقره قصادك ففعلت وقعدت في المدود وعليها الشلاتيت
والشراميط وآثار الجله فيها وفيها الشخاخ ايضا قال فلما خطر للتعيد

الناصية قضاء الحاجة بعد أن صار ربنا دفها بكلام مثل نبيح الكلاب
شياط وعياط وسؤالات عن البقر وعن العجله والتور والجله وغير ذلك
آراد أن يرمها بشيء مثل ما فعل الامير فحط يده على المدود فرأى قالب
طوب محروق فخده وحدفها به فوقع في وسط راسها ففلقها وسال الدم
فصرخت باعلى صوتها فاقبلوا الجيران والمشايخ ووصل للحاكم الخبر
فاقبل هو وطائفته وسال عن القضية فاخبروه بها فاخذه وضربه
ضربًا موجعًا واحضروا للمراة جرايحيًا فقطب رأسها ومكث يعالجها
شهرًا كاملًا الى ان برئت فانظر الى هذا التعيس النحيس وقلة عقله
الخسيس كيف ظهر من ملاعبته لزوجته الهم والنكد وقيام الغارة
في البلد (واتفق) ثلاثة انفار من خوفة الريف ارادوا الطلوع الى
المدينة فساروا حتى قربوا منها فقال كبيرهم وصاحب الرأى فيهم
اعلموا ان مدينة مصر كلها جنادى وعسكر يقطعوا الروس واحنا
فلاحين وان لم نعمل مثلهم ونرطن عليهم بالتركي والا قطعوا روسنا
فقالوا له اصحابه يا بو دعموم احنا ما نعرف شئ بالتركي ولا غيره فقال
لهم أنا تعلمت التركي زمان من مرة ماكنت اقعد حدا المشد والنصرانى
ركبه بركبه حتى تعلمته منهم فقالوا له اصحابه علمنا التركي فقال لهم
اذا اطلعنا المدينة نروح للحمام اللي يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحما فيه
ونغسل جلودنا ويقولوا ان فيه نقرة غويطه يشخوا ويخروا فيها
وبعد ما نخرج من نعيم الدنيا نعقف ونلتف في بردنا ونتمشى امرنا
اقول لكم قرداش محمد قولوا اهاه نوار اقول لكم محاكم شي برمنقار قولوا
يوق يوق فيخاف صاحب الحمام ويقول لعقله دول جنادى غرب
يقطعوا الروس ويخلينا نخرج من غير فلوس وتهيبنا الناس ونبقى
في مصر مثل الامارة ويشيع خبرنا عند الكفر اننا امارة نرطن بالتركي
فيخافوا منا مشايخ الكفر ولا يبقى لهم علينا كلام ابدًا فقالوا له اصحابه
دى شورة صواب يا بو دعموم قال فساروا حتى وصلوا مصر

وسألوا عن الحمام فدلوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابيط ورموا البرد والشلاتيت وصاروا عرايانين مثل ما يفعلوا في البرك والابيار فقال لهم صاحب الحمام استروا انفسكم فارادوا ان يأخذوا بردهم ليستروا بها فرمى لهم صناع الحمام فوط قدم من رجيع الحمام فربطوها على عوراتهم غصبا عنهم وصارت عوراتهم في الغالب مكشوفة وابورهم مدلية ودخلوا الحمام مثل فحول الجاموس او المعز او التيوس حتى بقوا داخل الحمام وغسلوا ما عليهم من الوسخ والسخام وغطسوا في المغاطس مثل الثيران والجديان وخرجوا مع بعضهم البعض وقد تزلزلت منهم الارض وهم في حالة الاثوار وصورة الابقار حتى لبسوا الزعابيط وتلفعوا بتلك الشلاتيت وسحبوا تلك النبابيت على الاكتاف وارادوا الخروج بلا اخلاف قال فصاح عليهم صاحب الحمام هاتوا الاجرة يا عرصات فالتفت كبيرهم وقال لاصحابه قرداش محمد فقالوا هاه نوار فقال لهم معاكم شي برمنقار يعني جديد فقالوا يوق يوق يعني ما معنا شي فقال لهم صاحب الحمام اي وقت يا تيوس تعلمتم التركي المعكوس وبقيتم اماره وما هذا التركي الذي يشبه الخرا اقسم بالله لا يخرج منكم عرص حتى يحط الاجرة بزياده قال ثم انه امر المحابيه بمسكهم وضربهم واخذ البرد منهم وخرجوا من عنده وتداركوا في الاجرة وقد افترمنوها من اهالي الكفر وخلصوا بردهم وتوجهوا الى حال سبيلهم (وطلع رجل منهم) المدينة فصادف الجلاد ينادي في الاسواق على رجل يستحق القتل فظن انه ينادي العونه يا فلاحين ففر هاربا الى الكفر فرأى جماعة من بلده يريدون الذهاب الى المدينة فقال لهم لا تطلعوا المدينة فانهم ينادوا فيها العونه والسخره فقيل انهم مكثوا ثلاث سنين ما يطلعوا مصر خوفا من العونه والسخره فانظر الى قلة عقولهم وخساسة رأيهم (وطلع رجل منهم) ووقع على شاطئ النيل يوم الجمعة فرأى الناس قاصدين الى صلاة الجمعة

فاعتقد انهم ذاهبون الى ضيافة او الى هروبة صنعها لهم امير البلد
فذهب الناس الى ان دخلوا المسجد فذهب معهم وجلس في بعض الصفوف
الى ان اقبل الخطيب وصعد على المنبر فل فضل الفلاح ينظر اليه وهو
مرتاب وخائف ومتحير الى ان فرغ الخطيب واقيمت الصلاة وسمع
ضجيجهم بالتكبير والتهليل فاعتقد انها هرجة وقعت بينهم قال فصاح
الفلاح يا السعد يا لحرام الله وكبر وسحب النبوت وخرج هاربا وهو
يقول خدوك القوم يا بوكتكوت ولم يزل في خوف وكرب حتى وصل الكفر
فلاقاه اصحابه وسلموا عليه فراوا احواله متغيرة فقالوا له ايش اصابك
ودهاك يا بوكتكوت فقال لهم يا ما قاسيت في دي السفرة كانوا القوم
مرادهم ياخدوني ولولا اني سحبت النبوت وخرجت هارب والا كانوا
قتلوني فقالوا له ايش الخبر يا بوكتكوت فقال لهم وقعت هرجة كبيرة
ولا سلمني الا الله والشيخ ابو طبل فقالوا له احكي لنا على ما جرى لك
فقال لهم دخلت بلد على البحر الكبير فرايت ناس كتير رايحين زي قطايع
الغنم فقلت لا بد ماهم رايحين لضيافة او لهروبة فرحت معاهم حتى دخلنا
دار كبيرة فيها حجاره طوال مستقامه زي الدعايم بتوع العريشة اللي نعملها
في الغيط وعليها قناطر مبنيه زي قناطر الصابون وفيها حبال مدليه
زي حبال التيران في كل قنطرة حبل وفي جنب حيط من حيطان الدار
خشبه عاليه لها سلالم زي سلالم الغرفة اللي نعملها على البيوت من الكرس
والطين ونلطخها بالوحل من اولها لاخرها وللخشبه دي طاراس كبيره
زي الناطور اللي نعمله في المقات وقصادها عريشة صومعة زي
العريشة اللي نحرص عليها الدرة والحمص في الغيط ولها سلالم فطلع
فوقها جماعه وقعدوا فيها ساعه وقام واحد منهم وحط ايده في ودنه
وقال كلام ما حد يعرفه الا واحد خرج من حاصل في جنب الدار عليه
عمامة كبيرة الله اعلم انه قاضي ومعاه سيف ساحبه وشق من بين القوم
بقلب قوي ووجه كاشر زي وجه تيس الوسيه وما صدق الطالع على السلالم

سلم سلم حتى قعد على السلم الاخرانى وهو آخر السلالم وبقت القبه فوق راسه ونضر للناس اللى تحته وبهت فيهم وكشر عن انيابه وهو ساكت غضبان كل من شاف شواربه شح على روحه وخاف بحالكم ولا عمرى شفت اقوى قلب منه ولا اشد حيل وكولا انه راس صابيه ماكان عمل دى العمل وطلع وشد وسحب السيف على القوم وبعدها واحد من الجماعه اللى على العريشه قصاده قام بقلب قوى وصار يشتمه ويسبه ويقول له كلام كتير فانحمق لاخر منه وشتمه ولعنه ووقعوا فى بعضهم البعض شتم وسب ولعن وبعدها نزل الراجل اللى على الخشبه وهو حاط السيف يعارك فى الناس اللى تحته قاعدين فلما انا فوض نازلهم بالسيف قاموا على حيلهم وصرخوا وقالوا الله وكبر وقامت العيطه وكنت اسحب نبوتى وخرجت هارب وما سلمنى الا الله وبركة الشيخ ابو طبل فقالوا انه اهل الكفر والله يا بوككوت لولا عمرك طويل ماسلمت من القوم وكانوا قتلوك وانت تعرف ان بلاد البحر كلها قوم والقتل عندهم من خطوه فقال لهم يا شيوخ الكفر ما عدت اروح بلاد البحر طول عمرى فانظر الى قلة عقلت هذا الفلاح ومن جهله وصقاعة ذقنه لا يدرى الصلاة ولا الجامع من قيام المرحبه (وانفق) لثلاث نسوة من عواهر مصر خرجن يتفرجن في ازقة المدينة يلقين رجلا من خوف الريف وهو فى حالة رذيلة وعلى راسه قفص ملان من الفراخ يريد ان يبيعها ويسد بثمنها مال السلطان فقالت احداهن للاخرى ما تقولي في اللى ياخذ الفراخ من الفلاح ده فقالت الثانية وانا اخذ ثيابه وقالت الثالثة كل ده ما هو شطاره الشطاره في اللى تبيعه بيع العبيد والمقداف والخرافه (قالت) ان الاولى التي التزمت باخذ فراخه اقبلت اليه ورغبته بزيادة في الثمن وكل قضى معها الى ان اقبلت على درب من دروب مصر وبيت نافذ له بابان بابان من جهة اخرى وقالت له اقعد هنا على الباب ده فانه باب بيتي واصبر حتى اجى لك بالفلوس ثم اخذت القفص بالفراخ ومضت الى حال سبيلها

من الباب الثاني ولم يزل الفلاح جالسًا على الباب ولم يأت احد وراى
الناس داخلين خارجين من ذلك الباب فتحير في نفسه وقال لا بد
ان دى دار كبيرة وسأل عن المرأة التي اخذت الفراخ فقال له الناس
يا سقيع الدقن وقليل العقل البيت دى نافذ وكم ناس رجال ونسوان
داخلين خارجين قال فمشى الفلاح فرأى دربًا نافذًا من الباب
الثاني فأحتار وصاح ولطم على وجهه واقام الصراخ فبينما هو في
هذه الحالة اذا اقبلت عليه المرأة الثانية وقالت له ايش صابك وديها
يا مسكين وانت راجل غريب وعليك حال السلطان وضحكت عليك
دي العاهرة وخدت منك الفراخ وتركتك في دى الحالة فقال لها الفلاح
وحياة عيونك يا مليحة ما معي غيرهم فقالت له امش معاي الى بيتنا
وانا اعطيك شي من الدراهم صدقة عني فقال لها الفلاح الله يخزيكي
وانا الاخر لما اروح الكفر ازورك بجرة من الحلاوة وحزمة بصل وشوية فول
تبقى صاحبتي وان شا الله اجيب لك كمان عشرين قرص جله قال فأخذته
وسارت الى ان اقبلت الى بيت كبير عالي البنيان فسألت عن صاحبه
فقالوا لها هذا بيت الامير فلان وقد توجه هو وطائفته الى بعض
المتنزهات قال فدخلت البيت فلم تر فيه احدًا سوى رجل كبير بواب
فدخل الفلاح معها الى وسط البيت فرأت فيه بيرًا من الماء تملا
منه الحريم قال فوقفت ونظرت في البير ثم انها ولولت وصرخت
وبكت بكاءً شديدًا فقال لها الفلاح بتبكي ليه يا مليحة فقالت له
يا فلاح كعبك مشوم وقعت اساورى الدهب في البير فقال لها ما
تخافيش انا انزل وطلعهم لكي من البير فقالت له تعرف تغطس في الماء
فقال لها دي صنعتي وطول عمري في الهم والغم وخصادي السنة التي
خرى فيها الضعيف والقوي ثم قال لها اربطيني في حبل البكرة ودليني
في البير ثم انه قلع ثيابه التي كانت عليه ودلته في البير الى ان وصل الى
الماء فارخت الحبل عليه واخذت ثيابه وتوجهت الى حال سبيلها

(هذا ما كان منها) واما ما كان من الفلاح فانه لم يزل يغوص في الماء
ويفتش في قعر البير حتى كل وملّ واسودّ جلده من برد الماء وكانت ايام شتاء
ولم ير شيئا قال فلما اشتد به الامر صار يصيح وينادي المراة فلم يجبه احد
فبينما هو في هذه الحالة اذا اقبل الامير وطائفته فسمعوا الفلاح
يصيح في البير وينادي طلعيني يا صبيته طلعيني يا مليحه دا ما هوش
مليح منك وداعيب عليكي وانا مت من السقيع والبرد فقال له الخدم
انت انسي ام جني فقال لهم انا ابو زعبل بن جنيجل بن كلب المش فقالوا دا عفريت
لا كلام فقال لهم والله يا وجوه الخير ما انا عفريت انا راجل فلاح وحكى لهم
قصته قال فدلوا له الحبل فتعلق فيه فلما راه الخدم وعلموا انه انسي
قالوا دا حرامي وقع في البير فنزلوا عليه بالضرب والصك وطردوه
وراح يجري وهو عريان بردان جيعان سقعان وهو لا يعرف اين يذهب
(قال فاقبلت عليه المراة الثالثة) وهو في هذه الحالة وقد صار الاولاد
تضربه ويقولون مجنون فوضعت يدها على ظهره ومسحت وجهه
بمنديل كان معها وسترته بفوطه وقالت له امرك الى الله يا مسكين
يا حزين ضحكت عليك نسوان مصر العواهر وخلوك في دي الحالة +
وانت راجل غريب وعليك مال السلطان قال فبكى الفلاح وشكى وقال لها
يا مليحه وحياة شلشولك خدوا فراخي وثيابي وحزامي الليف وشدي
ومركوبي وما عدت اصدق كلام نسوان ابدًا فقالت له لا تظن اني
من عواهر مصر انا عمري ما خرجت من بيتي غير النهار ده ولما رايتك في دي
الحالة شفقت عليك ومرادي اعمل معك جميل واخدك الى بيتي والبسك
لبس مليح وخليك شلبي ظريف واعملك مملوك وحط لك خنجر في حزامك
وعلمك التركي وتبقى تقول شندي بندي على فلاص جعاص فقال لها
الفلاح انا في عرضك يا مليحه تعمليني جندي وتعلميني التركي وانا علي
الحلال من ام شحيبر كل من عاد يقول لي كاني ماني في زماني قطعت راسه
ولو كان ابو عوكل شيخ الكفر فقالت له سر بنا يا فلاح على بركة الله تعالى

قال فسار معها الى ان اقبلت الى منزلها فادخلته فيه ووضعت بين يديه
الطعام فاكل وشرب وارتاح فى نفسه ثم انها اتته بماء ساخن وغسلته
بالليف والصابون والبسته قميص وزبون وشخشير جوخ وقاووق
قطيفه وشاش قصب وحزمته بحياصه وخنجر فى حزامه وحلقت لحيته
وشواربه وجعلته مملوك حليق واعطته بابوج جديد ومحرمه فى حزامه
وقالت له اذا كلمك حد فلا ترد عليه جواب بس هز راسك فاذا الح عليك
حد فى الكلام بالجافه وشدد عليك قل له كرنه هر يف بوك يمه ولا تزيد
عليه غير ذلك فان الكلمه دى اصل التركى اذا عرفتها ما يمضى عليك شهر
زمن الا وانت صنجق ويبقى لك طبل وزمر فقال لها الفلاح انا فى جيرتك
يا مليحه تخلينى ابقى صنجك ويصير لى سطوه فى الكفر وكل من قال لى كلمة
خزا اقطع راسه وابقى ان شاء الله ازورك بربع كتك وعشر طيور لحاك
من التى تعمله ام شحيبر واحمل لك قاعه واكبسها لك بالوحل والجله وافرشها
بالتبن والقصل وتبقى تنامى فيها ويبقوا يقولوا الجدعان ابو شحيبر طلع
المدينه فلاح ورجع جندى يقول شندى بندى ويقطع الروس
قال ثم انها اخذته ونزلت من منزلها تمشى وهو يمشى خلفها الى ان اقبلت
على سوق خان الخليلى وجلست على دكان من الدكاكين وصاحب الدكان
تاجر من عمد التجار وعنده انواع الاقمشه من الخز والديباج والاطلس
والشاشات وغير ذلك فقالت له اريد منك كذا وكذا مما يساوى الف
دينار فاحضر لها ما قالت عليه وربطته فى بقجه كانت معها وقالت له
يا سيدى يكون المملوك ده عندك رهن حتى اروح الى بيت الامير واعرض
على حريمه القماش واجيب لك الدراهم فقال لها التاجر توجهى على بركة الله تعالى
قال فاخذت الحوايج وتركت الفلاح عنده جالس (هذا ما كان منها) واما
ما كان من التاجر فانه مضى نصف النهار ولم تاته المراة فضايق والتفت
الى الفلاح وهو فى هذه الحاله فقال له ستك بطت علينا فهز راسه بحكم
ما اوصته فكرر عليه التاجر الكلام فهز راسه اول وثانى ولم يتكلم فضايق

التاجر من عدم الكلام وقال لجيرانه من التجار ما هذه البلية في هذا المملوك
كلما اكلمه يهز راسه كانه ما يعرف الا بالتركي قال فبينما التاجر على هذه الحالة
اذ اقبل عليه رجل عسكري فقال له التاجر بالله عليك يا سيدي تكلم لنا هذا المملوك
بالتركي وعرفنا عن حاله قال فكلمه الجندي بالتركي فهز راسه فاغتاظ
منه وسل عليه السيف واراد ان يضربه فلما رآه يريد ذلك واشتد عليه
الامر صرخ الفلاح وقال له كرته هريف بوك يمه قال فلما سمع منه ذلك
نزل عليه بالضرب فصار الفلاح يتكلم ويصيح بكلام الفلاحين ويقول
انا في جيرتك يا بوزعبل فضحك عليه الجندي وبقية التجار واستخبروه
فحكى لهم على القضية فعرفوا انها حيلة عملت على التاجر والفلاح قال
فقام التاجر وعراه واخذ جميع ما عليه واراد بيعه للمقداف فتشفع
له الحاضرون فتركه ومضى الى حال سبيله عريان محلوق اللحيه وهو في
اتعس حال حتى وصل الكفر ومكث مدة حتى طلعت لحيته ولم يطلع المدينة
بقية عمره وقيل ان التاجر باعه للمقداف بعشرين دينارا ومكث سنة
وخلص روحه بالهروب ليلا انتهى (وطلع رجل من الارياف) الى المدينة
فحصره البول والغائط فسال عن عطفة يخرا فيها فدلوه على الازهر فدخل
يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة فرأى الناس مزدحمين على
بيوت الاخلية فوقف على باب كنيف يرفع رجلا ويضع اخرى من
شدة ما هو فيه من الحصر فطال عليه الوقوف واشتد به الامر فهجم
على الرجل الذي في الكنيف وقبض على اطواقه ورفع ثيابه وجلس
بجانبه وقال له دي نقرة غويطه طويله اخرا انا واياك فيها كل
واحد من جنب ولم يزل قابضا على الرجل حتى قضى حاجته على الرجل وقام
يجري من غير استنجاء والناس يضحكون عليه حتى غاب عن اعينهم
(وطلع رجل آخر من الارياف الى المدينة فادركه الغائط فتحير ولم يعرف
له عطفة يخرا فيها فلما اشتد به الامر شكى الى ابن مصر حرسها الله تعالى
وقال له تضايقت من البول والخره كلما اردت ان اشخ قدام دكان يمنعوني

الناس ويشتمونى فقال له يا فلاح المدينة ما يخرا فيها احد الا بفلوس
ان كان معك فلوس دلينك على عطفه او نقرم تخرا فيها والا تخرا
على روحك فقال له وحياة دقنك ما معايا الا نصفين فلوس جدد
كنت بعت بهم بعض خدهم ودلنى على محل الخره وابقى ازورك بعشر
بيضه وجانب كبير قال فاخذ منه النصفين ودخل به الى جامع
واتى به الى بيوت الاخلية واوقفه على بيت الخلاء وقال له اذا خرج
الرجل ادخل انت تجد شق طويل ونقرم غويطه شى واخرا فيها قال
فوقف الفلاح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخله يخرا ويقول
قطن قطن قطن ويكرر هذه الكلمة قال فسمع الفلاح مقالته
فظن فى نفسه ان الشخص فى مصر لا يسهل عليه خروج الخارج الا
ان قال هذه الكلمة وصار يكررها الرجل مع الحزق الشديد فاكد
مع الفلاح وكان السبب فى تكرر هذه الكلمة التى يكررها الرجل
فى بيت الخلاء هو ان زوجته لما خرج من عندها قالت له اشترى لنا
قطن وكان كثير النسا فصار يكرر اسم القطن حتى لا ينساه ودخل
بيت الخلاء وهو يكرر اسمه حتى وقف عليه الفلاح وسمع كلامه قال
فلما قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاح وجلس على كرسى بيت
الخلاء وصار يقول قطن قطن مثل الرجل فبينما هو فى هذه الحالة
اذ اقبل رجل عسكرى وطرق الباب على الفلاح فقال الفلاح قطن قطن
فتضايق الجندى وتنحنح له اول وثانى وثالث والفلاح يقول انا
ما بقول قطن قطن فهجم عليه وصار يضربه وهو يصيح والجندى يقول
له يا انجس الفلاحين ابكش قطن قطن وانت فى بيت الخلاء
ولم يزل يضربه حتى اقبل الناس عليه وخلصوه منه ولم يزل يجرى
حتى خرج من المدينة ودخل بلده فلاقاه اهل البلد وسلموا عليه وقالوا
له كيف حال المدينة يا بو دعموم فقال لهم المدينة مليحة الا انك تاكل
فيها بجديد وتخرى فيها بنصفين وان قلت قطن قطنوا اعينيك من الضرب

(وطلع رجل آخر المدينة) فصادف رجلاً من غلمان استاذه فعزمه الى منزله
واحضر له سمكاً صغيراً مقلياً يسميه اهل مصر بسارية له لذة في الطعم
قال فصار الفلاح يشف منه ولم يعرف ما هو ثم قال في نفسه داشي
عمرك ما اكلته ولا دريته ولابد يا بوقريطم اظن انها الكنافة اللي يقولوا
عليها تطلع في المدينة وياكلها الامارة وغدا تطلع الكفر ويلاقوك
المشايخ والجدعان ويسلموا عليك وتقعد انت واياهم على كوم ابو
عنطوز تنفش الصوف وتبقى زي الكلاب الكواشر وتبقى بينهم تحمحم
زي تيس الوسية ويقولوا لك يا بوقريطم قل لنا ما اكلت في المدينة
من الطعام اللي ياكلوه الامارة تقول لهم اكلت الكنافة فما يصدقوك
ويقولوا تكذب يا عرص فالصواب انك تاخذ لهم عضمتين من عضامها
وتحطهم في قحفك ولما يكابروك تقلع بالعضم عينهم قال ثم انه خط
في قحفه شيأ يسيراً حتى طلع على الكفر فاقبل اليه مشايخ الكفر زي الكلاب
الشعرانة وهم ذنذوف وشحيته وزعيبر وبعيبر وترو وفرو وقنافد ولقالق
وزدارة ونبالك الحارة وسلموا عليه وقالوا له يا بوقريطم اطلع بنا الكوم
وقل لنا على المدينة وما اكلت فيها فقال لهم المدينة مليحة قوي وفيها جنا دعج
كثير قوي وفيها الخيار الاصفر خدت منه بجديد وخدت بجديد مقيلي
وخدت من اللي يقولوا عليه الحصر كرشه اللي يبيعوها على الخشبة العالية
العريضة زي الجوافر واكلت وتنعمت واشترفت حتى خدت كمان وحياة
لحاكم بجديد ترمس مملح واكلت فول حار فقالوا له يا بوقريطم كثر عليك
مال السلطان وعماليك دي ما هي الا رزق وانت عمرك بتصرف ولا تحسب
حساب الزمان فقال لهم الرزق على الله يا شيوخ الكفر واقول لكم كماني اكلت
الكنافة اللي بياكلها الامارة قال فلما سمعوا قاموا على حيلهم وكذبوه
فقلع قحفه من على راسه واوراهم عضم السمك فلما راوه صدقوه
وصدقوا الكلام وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنوا احرابي وزغرطت
النسوان وقالوا له يا بوقريطم بقيت زي الامارة وغدا انشالله في الكفر

يشلش عليك ويقول بني ابو قريطم سعيد وياكل ما تاكل الاماره ومتى
ما بلغه الخبر يشبعك المقداف او الجرافه وانت تكتم السر ولا تقول
لا لقريب ولا لغريب اكلت الكنافه ابدًا فقال لهم يا شيوخ الكفر انتم تكتموا
الخبر وتحلفوا لي على الشيخ ابو طبل فحلفوا كلهم ان لا احد يبيح بذا القضيه
فانظر الى قلة عقولهم وشدة جهلهم (وطلع رجل منهم المدينة) يبيع بيض
فاشتراه منه رجل جندى وقال له امض معى الى المنزل خذ الفلوس
فمضى معه فحصر الجندى البول فرأى فى طريقه كنيفًا فدخله ليقضى
حاجته فوقف الفلاح ينتظره فابطا عليه فدق عليه باب الكنيف
فتنحنح الجندى فصاح الفلاح وقال اعطينى حقى يا جندى ما يحل
لك من الله تاخذ بيضى وتخلينى واقف على باب بيتك كلما اكلمك
تتنحنح واقام الفلاح الغارات والصياح فاقبل اليه الناس فخرج
الجندى وهو قابض على سراويله ومسك اطواق الفلاح وصار يضربه
بالحرمة التى فيها البيض حتى كسره على رأسه وسال على لحيته وشواربه
والناس يضحكون عليه ثم خلصوه وفر هاربًا (وطلع آخر المدينة)
يبيع تبن فاشتراه منه رجل واعطاه الدراهم فاراد ان ياتى الى رجل
صيرفى لينقدها له فسال عن دكانه فدلوه عليه فاتى اليه فلم يجده
فسال عنه فقال له ولد صغير انه ذهب الى قضاء الحاجة فقال
للولد بالله دلنى عليه فاخذ الولد الفلاح وتوجه به حتى اوقفه على
بيت الخلاء والصيرفى من داخله يقضى حاجته قال فهجم الفلاح
على الصيرفى وفى يده الدراهم وقال له خذ دى الفلوس وبين لى منها
المقصوص من النحاس لانى راجل فلاح وعلى مال السلطان ودلونى
على بيتك ده قال فاندهش الصيرفى وقام وهو قابض على سراويله
يضرب الفلاح والناس يضحكون عليه وصار لهم هيجة وضجة عظيمة
فانظر الى عدم ذوق الفلاح وجهله وكونه لا يعرف بيت الخلاء من غيره
(ومما اتفق) ان قيم الشام فى عدم الذوق سافر الى مصر ليزور قيمها

في عدم الذوق ويفتخر عليه بملعوبه حكم ما تلعب اولاد الغرز قال فما
حتى وصل الى مصر واجتمع بقيمها في عدم الذوق فسلم عليه فقال له قيم
مصر ما تريد يا قيم الشام قال اريد ان العب معك في عدم الذوق
وكل من كان اعدم ذوق من صاحبه وشهدت له الناس بذلك يكون
قيم مصر والشام فقال له حبا وكرامة في غداة غد ان شاء الله تعالى
نجمع اصحابنا عديمين الذوق ونلعب انا وانت في عدم الذوق وتبين
شطارتك قال فلما اصبح الصباح جمع قيم مصر طائفته في عدم الذوق
وحضر قيم الشام وقال له العب واجتهد في عدم الذوق قال فذهب
قيم الشام واحتطب حزمة حطب كلها شوك وسنط وحملها على اكتافه
وشق بها بين الناس في الزحام فصار الشوك والسنط يشتبك في ثياب
الناس وهم يستعدموا ذوقه ويسبوه ويلعنوه الى ان تم ملعوبه
واتى الى قيم مصر وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيم مصر
بقا شي عندك من عدم الذوق غير دا تفعله قال لا فقال له دي ما هي
شطارة لان الناس استعدموا ذوقك لكونك اذيتهم وشوشت عليهم
وانا افعل العجب من ده وهو اني اخلي الناس يستعدموا ذوقي بالورد
والنسرين والريحان واشباهها فقال قيم الشام هذا شي له ريحة طيبة
وزي ما تعمل فقال له بكره تشوف ما اعمل فلما اصبح الصباح قال قيم مصر
لقيم الشام تعالى معي وانظر ما اخبرتك عنه البارحة قال فمضوا جميعا
حتى اقبلوا على بياع الزهور فاخذ قيم مصر منه شيئا يسيرا من الورد
والنسرين والريحان ومضى هو وقيم الشام والطائفة حتى اقبلوا على ميضاة
المسجد والناس في ازدحام وقت الصلاة في بيوت الاخلية فصار
قيم مصر يدخل على الرجل وهو جالس في بيت الخلاء وبيده الورد والنسرين
والريحان ويقول له خذ يا سيدي شم الورد وغيره يبقى نهارك مبارك
واعطيني ما تيسر فيتضايق منه الرجل ويسبه ويلعنه ويستعدم ذوقه
ويقول له ما اعدم ذوقك انظر انا في خرا ولا في ريحان وصار يدخل

ورواية ام (والاثم

على هذا وعلى هذا والناس تسبه وتلعنه بهذه الفعلة قال فعند ذلك اقر على نفسه قيم الشام انه عديم الذوق تحت حكم قيم مصر وتحت امره واخذ خاطره وتوجه الى بلاده (ونظير ذلك) ما اتفق ان ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل الشام والمسامرة معه واللعب والانبساط فتوجه اليه حتى بلغ دمشق واجتمع بثقيل الشام وسلم عليه فاخذه الى منزله ووضع بين يديه المأكل والمشرب ثم انه ساله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلم مدة ثلاثة ايام حتى اكل جميع ما كان عند ثقيل الشام مما جمعه من الثقالة والرذالة وبعد الثلاثة ايام قال له يا اخي اخبرك عما حصل لي في الطريق وهو اني سافرت مع القافلة فعدمنا الماء في بعض المراحل فتوجهت نحو جبل بالقرب منا فرايت في جانبه بئرا محجورة وفيها ماء كثير فقلعت ثيابي ونزلت فيها ولم ازل نازل نازل نازل وصار يكرر هذه الكلمة على ثقيل الشام وهو نازل في الاكل والشرب مدة ثلاثين يوما فقال له ثقيل الشام يا هذا ما بقي عندي شيء تاكله وآخر نزولك يا اخي ما فعلت في البئر فقال له فلما انتهيت الى قاع البئر وجدت فيه حجر طاحونة فوضعته على كتفي ولم ازل طالع طالع وصار يكررها فقال له ثقيل الشام امسك ما معك انت مكثت مدة ثلاثين يوما وانت نازل في البئر من غير شيء فكيف طلوعك وانت حامل حجر طاحونة اشهد لك انك قيم الثقلاء في مصر والشام وانا من تحت يدك انصرف عني قال فاخذ خاطره وانصرف بعد ان كتب له محضرا بذلك انه قيم مصر والشام في الثقالة والرذالة وعدم الذوق (واعلم) ان اهل الثقالة على انواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات قال الشاعر

ونقيل قال لي صفني * قلت ايش فيك اصف (كل ما فيك ثقيل * حل عني وانصرف)

وقال آخر * وثقيل تبسما * اصبح الكون مظلما (حط في الشرق رجله * مالت الارض من الشما)

فمن كان فيه هذه الثقالة وحوى هذه الرذالة ينبغي الرحلة عنه والفرار منه

قال الشاعر * لا ارحل عن بلادك الف عام * مسيرة كل عام الف ميل
ولو كانت بلادك الف مصر * ويروى كل مصر الف نيل
تكدرت الخواطر منك حتى * قنعنا من ديارك بالرحيل
وانشد في فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل
اذا حل الثقيل بارض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(واشتكى بعض الفلاحين) رجلا الى القاضي وادعى عليه انه نزل غيطه بغير اذنه وخش منه برسيما الدابته فاحضر القاضي الرجل المدعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه الا انه ضربني وشوش علي فقال القاضي للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح انا بيك يا قاضي تود وانت اذا نزلت غيطي باهل ترى اضربك اكسر قرنك ولا اخليك تطلع سالم والا ترعى غيطي فقال القاضي اخرج قبح الله ذاتك ما اجهلك وما اقبح هذا المثل الذي تشبهني به ثم انه طرده ولم يسمع له كلاما (ويقرب من هذا المعنى) ان رجلا فلاحا دخل على الامير جماد بن بقر وانشد يقول
يا ابن بقر ما انت الا ثور * والناس حواك عجاجيل * لما تعمل بقرونك هاش * ولوا الكل جفافيل *
ومعنى هذا الكلام انت ايها الامير في هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل اي مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولوا من هيبتك مثل ما ان الثور اذا انتفض بقرونه وهاش في العجول ولت من بين يديه فانشد هذا الفلاح على حسب ما لايم حاله وناسب جهله وهباله * اقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو في القاموس الازرق والناموس الابلق واستعملها في هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف مواليا

رايت ام زغابه في المجازل تطحن وتخبز وتغزل بالمغازل * وحولها شغت سرسر من عجاجل * وهم ينطوا وهي تلعب حناجل * والعجاجيل جمع عجل كما ان الحناجيل جمع حنجول على وزن هنتول وهو مشتق من التحنجل وهي لغة ريفية فانهم يقولون فلان تحنجل اي يجري جريا خفيفا ونط نطا عنيفا ومعنى هذا الكلام اني رايت

محبوبتي هذه وهي ام زغابر في معزل من المعازل تتعاطى فيه الطحن والعجن وتغزل فيه ايضا وحولها العجول يلعبوا وينطوا وهي الاخرى تتجلى بينهم وتلاعبهم فمدح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصود عليه وشبه الشي منجذب اليه (وطلع رجل منهم المدينه) لقضا حاجة من استاذه فلما قضاها ورجع الى بلده لاقاه اصحابه وسلموا عليه فقالوا كيف حال المدينه فقال لهم المدينه مليحه فقالوا له يا ابو عوكل اشبرقت فيها فقال لهم اشبرقت شبرقه مليحه والزلابيه اللي يقولوا عليها الحضر خذت منها بجديدين وسمعت واحد ينادي في المدينه حلو وبارد ياتين فخذت منه عشرين جميزه باطابجديد وحطيتهم في مترد وعفصتهم بيدي وشربت عليهم جرة موية من البحر فقالوا له هنيالك يا ابو عوكل لكن تصنيع وتبغزق ولا تخلي فلوس واحنا خايفين ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم يا وجوه الخير الدنيا زايله يا ما ضيعنا وصرفنا فضاضي وجدايد (وقال رجل فلاح لصديق له) يا فلان عملت السنه كعك في العيد فقال له عملت رغيفين بالكيل الكبير فقال له حطيت فيهم ايدام كتير فقال له حطيت بجديدين فقال له افقرت نفسك وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقي شي عندك منهم قال بقي معي واحد اخبيه كما الجمار من كرزند يطا الى كرزهر بيط (وارسل بعض الامرا) غلاما له فلاحا بنصف فضه وقال له اشتري لنا بكعك بسمسم وهات عليه زعتر نغطر به فاخذ النصف فضه واشترى بارنبعه جدد كعك وارنبعه جدد زعتر من غير دقه ووضع الجميع بين يدي الامير فلما راه الحاضرون ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده وتوجه الى بلاده (وارسل بعض الامرا ايضا غلاما له فلاحا) وقال له خذ دي الدراهم واشتري لنا دبه (يعني بطة جلد يوضع فيها السمن والعسل) فتوجه الغلام الى الرميله وسال عن بياع الدبب فدلوه على القرداتي فاتاه وراه يلعب بالقرد والدب والكلب فصبر عليه حتى فرغ من لعبه فتقدم اليه

وقال

وقال له مرادي تشتري للامير دبه مليحه فقال له القرداتي عندي واحده مليحه روح بنا نفرج عليها الامير قال فمضى الغلام هو والقرداتي ومعهما القرد والكلب والدبه حتى دخلوا بيت الامير الذي ارسل هذا الغلام وكان في ذلك الوقت الامير حاضرا هناك وعنده جماعة من الاكابر جالسون فلما رآهم القرداتي قام يدق في الطار ويجب القرد والدبه والكلب يرقصهم ويلعبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتي ان خذ امك ده جاني واخبرني ان مرادك تشتري دبه نجيبتك بها وبالقرد والكلب تنظر لعبهم وتشتري ما تريد قال فضحكوا الاماره فامر الامير بضرب الغلام وحبسه ثم ان الاكابر الذين كانوا جالسين عنده تشفعوا فيه فاطلقه وطرده من عنده وتوجه الى بلاده * واحسن الامير للقرداتي وامره بالانصراف فانصرف (ورأيت) رجلا فلاحا يتكلم مع صديق له ويقول له يا فلان انت تعرف تقرا قال له ابوه فقال له ايش هجاك بريق فقال له بره به قاف واو فقال له ايش عرفك ان فيها واو فقال داتني عليها النقطه التي فوق الواو * فقال له ان عشت تبقى فصيح لاخوالك (وقال رجل فلاح لآخر) اسمع ما قالوا العشاق فقال له ما قالوا ابو دعموم فقال شعر مقفص لا له اول ولا آخر * لقرا قول جنيش خلوث براتنه * منزلنا يا طالعة القمروشن * فقال له دا كلام موزون فقال له دا كلام هارون الرشاد التي وقع في الجب لقفه التمساح نزل عليه الوحل في جامع الطلون التي النار برد وسلام فقال له يا نعم يا نعم كذلك عيسى بن ابو طالوب جرى له زي ما جرى (وصلى رجل فلاح) فلما نوى وقرا الفاتحه حط يده على راسه وقال آه يا راسي فقال له رجل آخر عارف بطلت صلاتك فقال له انا ما باشكي لك انا باشكي لربي وجع راسي ثم انه ركع وصلى واتم صلاته ولم يبال بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف (وصلى رجل آخر) من الفلاحين فاحرم بالصلاه وقال يا رب تخلي لنا بهايمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا

وطلع لنا زرعنا وخلى لى ولدى عنطوز فقال له رجل عارف بطلت
صلاتك فقال له الفلاح انا سمعت هذا الكلام من ابويه وجدى
قبل موتهم (وصلى آخر) فلما ركع بان ايره لقصر ثوبه وانكشفت عورته
فقبض عليه رجل آخر من خلفه فصرخ الفلاح بقوله اطلقنى فضحك
واطلقه ثم انه اتم صلاته على هذه الحالة ولم يعرفوا الصحيح من الفاسد
(وصلى آخر) فلما جلس للتشهد الاخير جاء ولده وقال يا بويه البقره
روحت من الغيط فقال وهو متلبس بالصلاة روح وخذ شخير
يحلبها فى المحلاب ثم سلم بعد ذلك من الصلاة (وصلى رجل آخر) فلما
جلس للتشهد جاء ولده وركب على اكتافه وصكه على قفاه وامسك
لحيته بيده وفيها الوحل والجلة فقال له يا ولدى انزل عنى حتى اتم
صلاتى ثم انه تشهد واتم صلاته فقال له رجل عارف صلاتك باطلة
فقال له الفلاح سمعت ابويه وجدى يقول حديث عن ام عازبه
جدتنا القديمه من لا يستقيم دقنه ما يربى ابنه واولاده الصغار
مثل اولاد المعزه وابوهم كيف التيس ينطوا عليه فقال له الرجل
قبح الله الابعد وجدته وامثاله ثم تركه ومضى (وصلى رجل منهم)
فلما كبر رفع يديه وقال والتين والزيتون والنارنج والليمون وقبر
معيكه المجنون جيتك يا رب بلحيتى وجلتى وقفاى ومركوبى لا تردنى
يا ربيه خايب لا من رحمتك ولا من رجالتك الله وكبر وركع وصلى واتم
الصلاة الفشرويه (وصلى آخر) فلما قرأ الفاتحة وبلغ قوله تعالى اهدنا
الصراط المستقيم ابدل النون ميما وقال اهدموا الصراط المستقيم
فقال له رجل عارف بطل وخلى الصراط بلا هدم قاتل الله الابعد
(وصلى فقيه ريف بجماعة) فلما قرأ الفاتحة وانتهى الى آخرها قال ولا الضالون
فقال رجل من خلفه آمون فالتفت اليه الامام وقال له لحنت فقال له
بل انت كفرت (وحكى) ان رجلا من جملة العرب صلى بآخر مثله فقال
فقال الامام هذا اللفظ شنتير كيف بنتير جماعة راكبين فيك *

جبهتهم طيراً ابابيل خلتهم مثل الفطير ثم ركع وركع الآخر واتما صلاتهما
التي لا فيش ولا عليش (وصلى آخر من الفلاحين) فلما سجد لدغته عقرب
فضرط من شدة اللدغة ثم رفع رأسه بسرعة وقال يا رب انت تعلم
اني ما ضرطت بخاطري الا غصباً عني سامحني يا رب ثم انه تشهد وسلم
(وصلى آخر) فلما سجد رأى تحت جبهته انخفاضاً فاخذ قرص جلة ووضعه
تحت جبهته واتم صلاته عليه (وصلت امرأة من نساء الارياف)
فلما تلبست بالصلاة جاء كلب واخذ من جانبها رغيفاً فامسكته
وقبضت على اذنه وشتمته ونهرته وخلصت الرغيف من فمه واتمت
صلاتها (وكان بعض الاولاد) يقرأ في الكتاب فجاءت امه واشتكته
للمؤدب وقالت له يا سيدنا الولد ده بيئذيني ويشوش علي وانا اصلي
واذا ركعت شلح ثيابه وشخ علي فقال له المؤدب احق ما تقول امك
قال نعم يا سيدنا فقال له ما السبب في انك تؤذيها وهي في الصلاة
فقال له يا سيدنا لان عبادتها باطلة لا فيش ولا عليش لكن اسألها
انت ما تقول وما تقرأ في صلاتها فقال لها المؤدب انت تحسني الصلاة
فقالت كيف لا احسنها وانا اعرفها من امي وجدتي وجدة جدتي
فقال لها اقري الفاتحة فقالت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
إذا جاءك الحج نصر الدين افتح له الباب يدخل ولو كان طواب فقال
لها المؤدب قاتلك الله ما هذا قرآن ما عدا البسملة والحمدلة فقال
الولد اسألها يا سيدنا ما تقول بعد الصلاة فسألها فقالت اقول
زي ما كانت تقول امي وجدتي سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله
قال فصاح عليها المؤدب وقال لها كفرتي يا ملعونة ثم انه التفت الى الولد
وقال له امرتك ان تخرا عليها فضلاً عن الشخاخ ثم انه زجرها وطردها
وخرجت من عنده (وصلى رجل فلاح) فلما كبر واراد ان يقرأ دعاء
الافتتاح قال الفحت وجهي للي شرح السموات والارض لاني لا حنيفاً ولا مسلماً
ولا من القوم الكافرين فقال له رجل عارف فمن اي ملة انت قاتلك الله الابعد

فقال انا من بني عقبة فضحك عليه ثم تركه ومضى (واما) اخو الجهل فشهرتهم
وأضرارهم كثيرة وامورهم لا تنحصر (ولنذكر فقهاءهم) وما يقع منهم
من الجهل المركب وقلة العقل والخبط في الدين ونحو ذلك فنقول (سئل
فقيه ريفي عن تفسير قوله تعالى يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي معنى
اقلعي فقال هذا الجاهل اي سيري مثل المراكب المقلعة (وتولى بعض فقهاء
الريف عقد نكاح) فقال للولي قل انكحتك بنتي خطيطه البيضة اللون
الشقرة الشعر التي عينها اليمين حولا وعينها الشمال بلا حول بشرط ان
ان تكون في طاعتك وتفيق لدارك وتلزق لك الجلة وتفرش لك فراشها
وتسرج لك فتيلتها على عينك ثم قال للخاطب قول قبلت نكاحها ونكاحها
وهراشها وفراشها وفرشتها (وقال شيخنا العلامة) الشيخ شهاب الدين
القليوبي نفعنا الله به زرنا سنة من السنين سيدنا احمد البدوي عمت
بركاته ونفعنا الله به في الدنيا والآخرة فلما رجعنا من الزيارة ادركنا
المبيت في قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرأيناه مثل زريبة البقر
فيه آثار الجلة والوحل وهو مفروش بسبس من الحشيش وجانب منه خال
فيه بعض عجول بقر مربوطة فجلسنا تحت المسقوف منه بعيدا عن
العجول نتذاكر في العلم فدخل علينا جماعة من الفلاحين ومعهم رجل
طويل القامة غليظ الساقين محزم على بشت من الصوف من غير قميص
حافي الرجلين من غير مركوب وعلى رأسه عمامة كبيرة عليها الدناسة ظاهرة
فقال لنا ما تكونوا فقلنا فقراء من الجامع الازهر فقال لنا تقروا القرآن
قلنا نعم فقال اسألكم على سؤال قدام مشايخ بلدي ان قلتولي عليه ورديتم
جوابي عشيتكم وبيتكم وان لم تردوا على الجواب طردتكم من البلد فاني
فقيه البلد وامامها وخطيبها وما عمر حد غلبني ولا عرف سؤالي قال فضحكنا
عليه وقلنا له اسأل عما بدا لك فقال يا فقها الازهر الصلاة لها كام عنصر
وفاين عنصرها الاولاني وعنصرها الاخراني قال الشيخ عفا الله عنه
فقال له رجل من اتباعنا الصلاة لها تلتمايه وستين عنصر الاولاني

من عناصرها دخلبك والثانى ايدك والثالث طيزك والآخر انى دقنك
قال فسكت واحتار فى أمره فقال له اهل بلده غلبوك مشايخ الازهر
يا ابو جنجول فقال لهم طول عمرى اسال الفقها وغيرهم السؤال ده ما شفت
حد جاوبنى عنه الا دوله وانا اقول لكم يا مشايخ البلد الحق انهم غلبونى قال
الشيخ سامحه الله ثم انه توجه الى منزله واحضر لنا متردين لبن دشيش
وخبز ذرة فاكلنا ونمنا فى مكاننا الى ان اصبح الصباح فحضر عندنا ورحب
بنا واخذنا خاطره وتوجهنا والحال اننا لم نعرف السؤال ولا الجواب
وما عرفنا هذا الكلام غير ان تابعنا الشيخ حذقه اجابه من معنى سؤاله
واعطاه كلام فصاد كلام (وسال بعض الفلاحين) اخانا فى الله تعالى
الشيخ عبد العزيز الدبجيهى رحمه الله تعالى فين هى قبلة طيزك فقال له ذقنك
فخجل الفلاح وضحك عليه الحاضرون (قلت) ونظير ذلك ما حكاه شيخنا
ان مما اتفق فى بعض السنين انه حضر رجل من العجم الى مصر المحروسة واجتمع
بوزيرها واخبره انه من علماء العجم ولا احد يفاوقه فى العلم ودخل على عقل
الوزير بالكلام وغيره حتى مال اليه وصار عنده فى منزلة عظيمة فقال
له الوزير هل فيك قوة لمناظرة علماء الازهر فقال نعم اسالهم بحضرتك
سؤالا فان اجابونى فانا من تحت امرهم والا يكون لى الخيار عليهم
قال فارسل الوزير الى علماء الازهر فلما حضروا بين يديه وغص المجلس
باهله عرض عليهم الامر فقالوا ليسال العجمى عما بدا له فقام العجمى بين
ايديهم وسالهم بالاشارة من غير كلام يتلفظ به فقالوا له يا وزير
الاشارة لا تكون الا للاخرس ولا نعرف مقصوده فقال لهم لا بد ان
تجيبوه عن سؤاله والزمهم بتلك المسالة لميله للعجمى ومحبته له فقالوا
له امهلنا ثلاثة ايام حتى ننظر بقية مشايخنا فامهلهم الوزير فتوجهوا
من عنده فقالوا لبعضهم كيف الرأى فى دفع هذا العجمى ورده الى بلده
مقهورا فقال رجل منهم الرأى عندى اننا ننظر لنا رجلا من اجلاف الريف
ونحوهم لا يعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض ونجعله شيخنا

ونلبسه لبس العلماء ونمشيه قدامنا ونمشي خلفه ونطلع الى الوزير ونقول
له هذا شيخنا وهو الذي يجيب العجمي ونعامله بما يناسب مقامه ونسلط
الكلب على الخنزير قال فذهب هو وجماعة منهم ليفتشوا على من بهذه الصفة
فرأوا رجلاً من اجلاف الريف طويل القامة عريض القفا غليظ الساقين
كبير اللحية على رأسه قحف صوف طويل وعليه جبة من الصوف اركبته وهو جالس
في حانوت ياكل بيض مصلوق فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة
واحدة فلما رآهم ظن انهم يريدون اخذ البيضة منه فاخذها ووضعها
في قحفه من داخله واراد الهروب منهم فدخلوا عليه فقال لهم انا في جيرتكم
باشعرا فقالوا له لا تخف يا فلاح ولا تخش من شيء فقال لهم انا خايف
تخدوني لاستادي يقطع راسي وانا عمري ما اضيعت ولا طلعت مصر
غير السنادي وانا كنت جيعان وجبت معاي اربع بيضات شويتهم
اكلت تلاته وفضلت معايه واحدة خفتها منكم وشلتها في قحفي وانا
علي مكسور من مال السلطان قرشين فقالوا له احنا مرادنا نعمل معك
خير وان طاوعتنا اعطيناك القرشين اللي عليك وغديناك وبسطناك
فقال لهم انا الاخر كل ما امرتوني به فعلته من امر قحت بيراً وهدم حيط
او شيل طين او حله عملتها لكم في ساعة وان كنتم رايحين في عركة خلي عنكم
وهاتوا لي نبوت اضرب لكم القوم ولو كانوا الف راجل اطحنهم فقالوا
ما مرادنا الا نعملك شيخنا ونطلع بك على واحد عجمي يسالك تجيبه
على سؤاله وتغلبه ولكن لا تتكلم ابداً الا بالاشارة حتى ما يكلمك بالاشارة
فقال لهم خذوني للمعرّص ده وان طلبتم اضربه خبطه بلكاميه قتلته
ولو كان عند السلطان والوزير وانا ياما قتلت وياما سرقت وانا علي
مال السلطان وعلى اني ارد العجمي ده مغلوب (قال) فاخذوه والبسوه
لبس الفقهاء وعمموه على قحفه عمامة مدورة وحط البيضة من داخل عبه
فقالوا له خليها هنا لما ترجع فقال لهم وحياتكم لم اخليها لانها بيضة فرخة
واول بيضها ولما اجوع آكلها فقالوا له خليها معك ومضوا على حالهم

حتى اقبلوا على الوزير فلما رآهم الوزير قام اليهم وأعظم منزلتهم فقالوا
له هذا شيخنا الذى يجيب العجمى فى سؤاله قال فجلس العجمى متأدبا جلوس
طلبة العلم وجلس الفلاح ومد رجله لم يعتبر من حضر كانه قاعد فى
زريبة بقر فلما رآه العجمى على هذه الحالة استعظمه وقال فى نفسه
لولا انه من العلماء الاجلاء ما احتقر المجلس ثم ان العجمى اشار اليه بالسؤال
يريد منه الجواب واقام اصبعا من اصابعه الى نحو الفلاح فاقام الفلاح
له اصبعين اثنين فرفع العجمى يده الى السماء فوضع الفلاح يده على
الارض فاخرج العجمى من عبه علبة وفتحها واخرج منها فرخا صغيرا
ورماه الى الفلاح فاخرج الفلاح البيضة من عبه والقاها الى العجمى
فعند ذلك هز العجمى راسه وتعجب منه وقال للوزير ولبقية العلماء
قد اجابنى عن سؤالى الذى اشرت به اليه واشهدكم انى صرت من تلامذته
ومن اتباعه قال ثم ان الوزير اكرم الفلاح والعلماء اكراما زائدا
وانصرفوا منصورين مؤيدين ثم انهم قالوا للفلاح بعدما نزلوا
الى منزلهم ما عرفنا حقيقة السؤال والجواب فاخبرنا عنه فقال لهم
الفلاح يا خسارة عليكم انتم فقها ولكن ما تعرفوا ترسو ولا تناجوا بانهم
انا لما قعدت قصاده وجهه رايت عينيه احمرت وزاد به الغضب
وشاور لى بصباعه كانه يقول لى اصحى لنفسك والا خرقت عينك
بصباعى ده فاشرت له انا الآخر اقول له ان لم تصح لنفسك والا
خرقت عينيك بصباعينى دول ورفعتهم له فرفع ايده الى السما
كانه يقول لى ان لم اطيعه والا صلبنى فى السقف فحطيت ايدى انا
الآخر على الارض اقول له ان ردت تفعل معى ما بتقول خبطتك فى
الارض خبطة طلعت عفاريتك فلما رآنى غالبه وظافر عليه اخرج
لى فروج دجاج صغير يوريني انه ياكل كل يوم فراخ وانه متنعم فى
الماكل والمشرب فاخرجت له من عبى انا الآخر البيضة المصلوقة
اوريه انى متنعم فى اكل البيض المصلوق كل يوم فغلبته ورديت سؤاله

قال فلما سمعوا كلام الفلاح وعرفوه ذهبوا الى العجمي وسالوه عن الجواب
فقال لهم طول عمري اسال العلماء بهذا السؤال وانا ظاهم فما عرف احد جوابي
الا شيخكم هذا فقالوا له اخبرنا عن السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم
اتيت له اولا اصبعي اشير اليه بقولي ان الله واحد احد فاشار الي
باصبعين يشير الي انه ليس له ثاني فرفعت له يدي اشير اليه انه رفع
السماء بغير عمد فخفض يده الى الارض يقول لي وبسط الارض على ماء
جمد فاخرجت اليه علبة وفيها فروج صغير اشير اليه ان الله يخرج
الحي من الميت فاخرج الي البيضة يقول لي ويخرج الميت من الحي فاجابني
جوابا شافيا فما رايت اعلم منه فعرفوا ان العجمي كان في مقصد والفلاح
في مقصد آخر على حد قول القائل (سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب)
فالاشارات مصادفة والمقاصد مختلفة (كما اتفق) ان رجلا اعمى
لحيته فضرط حمار فقال صادفت النكتة (وخطب فقيه) من فقهاء الريف
فقال ايها الناس الى كم تلتهوا في الحصيد وفي الزرع والقلع وغدا يجيكم
اليوم ويحضر لكم القوم فاستعدوا لقتالهم بالمزاريق فما لكم عند الله عذر
ولا تعويق واعلموا يا اهل بلدنا الي وراه عدو ما وراه هدو قوا كم الله
يا قوم قدامكم جيش حرام فانتم تحترسوا لا يجيكم العدو من جنب النقرة
فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصرة وقولوا يا حنان يا مينان
انصر شيخ بلدنا عمر ثم قولوا امين فقالوا امين ثم نزل فصلى بهم صلاة فشربنيه
لا فرض ولا سنه (وخطب آخر) فلما صعد المنبر قال اعلموا يا اهل بلدنا
ان عندكم قمح كثير وتبن وشعير وانتم في خير من رب العالمين فانتم
تفيقوا الزرع الوسيه ولا يصبحكم الكاشف بداهيه وبليه فغدا
تسرحوا للعونه والسخره وفيقوا الغنم والبقر واخفوا ابناركم وفيقوا
لدوركم وجداركم واكرموا الخطار بالعدس والبيسار تنجوا من عذاب
النار على ايش يا حبايب تهجرونا بلا سبب الله الله قولوا لا اله الا الله
من وحد الله ما خيبه الله آمين والحمد لله رب العالمين ثم نزل وصلى بهم

(وخطب آخر) فلما شرع في الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط في حساب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة اسمعوا الخطيب وعدوا انه كلب ينبح (وتوجه فقيه) هو وجماعة على أن يسرق واياهم فولا أخضر من الغيط فذهبوا معه ليلا حتى أتوا الى غيط رجل من القرية وأخذ كل واحد منهم عبا كبيرا من الفول وأخذ هو عبين ثم دخل الجامع يخطب فلما صعد المنبر وانتهى الى الموعظة وقال أيها الناس قال رجل من رفقائه الذين سرقوا معه بالليل مالك وما للناس لما كنا وإياك في السرقة خذ كل واحد منا عبا واحدا وأنت خذت عبين فقام اليه الفلاحون وكركبوه من على المنبر وطردوه من البلد لما ثبتت سرقته (وسأل فقيه ريف) بعض العلماء وقال له مرادي اقرأ الاجرومية على مذهب الشافعي فضحك عليه من جهله وطرده (ودخل على العلامة الحميدي رحمه الله تعالى) رجل من فقهاء الريف وقال له عندك مختصر القرآن وكان الشيخ الحميدي شيخ الصحافين بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتى انظره لك فجلس عنده واذا برجل اقبل على الشيخ وقال له عندك يا سيدي مختصر مسلم فقال له نعم خذ هذا فانه مختصر مسلم لا كلام وطرده من عنده قال فتعجب الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سألوه عن مختصر القرآن فقال لهم أنا فقيه الريف اقرئ الاولاد في بلدي القرآن وقد ثقل عليهم لطوله فقلت لعل احدا اختصره فيكون اسهل على الاولاد ويحفظوه بالسرعة فضحك عليه الحاضرون ومضى الى سبيله (وسعى رجل) من الاكابر عند قاضي القضاة بمصر المحروسة ليأخذ لرجل فقيه نيابة في بعض المحاكم ومدحه عنده فقال ائتني به فلما حضر بين يديه قال له القاضي هل تحفظ القرآن قال نعم ايد الله مولانا القاضي وعندي مصحف مليح بخط المؤلف فتحقق القاضي جهله وضحك عليه وطرده (ودخل بعض فقهاء الريف الجهال) على أبي حنيفة رضي الله عنه ورجل الامام ممدودة لوجع اصابها فلما رآه الامام في هيئة حسنة

وثياب فاخرة لم رجله وكان الامام يقرر في مسئلة صلاة الصبح ما حكمها اذا اطلعت الشمس ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل اذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال الامام آن لابي حنيفة ان يمد رجله ثم مدها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه (واتفق) ان اثنان اختصما في آية من كلام الله تعالى فقال احدهما لعلهم يتفكرون وقال الآخر لعلهم يشكرون فبينما هم في المشاجرة اذ طلع عليهم فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم انه يحفظ القرآن هل هي يتفكرون او يشكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والاولى اننا نأخذ من كل كلمة جانبا ونجعلها لكما لعلهم يتفشكرون ونبطل المشاجرة بينكما فقالوا له قاتلك الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه (ودخل رجل) من علماء المسلمين قرية من قرى الريف فرأى رجلا يدرس في مسجدها ويخبط خبط عشواء وسمعه يروي حديثا باطلا فقال له رأيت هذا الحديث في أي كتاب فقال له في كتاب عندي يسمى الدلهمة والبطال فقال اضعفت حين اسند ثم قام عليه وابطله التدريس ومضى الى سبيله (وحكى بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت في نفسي اسأل عن فقيه البلد وانام عنده قال فسألت عنه فقالوا لي انظره على الكوم العالي في وسط البلد مات له حمار وهو يطرد الكلاب عنه لاجل ما يسلخ جلده ويبيعه فتوجهت اليه فرأيته على الكوم وبيده حجارة يضرب بها الكلاب ويمنعهم عن حمارة الميت حكم ما ذكر لي اهل بلده وهو في حالة رذلة وثيابه دنسة حافي القدم تعيس الناصية فسلمت عليه فرد علي السلام بتكلف وهو مشغول بما هو فيه وهو يقول اخص جر روح يا مشوم ويضرب الكلاب بالحجارة وهو في كرب كأنه يغازي القوم قال فجلست ساعة انظر في حاله واذا برجل اقبل عليه من اهالي قريته وقال له يا سيدنا انا قلت لامرأتي انت طالق بالثلاثة وسألت فما احد ردها لي وقالوا لي ما عادت تحل لك حتى ينكحها زوج غيرك

وأنا خاطري تردها لي وتخلصني من اليمين وخذ لك كيلة شعير قال
فالتفت اليه وقال له ان كان مرادك أخلصك من اليمين ما آخذ الا
كيلتين من شعير فقال له اعطيك ما تطلب فقال له خذ امرأتك في
السحر ورح بها بركة الماء التي في المحل الفلاني وخليها تشلح ثيابها
وتخوض في الماء حتى يبلغ الماء سرتها ولا تخليها تضم رجليها حتى يدخل
الماء فرجها فان الماء ملك والملك ذكر فصدق عليه انه نكحها قال
الله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا قال فلما سمعت ما قاله لهذا
الرجل اخذتني الغيرة في دين الله تعالى وقمت عليه بالسب واللعن وقلت
له قاتلك الله وعلمك وقريتك وما انت لسائل عن هذه الفعلة
وقلت له وقع عليك الطلاق الثلاث ولا يجوز لك ان تفعل بما قال
لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت اني لا ابيت في هذه القرية لاجل
هذا اللئيم ثم مضيت الى بلد أخرى ونمت بمسجدها الى ان طلع النهار
وتوجهت الى سبيلي (وقال بعض فقهاء الريف لتلامذته) قد ظهر لي في
القرآن بحث وهو قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك انه وجه ضعيف
لانه محكي بقيل (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف بساحل البحر
بنواحي الجبل فرأى محلا يشبه المجلس وفيه البقر والغنم وقد اشتد
به الجوع فجلس يقرأ سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية
ليسمعوا قراءته الى ان وصل الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم
كلبهم فقالوا له يا شيخ نجست القرآن كلام الله ما فيه كلاب وانت
تجعل فيه كلاب اخرج من بلدنا والا قتلناك قال فقام رجل منهم
وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتى نرسل الى فقي بلدنا الحاج مخالف الله
ونسأله فان قال لنا القرآن فيه كلاب تركناه والا قتلناه قال
فارسلوا خلف هذا الرجل فحضر شخص كأنه سارية الجبل من طوله
او عمود من عواميد الصواري من غلظه وثقل ذاته ورؤيته تقشعر
منها الجلود وهو ملفع بحرام ابيض دنس لا غير فلما حضر وجلس

اخبروه بالقضية فنظر يمينا وشمالا وقال اصبروا حتى ابين لكم
واكشف لكم الحال ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا على الحرام
فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرك ثم انه قام بسرعة
عريان مكشوف الراس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة ينظر نحو
السماء وهو فى وجد وكرب ثم دعا بحرام فالتف فيه وجلس وقال لهم
طلعت العشر سماوات التى خلقها الله تعالى فرأيت اول سما فيها بقر وثانى سما
فيها جاموس وثالث سما فيها عجول ورابع سما فيها ثيران وخامس سما فيها
كذا وسادس سما فيها كذا وصار يعدد اصنافا من الحيوانات الى ان قال
وشفت السماء العاشرة مليانة غنم وانتم يا مشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم
تحوز الكلاب ولا تفارقها وراعى الغنم لا بد له من كلب يحرس غنمه
خلوا الراجل يروح ولا تقتلوه واعطوه رغيفين دره قال فاخذ الرغيفين
ومضى وهو يحمد الله تعالى الذى خلصه من هؤلاء الجهلة (وكان بعض
فقهاء الريف) يدرس فى قرية من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة اجاب
عنها بسرعة نظما ونثرا ولم يتوقف فى الجواب لشدة جراءته فى الكلام من
غير معرفة الى ان حضر مجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء ورأوا اسراع
جوابه فى المسائل واتيانه بكلام ليس هو فى كتب الفقه الا ان فيه رائحة
المناسبة فقالوا أمر هذا المدرس عجيب فقال رجل منهم انا اختبره
لكم وابين لكم صدقه من كذبه كل شخص منكم يأخذ له حرفا من حروف
الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها فقالوا هذا الرأى صواب فاخذوا
الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم جلسوا حوله وقت الدرس
فلما فرغ من الدرس قالوا له يا مولانا رأينا فى بعض الكتب الخنفشار
وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع فى ارض الصين
يعقد به اللبن قال الشاعر لقد عقدت محبتكم بقلبى * كما عقد الحليب الخنفشار
وقال صلى الله عليه وسلم واراد ان يذكر حديثا باطلا فقالوا له امسك
ما معك فبحياة الله انما كلامك فى حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك

في الكذب عليهم وأما الكذب في الحديث فلا تسل لك فيه ثم انهم قاموا عليه وابطلوه الدرس (قلت) ولهذا ذكروا ان العلم امانة وان الشخص لا يجوز له ان يتكلم الا عن خبر واطلاع وشدة احتياط باصول المسائل وفروعها ومراجعة النقول ولا يلتفت لما يقع من جهلة علماء العوام (فقد سأل بعضهم) رجلا من اهل العلم عن وصف كلب اهل الكهف فقال لا اعرف واتى والده وكان من العلماء فقال له اني سئلت اليوم عن وصف كلب اهل الكهف فقلت لا اعرف ولم يبلغني في وصفه شيء ثابت فقال له ابوه لاي شيء توقفت في الجواب كنت تقول لهم صفته كذا وكذا ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك الى الجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظا شديدا واصبح ينادي عليه في الجامع ويقول لا تأخذوا العلم عن والدي فانه رجل كذاب مدلس وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصة (واوصى لقمان ابنه) فقال له يا بني اذا سألك الناس فقل لهم لا ادري فانك اذا قلت لهم لا ادري لا يسألونك حتى تدري وان قلت ادري سألوك حتى لا تدري (وقرأ بعض جهلة فقهاء الريف) واذا بطشتم بطشتم خبازين يريد بطشتم جبارين (وقرأ آخر منهم) ولله ميزاب السموات فقيل له ما معنى ميزاب قال الذي ينزل منه المطر (وادعى فقيه) حفظ القرآن فقيل له الحمد لله لا شريك له من لم يقطها لنفسه ظلما في اي سورة فاطرق ساعة ثم قال في سورة الدخان (واشتكى رجل) ولده للقاضي وقال له اصلح الله مولانا القاضي هذا ولدي يشرب الخمر ولا يصلي فقال له القاضي ما تقول قال فانه يقول غير صحيح فاني اصلي ولا اشرب الخمر فقال له ابوه انه يزعم انه يقرأ القرآن وانه فقيه البلد فقل له يقرأ شيئا منه قال له القاضي اقرأ يا غلام فقال بسم الله الرحمن الرحيم (علق القلب الربابا * بعد ما شابت وشابا) (ان دين الله حق * لا ترى فيه ارتيابا) فقال ابوه هذه سورة كنت حفظتها من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضي وانا الآخر كنت احفظ فيه آية اخرى وهي (ارحمي صبا كئيبا * قد رأى البعد عذابا) *

ثم قال القاضي للرجل خذ ابنك فانه ماهر في القرآن فانظر ايها المتأمل
الى جهل الغلام وابيه وتعجب من جهل القاضي الذي لم يفرق بين الشعر
والقرآن (وكان بعض العلماء) كلما سئل عن مسئلة يقول من جهله فيها
قولان فقال له رجل أفي الله شك فقال فيه قولان فكفر بحسب عبارته
وبعضهم اجاب عنه بان فيها قولين من جهة النحو (ودخل بعض العلماء
قرية من قرى الريف وكان يوم الجمعة فلما قربت الصلاة توجه ليصلي
فرأى اهل القرية جميعا داخلين المسجد وكل واحد منهم معه قفة من
خوص وفيها معرفة وخشبة وسكين من حديد وفأر ميت معلق في
عنقه فتعجب من فعلهم وقال لابد أني أسأل فقيه البلد عن ذلك الامر
فبينما هو متعجب من فعلهم واذا بالفقيه داخل الى المسجد للخطابة
وهو ايضا مثلهم حامل قفة فيها معرفة وخشبة وسكين ومعلق في
رقبته فأرا ميتا ورآهم كلهم يصلون بهذه الحالة فتقدم الى الخطيب
وسأله عن هذا الامر ومن أمر اهل القرية بهذه الفعلة فقال له انا امرتهم
بذلك فقال له هذا الامر باطل والصلاة باطلة وما دليلك على ذلك
فقال حديث رأيته في كتاب عندي واسمه كتاب التنبيه ولفظه حدثني
بخني بن نحني عن شعبان النوري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصح
جمعة احدكم الا بقفة ومعرفة وخشبة وسكينة وفار فطلب منه الكتاب
فرآه كتاب التنبيه تصحفت عليه بالتنبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصح
جمعة احدكم الا بعفة تصحفت بقفة وسكينة تصحفت بسكينة
وخشية تصحفت بخشبة ومعرفة تصحفت بمعرفة ووقار تصحفت بفار
واما سند الحديث فهو حدثني يحيى بن يحيى عن سفيان الثوري فتصحف
مثل ما مر قال فقام عليه ذلك العالم وعلى اهل القرية وابطلهم هذا الامر وسحب
في خروج هذا الفقيه الجاهل من القرية لعدم معرفته وجهله وقلة عقله فاخرجوه
من البلد بامر البلد وطردوه (ودخل بعضهم) قرية من قرى الشام فسمع المؤذن
يؤذن ولم ينطق بالشهادتين بل يقول وانتم يا اهل هذا البلد تشهدون ان محمدا رسول الله

قوله بعض العلماء صوابه العبارة ان اباه هو الذي قال فيه قولان وكان ابوه جاهلا ريفيا وكان ابنه هذا العالم كلما يتكلم يقول قال الوالد قال الوالد فتشوق تلامذته وولده الى رؤية هذا الشيخ الوالد الكثير الرواية عنه فقالوا لشيخهم ولده لابد لنا من رؤية الاستاذ الوالد فاحضره والبسه شعار العلماء وقال له لا تتكلم انما امسك المشيخة وما دمت قاعدا في المجلس تقول بس بس بس اشارة الى الكف فتنحوا واذا سألك احد سؤالا قل فيه قولان فالتزم هذا الجاهل ذلك فاستغرقه بعض التلامذة بهذا السؤال وهو افي الله شك فقال ذلك والحكاية مشهورة

قال فتعجب من ذلك ودخل المسجد فرأى الناس مزدحمين على شئ يباع
فيه فاذا هو خمر قد صبوه فى اناء ويناول رجل منهم للناس ويقولون
هاتوا الثمن ويقبضه منهم فقال هذا اعجب ثم مضى الى المحراب ليسأل
الامام فوجده قد اقبل على رجل واحدة ورجله الاخرى مرفوعة واقيمت
الصلاة فصلى ورجله على حالها فلما خرج من صلاته سأله عن القضية
ومن رفع رجله فى الصلاة وسبب الاذان والخمر فقال له اعلم يا سيدى
ان المؤذن الذى سمعته لا ينطق بالشهادتين نصرانى احتجنا اليه
لمرض اصاب المؤذن ورأيناه صيتا فأقمناه مقامه فهو لا يقدر ينطق
بالشهادتين واما الخمر الذى رأيته يباع فى المسجد فان المسجد له كرم
عنب موقوف عليه واذا بعناه من غير عصير لا يقوم ثمنه بالمستحقين
وارباب الوظائف واما رفع رجلى التى رأيتها فقد اصابتها نجاسة
وانا داخل المسجد وادركتنى الصلاة فقلت ارفعها واصلى على رجل
واحدة لاجل صحة الصلاة لانى خشيت من المشى عليها فيحصل التلويث
للمسجد وتبطل الصلاة قال فتعجب الرجل واتى القاضى فدخل عليه
ليسأله عن هذا الامر فوجد غلاما يلوط فيه فتحير فى امره وقال له
ما هذا يا مولانا القاضى فقضيتك اغرب مما رأيت واعجب فقال له
لا تعجب ان هذا الغلام يدعى اهله انه بلغ الحلم وجماعة يقولون انه
قاصر فأخذته لاختبره وقلت ان فعل وانزل فانه يكون قد بلغ الحلم
والا فهو قاصر فرأيته قد انزل المنى وتحققت بحلمه وبلوغه وهذا
من باب التجربة لاجل اقامة الشرع الشريف فقال الرجل قبحكم الله
انتم وقريتكم جميعا وحلف ان لا يعود اليها بقية عمره (وتولى) بعض
فقهاء الريف للجهال القضاء فارسل الى مولاه هدية وارسل معها
مكتوبا مضمونه بعد السلام على مولانا الافندى ان الواصل لكم هدية
خروفين وسرموجتين الافندى خروف وسرموجة والتابع خروف
وسرموجة قال فلما وصل القاضى مكتوبه امر بعزله وتحقيره واخراجه من القرية

(ونظيره) مكتوب فنين الذي ذكره سيدي علي بن سودون في ديوانه
الذي ارسله الى اهله من الصعيد قال في عنوانه يصل ان شاء الله تعالى
الى دربنا المحروس الذي خشبته سنط ولقية ويسلم اليد اهل بيت فنين
وفي داخل المكتوب السلام عليكم بعدد ما في النخيل من الاوراق سلام
لا يسعه طبق ولا طبقين ولا اطباق اطول من معقود زرافة ولو كان
طاق او طاقين او طاقات من كل بد وسبب وفي هذا المعنى اقول لكم من الشعر

ان كان ابي ما مات وامي تعيش * فبلغهم يا ريح عني السلامات
وروح قل لهم اني مع الناس في البلد * ويا ما جرى لي بعدكم من نكبات
وانكم في غفله كبيره عن ابنكم * وانا ان مت قولوا لا حيله فنين مات

والذي نعلمكم به ان كنتم للشيخ طيبين باتخيا اني ارسلت لكم صحبة القاصد
على جوز وز فقس الصيف من ديك الوزه وايضا خروف ابلق وخروف
بلا بلاق وسبحان الله تبقوا تتكلموا احراف ارسلتم تطلبوا احبل تنشروا
عليه الغسيل وقلتم لنا على طوله ولا قلتم لنا على عرضه وارسلتم تطلبوا
كشك وانا ان ارسلته لكم من غير طبيخ فضيحة وان طبخته ما يوصل لكم
حتى يبرد وطلبتم نيد وما قلتم لي بعسل او بلاشي وطلبتم قليلات
والفلاحين ما يزرعوا الا قرع طويل فيكون ذلك في خاطركم من جهه
وبلغني ان امراتي حبله من بعدي فلا تخلوها تولد حتى اجي وان ولدت
قبل ذلك لا يكون الا صبي وسموه دار الخطيب فاني دخلت دار الخطيب
ورايت فيها من الطعام شي كتير اعجبني وجرت لي فيه حكايه ولكن
ما تقولوها لحد ابدًا تبقى فضيحه وذلك اني اكلت يوم بطيخ وغت حشلكم
العيب في بيت الفلاحين فتخت في ثيابي وانا معذور بزياده فان
البطيخ بكترة الشخاخ فغسلت قميصي ونشرته في السطوح فقام بالامر المقدر
ضربه الهوا فوقع من فوق للتحت وارتجفت بسلامتي رجفة خلتني ضعفت
ضعفه لو ضعفها غيري كان مات وعرفت انها ما هي بشارة خير وانها
تدل على موت امي وابويه والحمد لله الذي كانوا قدايه واني صليت وصمت لله وحده

الى

اللي ماكنت في قميصي ولو كنت فيه كنت انكسرت فقلت حوالينا ولا علينا
ولكن من الرجفة وجعتني عيني اللي نبقى ناحية المشد وقت ما اخرج من
دارنا والذي نعلم به الوالد زوج الوالده اني دخلت يوم البستان انا والخولي
فرايت فيه نخل شي طويل وشي قصير وشي ما يشبه شي فقلت له دي ايه
قال لي توت ودي ايه قال لي الغلة ورايت يابويه نخله كل ورقه قد الصفه
اللي تتخت امي فيها فقلت ودي ايه فقال لي موز فعجبني قوي وقلت له
الموز يطلع في البستان فقال لي ايوه فقلت له والجبن المقلي يطلع فين
قال يطلع في طاجن الجبان وانا كل يوم اجي واطل من الطاقة وعمري
ما شفت في طاجن لكلبيان جبن مقلي فوعدت للخولي وراهنته من
امراتي الحبله لا مراتة اللي بلا حبل بانه يحبل امرانى يوم وانا اعمل امراتة
يوم فلا تخلو يغلبني وياخذ امراتي وابقى يتيم وكان دا وودا الشيطان
مشدوده اصبحت اكتب لي محضر واخذ خاطر الجيران ما راوا نخله بجبن
مقلي في طاجن الجبان والذي نعرفكم به اني لما طلعت البلد ولقيت النصارى
نالي فبعت الحماره البيضه واشتريت لي حماره سوده على شان ما تنوسخش
وكان كلام كتير فاني لو كتبت لكم اللي في خاطري لكان كلام يجي من جد
عندكم لحد عندي وبعد السلام على اهل الحاره كل واحد باسمه كتير كتير
بتاريخ صبيحة يوم الجمعة الحرام بعد صلاة التراويح من يوم عاشورا
السابع والثلاثين من جماد الاوسط سنة ما اعرفش اللي تقولوا عليه
بالامارن مطرت المطره واهل البلد يعرفوا ذلك (ونظير هذا المكتوب
كثير لا يحصى) فقد ارسل بعض فقهاء الريف مكتوبا سنة سبع واربعين
والف يقول فيه السلام من الفقي ابو علي اللي اسمه محمد على حضرة صاحبنا
اللي يطالع في القران زي ما يطلع الزرع في الغيطان ويتكلم بالفهامه
وبامالة علينا شهامه اللي يبيع الكتب المنظومه من الكلام زي قصة الحمامه
والتودد والورد في الاكمام حاوي الكتابه في السطور ومن يعرف كتاب
الغز والعصفور وانا في شوق واشتياق لا يحمله جمل ولا ناقه *

ولاحمار ولا حمارين ولا بغل ولا بغلين ولا زرافه وفى هذا المعنى اقول لك كماد
السلام عليك يا سيدى والرحمه * سلام من هو لا ياكل بعدك لقمه
الاصابع عن الزاد وهو زى الاعمه * وانا قصدى اشوفك ولو فى الضلمه
وانا كنت اريد اجيك وحياة راسك ماعوقنى الا سرموجتى مقطعه
وانا اقول لك شوف لى كتاب كنت شفته من زمان وسمعت براه عليه
وياما قالوا لى عليه الناس وهو قصة مدينة النحاس وماجرى فيها من
العجايب وانا امبارح كنت رايح اشيع لك كلام افتكرته وعاود نسيته
الله يسامحك ويسامحنى الله الله لا غالب الا الله والسلام عليكم وعلى
من كانوا جيرانك على اليمين والشمال وكتب هذا الكتاب ابو على واسمه
محمد وكتب عنوانه توصل دى الورقه مع ابو عمارة اللى يبيع فى بلدنا الفول
والمش والزيت الحار يوصلها لبولاق وواحد بيقى يوصلها لسوق الكتب
اللى يقولوا فيه حراج حراج * فانظر الى شدة هذا الجهل والى هذا الكلام
الذى يشبه الوحل وامثال هؤلاء الجهال كثير * ولقد احسن الامام
حجة الاسلام ابو حامد الغزالى نفعنا الله به فى الدنيا والآخرة حيث قال

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لاهل العلم ان يتمثلوا * ببيت قديم شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

وفيما ينسب لسيدى عبد العزيز الديرينى

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم
واجعل على الراس طيلسانا * واعقد على المنكبين واختم
واجلس مع القوم فى صياح * لا بالبخارى ولا بمسلم
الاصابعا ونفض كم * ولا ولم لا ولا نسلم
وان لقوا الوقف ياكلوه * وقد نسوا العلم والمعلم
ثيابهم بيضوا رياء * وقلبهم بالسواد مظلم
فان ترى فى الورى فقيها * نص وقل يا سلام سلم

اي اذا رأيت فقيها على هذه الحالة فأسأل الله السلامة منه والبعد عنه
نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة (ذكر شعرهم ونظمهم)
قيل مر بعض اهل الارياف بجماعة من اللطفاء ينشدون الاشعار في معنى
العشق فقال لهم زيد وابا مغنيين العوم من ذي القول المليح فقد ذكرتوني
نشيد مليح قلته وانا احرث في الغيط الكمني عشقت ام معيكه وكنت رايح
اموت من عشقها وغرامها فقال له هولاء الجماعة انشدنا ما قلت في ام معيكه فانشد
يقول مواليا * (ماضنال قبيصي يشحطط من ورا الحرات * حتى انثنى صبيه ريحه
بتبات (فقلت يا ام معيكه ارحمي من مات * قالت انا رايحه اخرا واجيت بيتات)
اقول هذا الكلام من بحر الخرا الوافي الذي ليس له اول من آخر وقائله
ابلد البشر او من اغشم البقر وتفاعيله باحتياط متخبط خبط متخبط خباط
وطوله بالتوكيد من اسكندريه لرشيد وعرضه باحتياط من الصعيد لدمياط
ومعناه الذميم ومبناه السخيم (ماضنال) هذه كلمة يستعملها اهل الارياف
وردت في القاموس الازرق والناموس الابلق واصلها ما زال فبدلوا
الزاي ضادا لاعوجاج السنتهم واشتقاقها من الضل او الضلال او من الضيلة
وهي الحية قال الشاعر (فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في انيابها السم ناقع)
ومصدرها الفشروي ضل يضل ضلالا فهو ضال ومضلول (قبيصي) على
وزن حريصي او حبيصي واشتقاقه من القمص اي قمص الحمار يقال حمار قامص
او من بلد يقال لها امنية القمص ومصدره قمص يقمص قمصا فهو قامص
ومقموص والقميص ما يلبس من الكتان وغيره (يشحطط) مأخوذ من
الشحططة او من الشحوطة اي ينسحب وينجر على الارض يقال شحططه
اذا جره على الارض وهذه من لغات الارياف وقال بعض شعرائهم مواليا

شحطط صحيبك ورخه الفقر قله * واكويه بالنار حتى يلتقي علّه
حتى يلين ويبقى قرص من جله * فوم واطعمه عدس وبيسار وبسله

والشاهد في قوله شحطط صحيبك وشحطط على وزن ضرط بتشديد الراء
وضرط فيها مناسبة من وجهين الأول الوزن والثاني اذا شحطط

ويُجر على الارض او في جورة او في نقرة رغما عنه مما من شدة ما يحصل له
من المشقة والم التشحطط فكان المعنى ظاهرا (وقوله من ورا المحرات)
اى من خلفه ووصف قميصه بانه صار يجر خلف المحرات لاحد امرين
اما لانه غلب عليه الشقاء وكثرة الحر والتعب فخلع كمه من يده كما يفعله
الحراثون اذا اشتد عليهم التعب وزاد عليهم النصب فيفعلون ذلك
لترويح اجسادهم وهذا لا يفعله الا اكابر الحراثين واما غيرهم فانه
في الغالب لا يحرث الا عريان او عليه خلقة مقطعة لا تستر العورة
فهذا يدل على انه كان من اكابر الحراثين ويحتمل ان قميصه كان منشرمط
فصار يجر خلفه وينشبك في الشوك والحلفه او يقال انه قلعه ووضعه
على كتفه كعادة الحراثين فصار يجر خلف المحراث ومن شدة تعبه من
الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت الى احد ولم يجذله مرقة يلمه من الارض
حتى جاءته تلك الصيبة (والمحرات) آلة معروفة عند الفلاحين وجمعها
محاريث ومن لوازمها المشقة وسواد الوجه من الحر والبرد قال شاعرهم

نضال عمرك يا محراث تاعب جماعتك * لما ليوم الحشر ما انت مفارق

فالحراث دائما في تعب شديد وهم مزيد وليس في الفلاحين اتعب منه
خصوصا اذا كان في معاناة ابعادية السلطانية وهو اقل عقلا من
غيره لانه في النهار رفيق الاثوار وفي الليل رفيق النساء في الدوار فلم
يكمل له عقل * ومثله في قلة العقل مؤدب الاطفال فانه طول نهاره
رفيق الاطفال وطول ليله مع النساء ويدل على قلة عقل مؤدب
الاطفال قبوله شهادة القاصر على البالغ وان شتم ولد ولدا اخر وجه
المشتوم الشتمة الى المؤدب بقوله يقول لى الولد ده دم الحس قفا سيدنا
والولد الاخر يقول لى يا ابن القحبه يا سيدنا ويقول لى دم اخرق عينك
يا سيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ * وقد وجد عند مؤدب اطفال
طبلة وزمارة وفرقلة فسئل عن ذلك فقال اجمعهم بالطبلة وافرقهم
بالزمارة واضربهم بالفرقلة (ورأيت في بعض الكتب) ان مؤدب اطفال

كان يُعلّم الاطفال القرآن في غرفة له فاتفق الاولاد على ان يبنوا على باب
الغرفة حائطاً ويمنعوه من الدخول اليها ففعلوا ذلك ليلاً ولما اصبحوا
جاؤا الى المؤدب وقالوا له ان الغرفة هربت بالليل قال فشد وسطه وغدا
في طلبها وما زال في البرية يمشي حتى قارب الليل فلم يجد شيئاً فرأى صومعة
فيها راهب فسأله هل رأيت غرفة فيها الواح ودوى فقال الراهب في
نفسه انه احمق لا عقل له ثم قال له نعم انها مرت على الظهر وانت لا تلحقها
ولكن بت عندي الى السحر وانت تلقاها فقبل منه ذلك القول وقعد
عنده وقد هلك من الجوع والعطش واضره التعب فاحضر له الطعام
فاكل وشرب حتى شبع ثم اسكره ونومه وقام اليه وجرده عن ثيابه
التي كانت عليه ولبسها الراهب والبسه ثياب الرهبان وشد له زناراً
وتركه فلما كان وقت السحر نبهه وقال له ويحك ان الغرفة رجعت
الى البلد فقم وادخل البلد تجدها قال فقام ومضى الى البلد فرحاً
مسروراً فلما رآه الناس قالوا له انت صرت راهب قال لا والله الا
اني بت عند راهب وقلت له نبهني وقت السحر فايقظ نفسه وتركني
قال ثم انه رجع الى الصومعة وصار يتذلل له ويقول له بالله عليك
يا راهب نبه نفسي حتى اروح البلد وخذ نفسك اجعلها مكانها صدقة
عنك بحق المسيح قال فصار الراهب يضحك عليه حتى آيس منه وانصرف
فانظر الى قلة عقله وشدة جهله (وكان ايضاً بعض مؤدبي الاطفال)
اذا وقف يصلي وركع اخرج رأسه من بين رجليه وقال شقتك يا ابن
القحبة ورأيتك يا ابن العرص ويشتم الاولاد ثم يسجد ويتم الصلاة
(وقوله حتى اشتى صبيته) اى لم يزل على هذه الحالة الشحيحة والعيشة الذميمة
والكرب والتعب ومعاشرة اخوانه من الثيران والابقار في الليل والنهار
حتى مرت عليه هذه الصبية وهي ضد العجوز وصبيته على وزن بليته او وزنه
مشتقة من الصبوة على وزن النبوة او من الصابون او من مصيبته
فشغلته بحبها وفتنته بجمالها وسباه هواها لاسيما وهي من ملاح الريف

وخصوصاً اذا كانت في وقت جمع الجلة وشيل الزبل وهي متضمخة بالنجاسة
وتلك الروائح (وهي رايحة بتبات) اي والحال انها مروحة من الغيط
الى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلاحين انهم يسرحوا في الغيط
ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع وتلقيط الجلة الناشفة والضم ونحو ذلك
ثم انهم يروحوا بيوتهم آخر النهار او في نصفه على قدر تمام اشغالهم
فيجدوا العدس والبيسار او المدمس قد طاب امره وحسن طعمه
فياكلوا ويتمتعوا بنسائهم على الافران ومداود البقر واشوان التبن
وغرف الجلة ونحو ذلك (فقلت يا ام معيكة) اي انه لما اشتغل بحبها عند
ما اقبلت عليه وهي مروحة من الغيط كما تقدم نظرها فاحبها والعين
توقع القلب في اشد ما يكون من الحب والغرام والوجد والهيام قال القائل
(عيني نظرت وشبكتي من عيني * ما يقتلني الا سواد العين) وقال
الشاعر * نظرتك نظرة بالخيف كانت * جلاء العين مني بل قذاها
فآهاً كيف تجمعنا الليالي * وآهاً من تفرقنا وآها
فاحتاج ان يخاطبها ويتذلل بين يديها كما هو عادة المحبين من انهم يتذللون
لمن يحبونه ويبذلون له الارواح فضلاً عن الاموال ويهيمون بحسنه وجماله
لان احداق الملاح تذيب لحشا العشاق وحلاوة الجمال تزيد في الاشتياق
ومحاسن الحبيب تجذب روح العاشق الكئيب * ولله در معن ابن زائدة
حيث قال * نحن قوم تذيبنا الحدق النجل على اننا نذيب الحديدا
* وترانا عند الكريهة أحرا * راً وفي السلم للغواني عبيدا
وخطابه لها بالكنية لاشتهارها بها والكنية ما صدرت بام او باب
كما هو مقرر ومعيكة تصغير معكة وهي على وزن ركة او حكة او دكة
او لبكة وغلبت عليها هذه الكنية وصارت علماً عليها لكثرة ما كانت تمعك
شعرتها على جذور الشجر عندما تشتد حكاكها لان الشعر من طوله وقلة نتفه
وغليان الشهوة لاربة الشعر اذا كثر وطال ربما اشتد غليانه وزاد
اكلانه فلا يبرده على النساء الا النيك خصوصاً في زمان الصيف *

وبعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكس ايام الشتاء لان الشعرتين اذا التقتا تتولد من بينهما الحرارة فيسخن الاير والكس فتحصل اللذة من الجانبين قال الشاعر

ولما كشفت الذيل عن سطح كسها * وجدت عليه الشعر اسود كالزنجي
فقلت لها ماذا الذي قد رأيته * فقالت طواشي كاتب الدخل والخرج
وهذا زمان البرد والشعر ساخن * فاسفق ايا هذا بجهد بلا حرج

واشتقاقه من المعك وهو الحك يقال معك يمعك معكا فهو ماعك ومعوك ودليل كونه مشتقا من المعك قول بعض شعراء اهل الريف مواليا

قومي امعكي يا خطيطه شعرتك بالخيط * لما اجيلك هدية طورتين مخيط
واعطيك وحيارا سي نعل من هر نبيط * واجي لعندك وشل رجليك في جو الغيط

ومعقول القول (ارحمي من مات) اى تعطفي بالرحمة والشفقة على من اشرف من حبك وغرامك على حالة تشعر بالموت او بالخناق المستعجل وهذا على جهة قوطم حزين وواعي لانه مع كونه في حالة تعب وارتكاب نصب من الحرث وتراكم الهموم والقهر حصل منه هذا العشق الذي يفضي الى الموت فكانه يقول انا يا ام معيكه قد اشرفت من حبك على الهلاك والموت فرقي لحالي وانظري ما انا فيه من معالجة اخواني الابقار ومقاساة الحرث بالليل والنهار وانت صبية نضيفه وتكرهي الشعرة المنتوفه فاسمحي لي بسحبتين فيما بين العلمين واروي الشيخ ابو قيه ولو اخذت البشت والجبه والا يحصل لي من بعدك وغرامك الموت فلما فهمت من حاله هذه القصية وابتلت بهذه البليه ورأت الذي لها مثل الذي عليه وشبيه الشئ منجذب اليه قال الشاعر

رأيت مجذوما في قاع قبر * وآخر اجربا عجز اعليه
فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشئ منجذب اليه

ابدت اليه العذر الذي اوجب لها هذه الحالة الذميمة وعدم تعطفها عليه وهي في تلك المشقة العظمى والداهية العميمه وهي حروث الخراء عليها بلا انكار ومكابدة دفعه مع المشقة والاضرار لانه ثقيل في الضرم خفيف في الكم اذا ادرك الشخص بين ناسه خزى في لباسه (قالت) اه على سبيل الوفاء بالوعد

ولم تدعه يقاسي ألم الحب والنكال (آنا رايحه آخرا) وفي رواية خاطري آخرا والمعنى في الذوق واحد ولكن الرواية الأولى اولى لتأكيدها من جهة الخرا كما لا يخفى على صاحب الذوق المستمع للعبارة والقارى لها ايضا والمعنى ان مرادى افرغ نفسي من هذه القضية في نقرة آخرا فيها مثلا اوفوق سطح اوفي جنب شجرة او في الغيط ونحو ذلك كما هو عادة الفلاحين القاطنين في الارياف فان المرأة منهن تجلس في قضاء الحاجة وسط الزريبة اوفوق الكوم خارج البلد واى نقرة وجدتها بالت وغوطت فيها لان دورهم ليس لها مراحيض يخروا فيها قال الشاعر

سألت بنى الارياف ما بيوتكم * مراحيض قالوا لا مراحيض للقوم

فقلت فماذا تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالرجال من باب اولى ثم انها ارادت بقولها هذا تفهيمه اياه حالها وغرضها كأنها تقول له انى اذا اتيت اليك وصرت بين يديك ربما تضايقت من هذا الامر المشروح ورائحته عليك تفوح ولكن عندما ازيل هذه الضرورة ويفرغوا الاولاد من لعب الكوره اوفى بالوعد ولم الشتا (واجيك بتبات) اى بامر ثابت محقق واجابرك فيه واصله بالثاء المثلثة غير ان هذا من الفاظ الارياف فكما انهم يقولون في الميراث ميرات بالتاء المثناة فوق فكذلك يقولون تبات ونحو ذلك بالمثناة الفوقية ووقع في رواية اخرى اجيك وابات لكن يكون فيه الابطاء وهو معيب في الشعر وان كان مناسبا للمقام اذ هو شعر كلا شئ فعلى الرواية الأولى يكون المعنى انا قولى ثابت في المجيء اليك والبيات عندك والبيات مأخوذ من بيات الفراخ لان نساء اهل الريف يقلن للفراخ عند المساء بيت بيت فلعله مشتق من هذا المعنى ولا يضر ادخال حرف الجر على الفعل لانه مناسب لثقل الكلام وركاكته وبين بتبات وتبات الجناس المحرف او المصحف على اللغة الاصلية ويمكن ان يكون قوله رايحه بتبات اى هذه الليلة وقولها اجى وابات اى الليلة الثانية كما لا يخفى فكان البيات الاول غير البيات الثانى وان كان هو عينه في باطن الامر

هذا

هذا نتيجة الفرق بين ثبات الاول وثبات الثاني فان الاول منسوب
لقول الرجل والثاني لقول المرأة ولعلها ارادت بتاكيدها في البيت عدم
عدم التعذيب بالهجر وسرعة تعطفها عليه كما هو شأن من يريد الوفاء
بالوصال ويكافئ العاشق بلذة القرب والجمال وقالت هذه الصبية
في نفسها هذا المحب لا يرضيه مني الا ليلة على كمالها يتملى بتلك المقابح
ويشم تلك الروائح وهي آثار رحلة الغيط وارقد انا واياه في الفرن
او في مدود الحماره او على الجرن او فوق الجله الناشفه لان نهار كله
في الحراث والتعب ولا يتفرغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه في كد المعيشة
وتعبها وهولها ونصبها قال الشاعر (قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن)
(فاجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن) (هم المعيشة فرقة * بين الاحبة والوطن)
وتاكيدها في البيت يفيد ايضا انها تريد من هذا العاشق انه يتهيأ لما يناسب
حضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار والفول والمدمس ونحوه ومصدر
بات يبيت بياتا * وقولها السابق اخرى لفظة الخراهنها لغات ذكرها
صاحب القاموس الازرق والناموس الابلق وقد تقدم معناه ويطلق عليه
الغائط والعذره ونحو ذلك انتهى * ومن اشعارهم العشروية

وقلت لها بولي علي وشرشري * عريض القفا للنائبات صبور

هذا الكلام من بحر الخرا الطويل الذي عرضه من الحسينية لبركة الفيل
وتفاعيله هبيل مهابيل ومعنى كلام الثقيل ولفظه الهبيل ان هذا
القائل لما تولع قلبه بالعشق والغرام بحب هذه المليحة احتاج ان يتذلل
لجمالها وان يتمتع بمحاسنها وان يتحمل منها المشاق والدواهي والبليات
كما هو عادة المحبين ومذهب العاشقين خصوصا اذا كان العاشق
به ضرب من الافلاس فهو في اشد الاشتياق لمحبوبه بين الناس قال الشاعر مواليا

عشقت ذليت حك الجوع جسمي حك * وصمت عامين لما صمت يوم الشك
وحق من له الجبال الراسيات تندك * يستاهل العاشق المفلس طريحة صك

فالعاشق يحتاج الى تلاته امور ان يكون اجرى من كلب واوذن من صيرفي واذل من يهودي

وعشق الفسقة على اقسام عشق شفقة وعشق نفقة وعشق حذقة
وعشق علقة * فهي اربعة اقسام ونحن نوردها على اخواننا المتاعيس على
التمام * فاما عشق الشفقة فهو ان يميل العاشق الى الولد الجميل او المرأة
الجميلة ويكون معه او مع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمنح
في محبوبه والشفقة عليه حتى يصير عليه احن من الوالدة على ولدها ويدفع
عنه المضرات ويتحمل من اجله البليات ويكون حريصا على امواله مشفقا
على حوائجه مسرعا في قضاء اوطاره حتى يقضي منه المراد على اتم حال قال الشاعر

لقد صرت فراشا لحبي وسائسا * زمانا الى ان نلت منه مراديا

واما عشق النفقة فهو ان يكون الشخص صاحب ميسرة واموال فهو
لا يحتاج الى تعب في جلب محبوبه بل كل محبوب اظهر له الدراهم يحضر عنده على اكمل
حال واتم منوال قال الشاعر * (فخرة الفتيان في عشقوا * ذهب ينثره او ورق)
(واذا باب الرصاص اغلقوا * يفتح الدرهم ما قد اغلقوا) ﷺ (هكذا قد قال في تنزيله * لن تنالوا البر حتى تنفقوا)

واما عشق الحذقة فهو ان يكون من اخواننا الفقراء وقلبه يميل الى الملاح
وليس له حيلة الا النظر الى الامرد الجميل وطرفه يشير اليه انه مسكين عاشق
وفقير مفارق وليس معه من الدنيا الا الدعاء لحضرة هذا الجمال ثم
يتذلل بين يديه بالدعاء بقوله اطال الله بقاءك ادام الله جمالك اسعد الله
ايامك ونحو ذلك فيعرف الامرد من دوام نظره اليه ودعائه له ان
مراده الوصال لما يرى من دوام النظر اليه وفقره وافلاسه قال الشاعر

وما نظر اللوطي الا فراسة * وما تحت عين الحلق الا منجم

فيعطف عليه ويمكنه من نفسه ومؤلف هذا الكتاب من هذا القسم على حد قول القائل

إن اجد وجها مليحا * التوى في الفضة خفه ﷺ (او اجد هذا وهذا * لم اجد في الحي غرفه)
او اجدها بك جمعا * التوى في الحارة زفه ﷺ (فلهذا طول عمري * تائب من غير عفه)

واما عشق العلقة فهو ان يكون العاشق عديم الذوق سيئ الخلق كثيف الطبع
والذات اذا رأى الامرد علق معه مثل الزنبور فلا يفارقه ولو ضربه بالمقارع
او صكه بالنعال لا يرجع عنه ولو عرض عليه انواع البلاء والقاه في

ذهب ينثره او ورق (نسخة)

أشد المصائب لا ينفك منه ولا يخلص منه الا بمراده كرها لا برضا قال

ابو نواس اذا رقد الندامى خل عنى * وعمن كان يصلح للدبيب

الذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحيا وخوف الرقيب

ولعل الناظم من هذا القسم بدليل قوله بولى على وشر شرى اعان محبوبته لما رآته على القفا بها كعلوق النار في الحطب او الزنبور في الخشب علمت انه

لا يفارقها الا ان يقضي مراده منها العدم ذوقه وصفاعه وجهه

ولم تقدر ان تمنعه بصك ولا بشئ نجس فلا جل ان ينزجر عنها ويمتنع

عن عشقها ويترك العلوق بها رفعت قميصها واوهمت انها تريد البول

عليه او على لحيته حتى تملأها ولكنها في وهم منه وحيرة فأكد عليها بالقول

وامرها ان تفعل فقال (وقلت لها بولي على وشرشري) اى انى لا ابالى

بما تفعلينه معي من النجاسة ولا اتكدر من الخساسة لانى عاشق

مشوق وقليل الندام والذوق وفي هذا المعنى يقول القائل

احبكم واخرى عليكم وعلى بابكم من فوق * يا سادة عذروا العاشق الخراعدم الذوق

فلا ابالى بالبول على وعلى لحيتى لانى (عريض القفا) وتخينه ومن شان

عريض القفا وبليد الطبع ان يكون (للنائبات صبور) وان لا يستحي

ولا يقلق من البول وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائبه لشدة بلادته

وعدم ذوقه قال الشاعر (يعرض قفاه للهموم جميعها * وذا الكسوء الطبع فهو بليد)

وقوله بولى مشتق من المبولة على وزن مزبلة وهي شئ يعمل من الخوص والحلفا

يحملون عليها الزبل وربما يكون فيها الحملة والوحل فسميت باسم ما وضع

فيها من تسمية الظرف باسم المظروف والمحل باسم الحال ومصدره بال

يبول بولا ومبالا ومبولة ومبلة ايضا وهي ما يبل وينقع فيها الكتان

فان قيل اذا كانت لفظة المبولة فيها هذه المصادر فلاى شئ اكتفى الناظم

بقوله بولى على ولم يصرفها فيقول بولى على بولا ومبالة الى آخره قلنا يمكن

الجواب القشرى عن هذا الكلام وهذه الاشكالات المشكلة وهو ان كلمة

بولى فيها تكرار اذا تصرف فيها واشتق منها المصادر فيلزم من هذا

اختلاف الوزن وخروجه عن قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكا وان كان في حد ذاته ثقيلا فاكتفى الناظم بقوله بولي او يقال ان هذا من باب الاكتفاء وهو ما يدل موجوده على محذوف قال الشاعر

(بالت علي عبالة وعبلة * حتى اكتفيت ببولها وانا ابول) اى وانا ابول عليها ايضا

ليناسب بولها بولي لاجل اتفاق المعنى ومناسبة المحبة وائتلاف العشرة لانها لما بالت على بلت انا الاخرى عليها بيقين ومن الاكتفاء والاقتباس قول بعضهم

مليكة الحسن جودي بالتفاكر ما * لمغرم قلبه قد ذاب فيك اذى

افسدت قلبي فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

اى اذا دخلوا قرية افسدوها وقوله على اى بولي على ذاتي جميعها حتى يشمل البول شواربي ولحيتي وما جاورها بحيث لا يبقى في منبت شعرة الا وقد عمها البول ظاهرا وباطنا وقوله وشرشري معطوف على بولي وهي من لغة الارياف وقد وردت في القاموس الازرق والناموس الابلق وهي مشتقة من الشر او من الشر او من الشرور او من اولاد ابي شرشير وهم جماعة فلاحون او من الشرشرة وهي آلة محددة تعمل من الحديد يضعها الفلاح في حزامه اذا سرح في الغيط يحش بها الزرع للبهائم وفي شرشري جناس مذيل وهو مشرشر واكد على محبوبته في القول بلفظ شرشري لكونها انثى ولو كانت ذكرا لكان الانسب ان يقول له بل على وطرطر لان المرأة اذا بالت شرشرت بمعنى ان بولها ينزل من فرجها مشرشرا حكم اسنان الشرشرة لطول فرجها واتساعه بخلاف الرجل فان ايره ضيق المنفذ فكان المناسب انه اذا بال طرطر لان بول الرجل يخرق في الارض وبول الانثى يرش عليها قال الشاعر

اذا بالت الانثى على الارض شرشرت * وان بال زب فوق الارض يخرق

وفي رواية رشرشت بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد ويؤكد ما قلنا ان عنترة لما رماه بعض الاعداء بسهم ومات به خاف اهل قبيلته وهم بنو عبس من العدو ان يدهمهم على حين غفلة ان شعروا بموته وكانوا على اهبة سفر فاتفقوا ان يجعلوا ابنة عمه مكانه

ويزيّوها بزي رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت الجواد وسارت
امام قومها فنظر العدو اليها فلم يشكوا في كونها عنترة وتحيروا
في هذا الامر وكان فيهم رجل صاحب رأي وفراسة فقال لهم انا اكشف
لكم الامر وهو انني اتوقع نزوله لقضاء الحاجة فان كان بوله يخرق في
الارض فهو عنترة وان كان مشرشرًا فهي عبلة ابنة عمه ويكون عنترة قد مات
فتعقب الرجل وكشف عن الحال فوجد عبلة فهجموا عليهم وردهم والقصة
مشهورة في شعرها وقد تطلق الشرشرة على فعل الرجل لقول الشاعر

اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل * عليه ولم تحظ عليه بسائل
فصورته في وسط الكنيف نجيجة * وشرشر عليه عند كل مبال

وقوله تنفا على وزن صقيع الحا وعريض القفا مشتق من العرض
او من العرضية وهو ما يلف على الرأس بلغة الرياقة ويسمونه ايضًا الكر
او من عارضة الباب قلت والانسب اشتقاقه من العارض وهو
الغمام لان قفاه صار متعرضًا للبول والضنك وغيره كتعرض الغمام
في افق السماء والقفا مشتق من القفوة اي قفوة الانكسارية التي يلبسها
ملازموهم او من القفة او من القفقولة وهي نوشة صغيرة يطبخ فيها
اهل الرياقة طبيخ البيسار وقيل هو من قفوت الشيء اذا تبعته لان القفا
دائمًا تابع للراس ولا يفارقه ابدًا الا عند قطعه ومتى سار سار معه قال
الشاعر الراس يتبعه في السير اربعة * وجه وذقن وآذان وعرض قفا
وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطب به الانسان اذا كان بليدًا جبان القلب
قال الشاعر صادبنابك يا بحر الوفا وقفا * فجا عنك نطع واقف وقفا
وفي هذا البيت الجناس التام المزيد وقوله للنائبات جمع نائبة وهي ما ينوب
الانسان من البلايا والمشقات وقد تنتج من خبايا الايام وحوادث الدهر وعجائبه
على وفق ارادة الله تعالى قال الشاعر (كن حليمًا اذا بليت بغيظ *
وصبورًا اذا اتتك مصيبه) * (فالليالي من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيبة)
ومصدرها ناب ينوب نيابة وقوله صبور على وزن عبود وقيل بمعنى صابر

وعلى هذا ايضا يـ ـن صبور بمعنى صابر وهو مشتق من الصبر او من الصبارة
التي تعلق على ابواب البيوت وقد تنبت في بعض المقابر فهي اشد مرارة
وجذوبها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشتق لها هذا الاسم من هذا
المعنى وقد صرحت بما يقرب من معنى ذلك في مطلع قصيدة قلتها
في شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه فقلت

حوادث الدهر قد تأتي على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الكدر
واعدد لها من سهام الصبر سابغة * تقيك من شر ما ترمي مع الشرر

الى اخرها هنا وقد أتى لفظ العبرانية بمعنى العثور في نظم الشيخ بركات
وسبب قصته انه كان رحمة الله عليه من البلداء واتفق انه سافر الى
بلاد الروم ووصل الى مدينة القسطنطينية العظمى فصادف صديقا له
مارا في بعض شوارعها فسلم عليه وسأله عن حاله وحال الملك فقال له
يا شيخ بركات قد اجازني بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له
الشيخ بركات لابد ان امدحه انا الاخر واثني عليه وكان صديقه هذا
يعرف بلادته وسوء طبعه فمنعه فلم يقدر على منعه عن الملك قطعيا
وكان من عادة الملوك في قديم الزمان انهم لا يمنعون احدا من ابوابهم
فخرجت اليه امرأة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كما سيأتي
في نظمه وقالت له ما تريد فقال اريد الملك فقالت له تأتي اليه في وقت غير هذا
وان كان ولابد فعرفنا حالك نخبره به فاخذ دواة وورقة وكتب فيها يقول

بركات عبرانية جا يسلم ما قدر يمشي * من عجوز خلف دار * كالاسود الضاريات

وطواها واعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلما وقعت
الورقة في يد الملك وقرأ البيتين امر باحضاره فلما مثل بين يديه ورأى
ذاته وبلادته وثقل نظمه ورؤية لحيته ضحك عليه فقال له ما تريد قال الجائزة
على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم اجيزك
جائزة تناسب نظمك هذا ثم انه البسه برذعة حمار وامر ان يجعلوا في فمه
اللجام وعلى طيزه الثفر كعادة الحمير ثم امر ان ينادى عليه في المدينة

هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه الالفاظ ثم انعم عليه بعد ذلك وامر باخراجه من المدينة * قلنا ولهذا ذكروا ان الشاعر لا يهدى قصيدته لملك او غيره حتى ينظر فى الفاظها ثم يهذبها او يعرضها على ارباب الخبرة من اهل الذكاء والفطنة لئلا يقع فى محظور مثل هذا (ولنرجع) الى شرح نظم الشيخ بركات فنقول قوله (بركات عنايه) جمع بركة وهو علم عليه مشتق من بركة الفيل بمصر او من بركة الحمل وقوله عنايه اى يريد العبور على الملك وتقدم اشتقاقه وقوله (جا بسلم ما قدره شى) اى اتى يريد السلام ما قدره والمانع له من السلام عجوز لها قوة شديدة وشدة فى منعه كالاسود اى السباع الضاريات العاديات التى تعدو على الانسان وغيره وتفترسه ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة اذا انحنى ظهرها وشاب رأسها فصيرت فى هامهم وجاء من الاعلى من يميل الى عشق العجائز ويفضلهن على ذوات النهود ابكارا على حد قول الشاعر

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

(ويقرب من هذا المعنى) انه وصف لابى نواس رحمه الله رجل حداد بمصر يقول الشعر ارتجالا فسار اليه متشوقا يختبر فصاحته حتى دخل مصر وسأل عليه فدلوه على حانوته فوقف عليه وسلم فرد السلام فانشد ابو نواس يقول

ماذا تقول رعاك الله فى رجل * اضناه حب عجوز بنت تسعين

فاجاب الحداد بقوله

يبكى عليه فقدا او ذى بمحنته * حب القباح وترك الحور والعين

فقال له ابو نواس مثلك لا يكون الا نديما لامير المؤمنين فقال له الحداد ان صنعتى تكفينى ولا حاجة لى اليه فتركه وانصرف * وقد تطلق العجوز على الخمر اذا عتقت وطال زمنها وقيل لبعض الحكماء من شر الناس قال العجائز وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام فى حق الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا قيل اراد ان يزوجه بعجوز * وقال سيدنا على كرم الله وجهه اياك ومجامعة العجوز فانها تأخذ منك القوى وتهد الحيل وقيل الشابة من النساء شهوة والعجوز بلوة وذات الولد دعوة وذكروا ان اصل حرب البسوس من امرأة عجوز كانت تسمى البسوس وكانت لها ناقة ترعاها

فضربها كلبت بسنهم فقتلها فذهبت الى حبتاس والقت الفتنة بين الفريقين
فاقتتلوا ووقع الحرب بينهم اربعين عاما * وذكر بعضهم ان فتنة النساء
التي لم يوجد في الاسلام اعظم منها الا خروج الدجال كان سببها امرأة عجوز
(واما حيلهن) في القيادة وجمع النساء منهن للمفاسد فانها تغلب حيل ابليس
قال الشاعر عجوز تتمنى ان تكون صبية * وقد يبس الجنبان واحدودب الظهر
تدس الى العطار سلعة اهلها * وهل يصلح العطار ما افسد الدهر
عجوز السوء لا يرجى صلاحها * ولا يغفر لها في يوم موت
تقود من السياسة الف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت
وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بئر تبكي وتنوح فقلت لها ما الذي
دهاك فقالت لي يا سيدي وقعت لي اسورة من ذهب في هذه البئر قال
فاعتقدت صدقها ونزعت ثيابي ونزلت البئر في طلب الاسورة فاخذت
ثيابي وانصرفت وتركتني عريانا ففتشت في البئر فلم ار شيئا ثم خرجت
من البئر فلم ارها فسرت الى منزلي عريانا ولبست ثيابا غيرها فكان هذا من حيل
العجائز ومكرهن فحيلهن عجيبة وامورهن غريبة فينبغي التحرز منهن
والبعد عنهن فهن اصحاب العجائب وارباب الدواهي والمصائب * فان قيل
لفظة قدر شي في نظم الشيخ بركات التي تقدم ذكرها بمعنى قدر فلاي شي
لم يكتف بها مع انها اقل حروفا من قدر شي فكان حقه ان يقول يا سلم
ما قدر وكان هذا اولى واخصر في اللفظ قلنا هذا من باب قطع وقطع
فان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى فلفظة قدر شي ابلغ من لفظة قدر
وايضا ربما اختل النظم فراعى في ذلك زيادة الحروف لاجل وزن الشعر
واما ركاكة المعنى وثقل الكلام واختلاف القافية فلا تطالب بها لبلادة
قائله وكثافة طبعه انتهى (ومن اشعارهم القشرية البيتان الآتيان)
وسببهما على ما قيل ان جماعة من الظرفاء جلسوا يتناشدون الاشعار
وبينهم شيء من الحلوى والثمار فمر بهم رجل فلاح الهم واللزى على وجهه
قد لاح فلما رآهم في هذه الحالة انقض عليهم بلا مهاله وقال لهم ذكرتموني
زمان العشق للملاح وقولي فيهم بلا امزاح واراد ان يأكل معهم فحصل منهم انقباض
فقال لهم لا بد ما ارمي عليكم انقاض اي الغاز بلغة شعراء الريف ثم انشد يقول

والله والله العضيم القادر * هو عالما بسرايري وخبايطي
ان عاود القلب المشوم ذكركو * لا قطعوا من مهجتي بصوابعي

هذا الكلام من بحر الملغطة والمعاني المشرمطة وتفاعيله متخلبطة متخابطة وعرضه بيقان من زنجبة لشربين وطوله باحتياط من السرو لدمياط وانما شرح معانيه المسخطة وحل مبانيه الملغمطة فقوله والله والله العضيم القادر يعني القسم غير انه لم يقع الموقع لانه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لا بالظاء المشالة جريا على لغة امثاله من اهل الريف فاختل المعنى في ذكر الصفة وان كان الموصوف الذي هو الاسم الكريم باقيا على حاله وقوله هو عالما بنصب عالما مع انه مرفوع ليس على قاعدة النحويين الا ان لسانه لم يساعده على ذلك لان السنة اهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من باب معرفة الكلام المناسبة لهولاء الاقوام وقوله بسرايري وخبايطي السراير جمع سريرة وهو ما يستر الانسان من خير او شر والخبايط جمع خبيطة على وزن عبيطة فخبايطي على وزن عبايطي مشتقة من الخبط يقال فلان خبط فلانا اذا القاه على الارض او من الخباط على وزن الضراط ولفظة الضراط انسب بالمقام بل هي اولى * قال الشاعر

الخبط مشتق من الخباط * كذلك الضرط من الضراط

وتصريف هذه المادة خبط يخبط خبطا فهو خابط وذاك مخبوط وقوله (ان عاود القلب المشوم ذكركو * لا قطعوا من مهجتي بصوابعي) هو جواب القسم والقطع هو فصل الشيء وبعده يقال فلان قطع فلانا اذا بعد عنه وبه سمي قبيلة بنو قطيعة والقلب معلوم وسمي به لتقلبه قال الشاعر * وما سمي الانسان الا لنسيه * وما القلب الا انه يتقلب والمهجة معلومة والصوابع على وزن الفراقع وهي معلومة ايضا وهي اسماء للخنصر والبنصر والوسطى والسبابة والابهام فهي خمسة بيقين واربعة بالشك وخمسة بالشبه والمعنى ان هذا البليد اقسم بالله العظيم القادر على كل شيء انه عالم بسرائره وخبايطه اي ما ستره من الافعال القبيحة والبلايا المخبية في بيته بالليل من سرقة الغنم والفراخ والتطلف في الدور وقرط الزرع وسرقة الجلة

نوادر استه بلي زرع شريكه واخذه بالليل ونحو ذلك من الخبايط التي
يفعلها هو وغيره من اراذل اهل الزيافة وقوله ان عاود القلب المشوم
اي ان رجع الى محبتكم بعدما قاسي من همومكم وترككم اياه وهو يتذلل
لكم بالمحبة ويسرح لكم في الغيط في الحر ويصالحكم بالزبل ويسرق
لكم ابحابة وتسلوا له الزينة بملاهاخرانا شعث وزبل غنم ونحو ذلك
ونيس لكم بالليل يقترض لكم النخلة من غيطان الناس ومن زرعكم
ويتشاجر لكم وانتم تشتغلوا بغيره وتهجروه ولا تعرفوا الجميل الذي فعله
فهو الاخر ان عاد قلبه المشوم ووصفه بانه مشوم لانه وافقه على محبة
قليلين الخير ناكرين الجميل وقوله ذكركمو بنصب الكاف الثانية جريا على اللغة
اليمنية كما تقدم اى تحرك بذكركم بعد هذا كله لاقطعوه من مهجتي اى انزعه
منها بصوابعي وفي رواية بصوافري والمعنى واحد لان الصوافر
تابعة للاصابع فان قيل ان القلب لا يتصور قطعه الا بعد موت
الانسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو في حالة الحياة نزع قلبه ولا قطعه
فالاتيم كلام الناظم قلنا الجواب ان هذا قطع معنوي لا حسي بمعنى
انه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث انه لو صور بين يديه وقاله القطع بصوابعه
اوقع كما تقدم * ومن هذا قول العارف بالله محمد بن عروس نفعنا الله تعالى به

يا قلب الاكويك بالنار * وان كنت عاشق لا زيدك * (يا قلب حملتني العار * نريد من لا يريدك)

وقوله من مهجتي فيه شيء فان القلب ليس في المهجة وانما هو في الصدر مما يلي
الشق الايسر فهذا من عدم معرفته وقلة ذوقه اذ لو كان له ادنى ادراك ومعرفة
لم يقل هذا الكلام ولم يجعل القافية على هذا النمط لان قافية البيت الاول
خبايطي والثاني صوابعي او صوافري وهو غير الوضع العروضي ولا يساوي
قشرة بصلة وناظمه انقل من حجارة الميضه غير انه قائله من ارباب
القوافي المقلوبة والمناسبة مطلوبة (مسئلة هبالية) لاي شيء ذكر
الناظم بالصوابع ولم يقل بالسكين او الموسى اذ من شأن القطع ان
يكون بآلة محددة وكون القلب مما لا يمكن قطعه بالصوابع ولا بالصوافر

قلنا

قلنا الجواب المشروح ان يقال انما ذكر القطع بالصوابع لكونه اخف
فى الالم من السكين او لان الحركة والعمل لا يتأتى الا بالاصابع اذ لا يمكن
ان يقطع الشئ الا بيده واصابعه فهو حينئذ لا يستغنى عن الاصابع
فيكون فى الكلام حذف والتقدير لاقطعن مهجتى بسكينة قابضًا عليها
بصوابعى ومن هذا المعنى قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
اى مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك او ان السكين اذا قطع بها قلبه
يمكن ان يقال فلان جرح نفسه بسكين او قتل نفسه بها فذكر الاصابع
هنا لينفى عن نفسه الريبة او انه من باب خلبطة النظام وبحرقة الكلام
ولو قال لاقطعن مهجتى بصوابعى وسكينتى لكان اولى للجمع بينهما اى
الصوابع والسكين الا ان الناظم الهبيل لم يساعده الوزن على هذا المعنى
الثقيل فأتجه الجواب وبان الصواب * ومن اشعارهم مواليا

هباب فرن ابن عمى كيف حلاتك * وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك
يا من عجنتى قلبى فى وحيلاتك * يا ريتنى قرص جله بين اذياتك

هذا القول العكيس والنظم الخسيس والمعانى الغلسة والالفاظ
الهبالية من خرافات الاسرائيليه والتشابيه التى خرجت عن الاوضاع
وبمجتها النفوس والطباع وهو ان ثبتت اوزانه وتلخبطت اركانه
فهو على ربع تفاعيل مستخبط خابط مستخبط خبط وطوله باتفاق
من الخانكه لبولاق وعرضه بيقين من باب زويله لسويقة التباعين
ومعناه غريب ومبناه عجيب فقوله (هباب فرن ابن عمى كيف حلاتك)
يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهيه الجارح للقلوب
عند سماعه فكانه يشبه الزرية وهذا من العجب العجاب ان هذا البليد
الطبع شبه كحل محبوبته بالهباب لكن هو الاسنسطا ولعشقه اياها
وشبه الشئ منجذب اليه والطيور على اجناسها تقع وخص الهباب
بفرن ابن عمه لانه لم يكن فى بلده اكبر منه ولا اكثر هبابا

وان غالب نساء الكفر تخبز فيه العيش وتطبخ فيه الطعام فيتراكم
الهباب فلكثرة تراكمه يسود سوادا شديدا فلهذا اوقع تشبيه كحلاتها
بسواده وقوله ابن عمي ولم يقل فرني لكونه كان فقيرا لا قرن له
الا بالتصحيف وهذا من قبيل التغزل القشروي لانه لما عشق هذه
المليحة ورأى الكحل في عينيها اراد ان يتغزل فيه بما يناسبه ويشبهه
بتشبيه لا يكون خارجا عن الماهية فنظر ببلادة طبعه فلم ير شيئا اسود منه
فشبه كحلاتها بذلك لان الشخص اذا الف محلا صار يرى كل ما فيه حسنا
وكذلك اذا الف شخصا لا يراه الا بعين الكمال ولا يشاهد فيه عيبا
الا ويلوح له ما ينفيه عنه ويشفع عنده في قبوله قال الشاعر
واذا الحبيب اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع وقال آخر
يقولون في البستان للعين نزهة * وماء نمير صفوه غير آسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها * ففي وجه من تهوى جميع المحاسن
(وعادة نساء الارياف) انها تهوى الافران لاجل تدميس الفول وطبخ البيسار
وتقمير البتاو وتنفيض الثياب من القمل ونحو ذلك فكانت هذه المحبوبة
تحت تراكم الهباب عليها لكثرة اشتغالها بالخبز والطبيخ فشبه كحلاتها
بالكونها دائما في هذه الحالة وهذا من باب قولهم سخام يهببها ثم انه لما شبه
كحلاتها بسواد هباب فرن ابن عمه مشيرا اليها انها تفهم من ذلك انه يحبها
لها ومصر على عشقها اراد ان يشبه مدلاتها ايضا ليحصل لها بذلك
غاية المدحة بين نساء الارياف وان يكون التشبيه من ماهية ما تقدم
من تشبيه كحلاتها فقال (وجبل طور ابن خالي كيف مدلاتك) هذا الكلام
فيه تقديم وتأخير وتقديره ان مدلاتك في الطول تشبه جبل طور ابن خالي
والمدلات سلاسل من فضة تعلق على الاصداغ وترخى الى الصدر
ويجعل في آخرها جلاجل من فضة وبرق ونحو ذلك وتسمى ايضا مضفات
كما هو مشهور عند نساء الارياف (فان قيل) هذه نحو من ذراع او اقل
وجبل الطور ربما يكون اكثر من ذراع او ذراعين غيرها يكون ملتفا على اذنيه

فاوحشه هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلو في الشيء والنقص فيه لانه لما عشقها ورأى هذه الدلالات مرتجاة على صدرها ولم يرتق بلده احسن من ثور ابن خاله ولا اطول من حبله شبه ما لاح لها به وأتى بهذا الاستبعاد الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظم العيس واما كونه حرم نفسه من ان يقبل كلامه عند محبوبته التي خاطبها باستعارة ثور ابن خاله وحبله وكذلك قرن ابن عمه وهبا به ولم يذكر شيئاً يدل على الملاك حتى يلين قلب محبوبته فهذا من شدة فكره وقصر ذيله موقافية وظهور حاله انه عاشق مفلس فليس له دواء غير الصفق بالنعال كما قالوا في هذا المعنى

الى معه مال لو طلب الثريا نال * والى بلا مال صكوه بالملاح بنعال
وان كان معك مال هاته تبلغ الآمال * ما كان معك مال اطرد وكل الملاح في الحال

فاتضح الحال وظهر المقال من هذا الكلام المسلوق الوارد من عديم الذوق وقوله طور ابن خالي بالطاء المهملة جرياً على لغات الارياف لانهم يبدلون التاء المثلثة في الثور بالطاء او بالتاء المثناة فيقولون طور وتور (يا من جني قلبي في وحيلاتك) هذا البليد الطبع الخسيس العقل لما وجد محبوبه قلبه تعجن الوحل والطين عقب المطر يعني انها تلمه وتدوسه برجليها كما هو عادة نساء الارياف اذا نزل المطر في الزريبة واختلط بالجلة والزبل والطين فيجعلوه معجنة كبيرة ويكون فيها الزبل والجلة والوحل بيقان ويسموا مجموع ذلك وحلاً وقد يطلق على فرد من تلك الافراد عند اهل الريف ثم انهم يجعلونه جو اليس ويلبسوا به بيوتهم وافرانهم وربما جعلوا منه مذاود للبقر وغير ذلك مما يحتاجون اليه فلما رآها في هذه الحالة اخذت قلبه وعجنته برجليها في هذا الوحل خاطبها بياء النداء تنبيهاً لها على انه لا يجوز من المحبوب ان يتملك قلب المحب ويعجنه ويدوسه في الوحل والجلة والزبل وغير ذلك بل يترفق به ويرق له ثم انه استشعر من ذلك سوالاً كأن قائلاً قال له المحب اسير يتصرف في نفسه بل القلب والروح لمحبوبه فلو انها القتك وزهقتك وقلبتك في الخرا مثلاً فضلاً

عن الوحل لا تلمها فتمنى أن يكون قرصا من الجلة بين يديها وأضاف
الوحل إليها لأنها مالكة له ومتصرفة فيه ويفهم من هذه العبارة أنها
كانت تعجن الوحل في محلها حتى يكون ملكها وأن الوحل كان في زريبتها
بيقين كما أن الجلة والزبل فيها أيضا وقوله وحيلاتك تصغير وحلاتك
وقوله (ياريتني قرص جله بين ادياتك) حينئذ تأكيد وبيان أن المعجنة
التي كانت تعجنها وتدوسها برجليها كان فيها الجلة والزبل بيقين وقوله
ياريتني قرص جله الى آخره بإبدال اللام راء في ريتني من لغة الريافة
وأصلها يا ليتني وقد وجدت في القاموس الأزرق والناموس الأبلق
والمعنى أني أتمنى أن أكون بين يديها قرص جله من هذا الوحل الذي عجنته
وأكون وحل ابن وحل أي وحلا بطريق التمني وابن وحل بطريق التشبيه
فانجلا الجواب عن هذه اللغة القشروية ونزل نفسه منزلة قرص جلة وهو شيء
خسيس إشارة إلى أن العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبه نفسه بهذا
التشبيه الحقير المشابه لمحبته التعيسة وتمنى أن يكون قرص جلة بين يديها
وهذا هو الأنسب لمحبوبته لأنها دائما في عمل الجلة وتلزيقها وعجنها فهي
دائما في هذا الأمر فأتى لها بما يناسب حالها وما تحبه وأعز ما يكون عندها
الجلة والوحل فما أخس هذا العاشق وما أرذل هذه المحبوبة وقوله بين ادياتك
هذه لغة أهل الريف والمعنى أني أتمنى أن أكون قرص جلة تقلبيني بين يديك
من اليمين إلى اليسار مثل ما تفعلي في قرص الجلة حتى أني أتدبكو في ورقوع في
يديك وتمس ذاتي أصابعك فيحصل لي الراحة ويزول عني ألم المشقة
ولو أن صورتي انقلبت قرص جلة فإني لا أبالي من الهجا ولا أسأم من الخسة
لما فيها من الراحة وبلوغ المنى ونحو ذلك * ويقرب من هذا المعنى قول
(وهيفاء لما جئتها حين جلبها * تمنيت أني مرطها وثيابها) لكن هذا أعظم ظرفا في محبوب لطيفة
(مسئلة هبالية) لأي شيء اقتصر في العبارة على الوحل وكان حقه أن يضيف إليها
أيضا الجلة والزبل حتى يصير فيها مجموع الثلاثة (قلنا) الجواب الفشروي أنه إذا كان الوحل
ثابتا بيقين فيكون الزبل والجلة فيها من باب أولى فلا اعتراض على الكلام والجواب بلا ملام

(وقوله)

وقوله هباب على وزن تراب او كلاب اوسراب مشتق من هبوب الريح
اومن هبهبة الكلاب قال الشاعر
لقد هبهبت لما رأتني كلابها * فقلت مجيبا قد علاني هبابها
(وهبهب) وادٍ في جهنم (وفي الاحياء) للغزالي في كتاب ذم الكبر والعجب
عن محمد بن واسع قال دخلت على بلال فقلت ان اباك حدثني عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم وادٍ يقال له هبهب حق
على الله ان لا يسكنه الا كل جبار واياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه
ومصدره الهباب يقال هب يهب هبابا وسمي بذلك لكونه يهب
من الاقران (وقوله ابن عمي) العم اخو الاب وقد يطلق ويراد به الاب
كما يطلق الاب ويراد به العم مثل قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر
فان المراد به عمه لان العرب تخاطب العم بلفظ اب وهو مشتق من العمى
او من العموم ومصدره العم يقال عم يعم عما هذا ووجه الشبه بين
المشبه والمشبه به السواد الذي هو ضد البياض وهو اقبح الالوان
(كما اتفق) ان بعض الملوك ارسل اليه بعض الاكابر هدية لا تليق به
وهي عبد اسود فقال الملك لكاتبه اكتب له بوصول هديته واوجز
فكتب اليه اما بعد لو وجدت لونا اقبح من السواد وعددا اقل من
واحد لارسلته الينا والسلام ويقال ان السواد مأخوذ من السودد
وهو العلو والرفعة ونصره فيه ساد يسود سودا اوسوددا (وقوله
كحيلا) تك الكحل مشتق من المكحلة او من الكحال او من تذكرة الكحالين
قال الشاعر (اخبال الكحل تفنيها المراود * وكنز المال تفنيه السنين)
(وفي الحديث) اكتحلوا بالاثمد المطيب فانه يحد البصر والسنة الاكتحال
به وترا عند النوم (وقوله) وجبل طور ابن خالي الجبل مشتق من الحيلى
او من الحبالين والطور تقدم معناه وهو مشتق من الطور او من
الطارق التي يصيدوا بها السمك واما بالثاء المثلثة وهي اللغة الفصيحة
فهو مشتق من ثوران الارض لانه يثيرها بالحرث فانه معد لذلك

وللساقية ايضا بخلاف البقرة فانها معدة للحلب والولادة قال ابن سودون مولِّيا + التور والبقرة ذي العام ومن قبله * في مصر والشام مع غيره مع الرمله
فذي بتحبل وتولد عجل او عجله * والتور في الساقيه يا كل بقر قبله
(وقوله) ابن خالي الخال اخو الام فعلى هذا يكون الناظم ابن اخت صاحب التور والخال مشتق من الخيلاء او من الخيل او من الخال او خيال الظل ومصدره الخيل يقال خال يخيل خيلاً ويطلق على الخال الذي يكون على خد المحبوب فيزيده حسنا وجمالا كما قال ابو نواس
يكون الخال في خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا (وقوله) كيف مدلاتك المدلات واحدته المدلة على وزن مثلة او المذلة مشتقة من الدل والدلال قال الشاعر (له دلال ودل زانه غنج * سبحان من خصه بالحسن في الناس
او هي من التدلية لكونها تدلت على الصدر او على الجوران او الاكتاف ونحو ذلك ومصدرها التدلي يقال تدلت تتدلى تدليا فهي مدلاة (وقوله بخشي العجن مشتق من المعجنة او من العجين قال الشاعر
والعجن مشتق من العجين * كذا من العجان بالمعين
ومصدره العجن يقال عجن يعجن عجنا وتقدم تعريف القلب واشتقاقه (وقوله) في وحيلاتك العبارة من وحل وفيها الوحل ايضا وهو مشتق من التوحل ومصدره الوحل يقال وحل يوحل وحلا وقد يخاطب به الشخص فيقال يا وحل مثلا اي من طبعه وخصاله تشبه الوحل نجسة خبيثة (وقوله) يا ديتني قرص جله القرص هو الشيء المدور مشتق من التقريص او من القراصة او من القرصة ومصدره القرص يقال قرص يقرص قرصا والجلة فيها ايضا وهي مشتقة من جلة البهائم (وقوله) بين اذياتك جمع يد وقد ورد هذا اللفظ في القاموس الازرق والناموس الابلق قال الشاعر جاءت لنا يا ديات تشير لنا * نمشي اليها سحيا بالرجيلات
(وفي نسخة اخرى) يا ريتني قرص جله بين رجيلاتك والمعنى واحد في النجاسة

وعلى القول الثاني تكون الرجلات جمع رجل وهي من الترجيل ومن الرجلة

قال الشاعر اذا اشتقت الرجلان فهي رجلة * والا فرجل كالرجل اذ ورد

ومصدرها الرجل يقال رجل يرجل رجلا والرجلان مثنى الرجل وفي

الابيات من انواع البديع تشبيه شيئين بشيئين لانه شبه سواد

كحيلانها وطول مدلاتها بهباب الفرن وحبل التور ولبعضهم

تلاعبوا تحت ظل السمر من فرح * كما تلاعبت الاشبال في الاجم

(ومن اشعارهم ايضا مواليا)

سالت عليك فالواشت ملتاية * مسحت دمعي بكرساية وجلاية

وشلت وجهي لربي قلت مولاية * جاب لي رغيف وعجوره وقثاية

هذا المواليا ثقيل الاوضاع تمجه الطباع قليل المعاني ركيك المباني خسيس النظام وهو من بحر زبل الكلام وطوله باتفاق من هنا لبولاق وعرضه بدستور من الجيزة لبولاق التكرور وتفاعيله مستثقلن ثاقلن مستثقلن ثاقلن ومعناه الذميم لا يهواه صاحب الذوق السليم وقصد هذا البليد من هذا المعنى السقيم الاكيد ان قوله (سالت عليك فالواشت ملتايه) يريد به انه لما عشق هذا المحبوب وزاد به العشق والوجد والغرام اكثر من ذكره وصار دائما لا يفارقه طرفة عين فان من احب شيئا اكثر من ذكره ولو انه في اعظم المشقات واصعب البليات قال عنترة بن شداد

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والعاشق يتلذذ بذكر محبوبه واذا ذكره عنده ربما تحن اعضاؤه

لشدة ذكره شوقا اليه (كما اتفق) ان رجلا [illegible]

[illegible] تحيش بعضه [illegible]

[illegible] المريض [illegible]

فقال له نعم ياسيدى فقيل له من اين عرفت ذلك فقال امسكت نبضه وذكرت الفرجيه فتحرك فعلمت بالفراسة انه عاشق ومحبوبته اسمها فرجيه ومن هذا المعنى ماذكرته فى بعض القصائد من قولى

شكوت مابى فقال الصحب اجمعهم * انظر طبيباً لقد امسيت فى وجل
فرحت نحو طبيب كنت اعرفه * يدرى رسوم الهوى بالقول والعمل
ناديته يارعاك الله خذ بيدى * وانظر لحالى وداو القلب من علل
فجس نبضى وقال الحب فاز تعدى * فرائضى وفؤادى صار فى خجل
وقال انت سقيم فى هوى قمر * بديع حسن رنا بالاعين النجل

الى آخر الابيات فلهذا اراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه وان يعلم محله ومنزله ويسال عن حاله وفى اى مكان هو لاجل الاجتما به وبلوغ المطلوب منه فسال عنه كما تقدم فقال له الجماعة المخاطبون جوابا لسؤاله ان محبوبك الذى تسال عنه شت اى ذهب وراح من التابه وهى محل يجعله الجاموسة على شكل دائرة اونصف دائرة من القلقيل والطين وربما جعلوا له سقفاً من الغاب والحشيش مثل بيت صغير ويضعوا فيه اوانى اللبن لاجل عمل الجبن واجتماعهم فيه ويسمونه التابه فيقال تابة الجاموسة وتابة الغنامة ونحو ذلك مما هو مشهور بينهم وهذا كله فى زمن الربيع فانهم يمكثوا هذه المدة على تلك الحالة وربما لطخوها بالجلة والوحل ايضاً لاجل تمكين البناء وسميت بذلك لانها تاوى هؤلاء الجماعة وتقيهم من الحر والبرد فعلى هذا يكون محبوبه من اولاد الجما او الغنامة الذين هم رعيان الجاموس والغنم بدليل انه سال عنه الجماعة القاطنين بهذه التابه فلما علم انه شت منها باخبارهم له تشتت شمله وادركه البكاء والنواح عليه بدليل قوله (مسيح دمعى بكرسايه وجلايه) اى حين علم ان محبوبه سافر وشت من التابه ولم يعلم خبره وكان ذهابه من التابه لاحد امور اما انه انكسر على ابيه مال للسلطان فهرب لئلا ياخذوه عنه رهينة اوانه راح فى طلب عجلة او بقرة او ثور فشت فى البرارى

لينظر ما ذهب منه فسال هذا العاشق الطفس عن هذا المحبوب
الغلس فلم يجده فبكى على فراقه كما هي عادة العشاق واسلوب المحبين
وسال دمعه وامتد سيلانه وربما اختلط بمخاطه ايضا (كما اتفق
ان بعض العشاق المغفلين قال لصديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يا منيتي * يسيل المخاط على لحيتي
وليتك عندي اذا ما خريت * يكون لسانك في ثقبتي
نسيمك عطل ماء السما * واورثني الكسر في ركبتي
فان لم تغثني بلطف الدوا * فان الهوى مسهل معدتي

فلكثرة شوقه وعشقه لهذا المحبوب قال مخبرا عن حاله مسحت دمعي
بكسر الدال المهملة جريا على اللغة الريفية اي لما حصل لي هذا الامر
مسحت دمعي السائل مع المخاط الذي هو من لوازمه بكرسابه فلم يتيسر
مسح جميعه فمسحت باقيه ايضا بجلابية اي انه استعار له ممسحتين
عوضا عن محرمتين وهذا مما يناسب عشقه لهذا المحبوب وايضا فيه
مناسبة لحال العاشق لانه دائما في قطع الكرس وشيل الجلة وعجنها
ولزقها وكذلك المحبوب فالحسية علة الضم والاشياء مناسبة
لبعضها البعض اذ لو قال مسحت دمعي بمنديل او بمحرمة لكان هذا
بعيدا عن الفلاح لانه لا يتصور ان يكون له محرمة او منديل الا نادرا
لان الظريف من اهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح يده في كمه او في لحيته
فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه لبس يليق بهذا
المعنى ولو سلمنا ذلك وان كان نادرا كما تقدم فقد لا يتفق ذلك في
وقت سؤاله عن محبوبه لانه سال عنه اهل التابة وهم دائما في حالة رذلة
من الجلة والطين ونحو ذلك وهو ايضا في حكمهم ومتخلق باخلاقهم
ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقدهم في الخساسة ورئيسهم في النجاسة
ولا يتصور ان يكون مع احدهم منديل ولا محرمة لان مناديل الجماعة
في الغيط دقونهم ومحارمهم اكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده في قرص جلة

اوفي القلقيل اوفي الحشيش اونحوذلك فان قيل لاي شيء مسح دمعه
بكرسايه وجلابيه وكان الاولى ان يمسحه بكمه اوبطرف كم اوبشيء كان
عليه من ملبوسه قلنا لعله لم يكن عليه الاما يستربه عورته فقط
اوكان عريانا كما هوداب الفلاحين في غالب اوقاتهم الكبير منهم عليه
ما يستر العورة لاغير فربما كان وقت سؤاله عريانا في حفر بئر اوقناة
اوشيل زبل وجلة اونحوذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا
القبيل اوانه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتيقن ان
الكرساية والجلة نجاسة كما هوعادة الفلاحين انهم لايتحاشوا عن
هذه الامور فمسح دمعه بها اوانه من الخضوع الفشروي والتذلل
لمحبوبه اوانه اراد ان يفهمه اذا رجع واجتمع به انه مسح جبينه ووجهه
ودموعه بكرساية اوبجلابية ليتحقق انه محب له وانه تعاطى لاجله
اخس الاشياء والاولى ان يقال ان هذا من باب المناسبة لحال
العاشق وحال المعشوق لان الشخص من اولاد الفلاحين ينشأ
من حين ولادته الى ان يموت في الجلة والطين وشيل الزبل ونحوذلك
واذا جلس لايجلس الاعلى النجاسة وربما اكل وشرب على الزبل والجلة
ونحو ذلك فهم خرا اولاد خرا فكان مسحه بالجلابية والكرساية
بهذا الاعتبار فلايؤثر عنده التنجيس بذلك كما هوعادة ارباب
واحوال الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه
مسح دمعه وافاق لنفسه وتيقن ان محبوبه يقول
نفسه جيعان ولم ير احدا يرسله الى داره ليأتيه بشيء يأكله
والجبن القريش والبصل ونحوذلك كما هوعادة الفلاحين
ماكولهم لم يكن له صبر لان الجوع يضر بالانسان خصوصا
لانسيما اذا كان في حالة حفر البئر اوشيل الطين اوخدمة
الوحل وتراكمت عليه الدواهي والتعب من عقب
اوالعشق الذي هوفيه وزيادة

وقد ابطأ عليه الغدا فاضطر اضطرارا شديدا وساخت عليه نفسه
لانهم يقولون الجوع كافر (وسمعت) بعض الفقهاء يقول لما خلق الله
النفس سلط عليها انواع البلايا فقالت انت انت وانا انا فسلط عليها
الجوع وقال لها من انا فقالت انت الله الذى لا اله الا انت فكان الجوع
على النفس اصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا صبر عليه يصح جسمه
وينشط للعبادة (وقال بعضهم) تاكل كثير تنام كثير يفوتك خير كثير قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل اكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر اخبر عن نفسه وقال فى مناجاته لربه
(وشلت وجهى لربى قلت مولايه) اى لما طال على الزمن فى حالة بكائى
وفى مسح الدموع واشرفت نفسى على الهلاك من الم الجوع وغيره كما تقدم
شلت وجهى لربى اى رفعته وهذه لغة ريفية وردت فى القاموس الازرق
والناموس الابلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه اى رفعه وقوله لربى
اى لخالقى ومربينى ثم دعوته وقلت مولايه وحذفت ياء النداء لضرورة
النظم واما الهاء فى مولايه فلاجل الروى ثم كان من ضمن دعائه انه قال
اطلب منك يا ربى ومولاى ان تيسر لى ما اكله والتهى به عن الانتظار
لهذا المحبوب الذى اذهل عقلى واجاع نفسى واسال مخاطى ودمعى
فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما اشار له بقوله (جالى رغيف وعجور وقناية)
اى حضر لى اتانا اعطانى مجموع هذه الثلاثة واكلت وسددت مجاعتى
وحصلت لى غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم فان قيل
استجابة الدعاء لها شروط ان ياكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح
فى وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهى مسح وجهه بالكرساية وللجلة ووقوفه
ايضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرفعه جنب المدود والجرن وايضا
هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ما ذكر وهو الرغيف وتابعه
(قلنا) انما عجل الله له هذا من باب الاستدراج او من باب ما ورد

ان الرجل الخبيث إذا دعا يسرع الله له بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه اليه وقد قيل في قوله تعالى في حق سيدنا موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام قال قد اجيبت دعوتكما اى بعد اربعين عاما

(مسئلة هبالية) ما الحكمة في ذكر في الابيات الكرس والبلة والزعيف والعجورة والقتاية وهذا الابيات لا يناسب ذالك ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن ان يأكل القتاية والعجورة بالجلة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره مما يناسب فما فائدة ذكر ذلك مع ان فيه انواع النجاسة (قلنا) لعل هذا من باب تعدد الاسماء وقد ذكروا نوعا من البديع فالكرشا واحد الكرس والبلاية واحد الجلة والعجورة والقتاية كذلك وذكر القتاية بالتاء المثناة لغة ريفية فيكون بينها وبين اللغة الفصحى جناس المصحف فاتضح الجواب وزال الاشكال عن وجه هذا الهبال

واما حل هذه الابيات واشتقاقها فقوله سالت عن الحب السؤال هو ان يسأل الشخص عن شئ وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتق من السيل او من السولية او من السالة ومصدره السؤال يقال سال يسال سؤالا والحب مشتق من المحبة او من المحبوب وهو بكسر الحاء اسم لزير الماء (وسمعت) امى وانا صغير تقول يا شئ من شئ بطنى على بطنه والمدلى يعمل شغله ولم افهمه الا بعد مراجعة امى مرارا انه زير الماء والكوز ومصدره الحب يقال حب يحب حبا وقوله شث مشتق من الشتات او من الشيئة التى تستعملها النساء لحمل الكتان والتاية مشتقة من التوهان او من وادى التيه وقوله مسحت من المسيحة على وزن المرقع او من المسحة على وزن دبحة ومصدره المسح يقال مسح يمسح مسحا والبلاة كذلك من معناها والكرساية من التكريس او من كرس الزريبة وقوله شلت وهى الشيل مشتق من الشالية التى يوضع فيها اللبن او من الشلف الذى يشال فيه التبن ومصدره الشيل يقال شال يشيل شيلا والعجورة من العجر او من العجيرة وهى حشيشة معروفة ومصدرها العجر يقال عجر يعجر عجرا

والقتاية مشتقة من القت الذى يربطوه الحصادين من الفلاحين ايام حصاد الارز وهو معروف عندهم وفى البيت من انواع البديع المقابلة لانه قابل وجهه بالكرساية وقابل لحيته بالجلاية وقابل بطنه بالرغيف والبجورة والقتاية وهذا يدل على انه كان مشغولا ببطنه اشد من اشتغاله بمحبوبه وفيه الطباق المعنوى ايضا لكونه طوى ذكر الجوع وشكايته ثم ذكر بعض ما يدل على ذلك فانظر وفقك الله ما حوى هذا النظم الفشرو من غموم وهموم ومعانى عليها الخراطوم لا يعرف الا بالذوق ولا يدرك الا بالشوق (ومن اشعارهم مواليا)

رقاص طحونتنا يشبه لخلخالك * ورحينا فى الزريبه قالت اشحالك
الا وكلاف يقول لى ياصبى مالك * طور ابن شيخ البلد حاله كاحوالك

هذا المواليا من بحر التخبيط وهو على اربعة اضرب من التخابيط * وتفاعيله مستلهطن لاهطن مستلهطن لاهطن وطوله من غير حصر من شبرى لمصر وعرضه مع المصيبه من باب النصر للصليبه ومعنى الفاظه الحويطه وحل معانيه العبيطه ان قوله (رقاص طحونتنا يشبه لخلخالك) اى رنة خلخال محبوبته وسماعه اذا خطرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة خصوصا اذا كان خلخالها من النحاس المطلى بالقزدير كما تفعله نساء الارياف او من الحديد فعلى هذا يكون المشبه به السماع والحس لا نفس الرقاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحونة فيكون هذا الصوت الذى شبه به صورة خلخالها ناشئ من بين الحجر والرقاص ولهذا عرفوه بانه الهواء المنضغط بين قالع ومقلوع او قارع ومقروع فاتضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم والا لو كان المشبه نفس الرقاص لم يكن هناك فائدة لكلامه الا على تقدير مضاف اى صوت رقاص طاحونتنا الخارج منه ومن الحجر يشبه لصوت خلخالك من بين الفردتين اذا مشيت ويفهم من هذا انها كانت تلبس فى كل رجل حجلا كاملا لاجل ظهور الصوت فان قيل ان رقاص الطاحونة له حس ورعب

عند دوران الحجر وله قرقعة عظيمة منفرة للقلوب عند سماعها ولهذا يفعله الطحانون لاجل معرفة الناس ان هذا محل الطحن فيأتوا اليه للطحن فيه اولاجل دوران الثور او الفرس فانه ما دام يسمعه يدور فاذا رفعوه وانقطع حسه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معد لاجل نشاط البهائم وسرعة دورانها فأين المناسبة بينه وبين الخلخال من الفضة فان الشيء انما يشبه به ما كان مثله فالجواب ان هذا الناظم لم ير الخلخال اصلا ولاملكه طول عمره وانما يعرف رقاص الطاحونة فظن بسوء طبعه وعدم ذوقه ان صوت هذا الرقاص لم يكن في الدنيا احسن منه سماعا فشبه صوت خلخال محبوبته به لاسيما اذا لم يكن من الفضة بل كان من النحاس والحديد فانه اذا كان كذلك ومشت به محبوبته فان حسه يقارب في السماع حس الرقاص وبالجملة فلو كان هذا الفلاح طحانا لطيفا لم يتكلم بهذا التشبيه الكثيف * والطف ما سمعته في طحان هذان البيتان

طحانة قدها جمالا * فما يطاق السلو عنه * (ورق خصرا فليت شعري * بكم يباع الدقيق منه

واحسن ما سمعته في محبوب فلاح قول بعضهم

• رب فلاح مليح * قال يا اهل الفتوه * (كيف اضعف خصري * فاعينوني بقوه

اقول هذا من باب عمي العاشق عن عيوب المحبوب والا فالفلاح وان كان جميلا فان افعاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الامر ان هذا العاشق نظر الى الردف الثقيل والخصر النحيل فمدحه فاتضح الجواب وبان الصواب ثم انه اضاف الطاحونة الى نفسه لكونه كان ملازما لها وقاطنا فيها ويحتمل انها كانت ملكه او ان هذا من باب بني الامير الجدار ثم ما كفى هذا القائل الخبيث الطبع الرثيث الوضع الذى لا يعرف الحب ولا يدريه وعشقه بشبه الخرا ما ذكره من النظم الركيك والمعنى الديكيك حتى تخيل له ان الرحا تخاطبه بالمقال وانها تفهمه عن شرح الحال فاخبر عنها وقال (ودحينا في الزربيه قالت اشحالك) يشعر هذا الكلام بان الرحا خاطبته وانها سالته عن حاله وقالت له ما حالك اليوم يا مسكين وقد وصلت

الى العظم المسكين وكيف صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقة من اجلها هذا اذا جعلنا خطابا للرحالة واما اذا كان الخطاب للمحبوبته فيكون ذلك من باب سلام الرحا عليها واستفهامها منها ما هي فيه في هذا الوقت وبالجملة فان كانت اللام التي قبل حرف الرو منصوبة كان الخطاب له وان كانت مخفوضة كان للمحبوبته ولعل هذا هو الاصوب وسيأتي ان نصب اللام وخفضها لا يضر في الشعر ويفهم من قرائن المقام ان محبوبته كانت مثله طحانة تطحن على الرحا في الزريبة فان هذا العاشق كان يتردد عليها ويشاهد هذا الامر فكانت الرحا اي لسان حالها ترى منه هذا الامر فتخاطب تارة العاشق وتارة المعشوقة خطابا بلسان الحال لا بلسان المقال فانها ليست من اهله * ثم انه لما علم من حالها انها خضعت له ورقت لحاله حيث خاطبته بالجارة وانه يريد منها ما يريد الراهب من الجارة اراد ان يعرفها ما يقع لغيره قبل مواصلته وما يتفق لبعض اصحابه واخوانه من الاثوار من نحو اجسامهم من ضرب العرقلة وتعب السواقي والحرث ونحو ذلك لاجل ما يتأسى به ويتسلى بحاله فاتى باداة الاستثناء فقال (الا و كلاف يقول لي يا صبي مالك) وفي نسخة بدل مالك والك بالواو (طور ابن شيخ البلد حاله كاحوالك) اي ان هذا الكلاف ويقال له العلاف بالعين المهملة ويسمى التوار ايضا وهو الذي يكلف البهائم والاثوار ويتعاطى خدمتها لما رأى هذا العاشق ومقاساته للاهوال من اجل محبوبته وقد صار في حالة رذيلة خصوصا عند مشاهدة محبوبته لان العاشق اذا شاهد معشوقه اعتراه التغير وخالطه الاصفرار واذبله النحول قال الشاعر

علامة من كان الهوى في فؤاده * اذا ما رأى المحبوب يوما تغيرا
ويصفر منه اللون بعد احمراره * وان طالبوه بالجواب تحيرا

وايضا رآه في حالة فقر وافلاس وناهيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله وشاهد ما هو فيه من الخمول وشدة النحول قال له يا صبي مالك اي والك

على الرواية الثانية لغة عند أهل الريف والمعنى واحد اى ما حالك هذا الذى
انت فيه وما سببه مقاساتك للخطب وانما خاطبه بلفظ يا صبى لكونه
اعترته الصبوة اى المحبة والميل وسيأتى اشتقاقها او انه كان من صبيان البلد
اى من شجعانها وقد اذله الحب وانحله الغرام والمعنى انك لست مختصا
بهذه الحالة وحدك بل ان بعض اخوانك من الاثوار نابه ما نابك وأصابه
ما اصابك وهو ثور ابن شيخ البلد الذى هو اعظم الاثوار واكبرها فان حاله
الآن مثل حالك قد انحل جسمه واصفرت ذاته مما قاسى من التعب
وما كابده من النصب وما اكله من الضرب على اضلاعه وما حصل له من
شدة اوجاعه وهذا من باب التسلية والتاسى بالغير كما سبق واراد تسليته
بالثور لكونه فلاحا ومن شأن الفلاح انه فى الغالب لا يضرب الامثال الا
بالبهائم ولا يكثر الا من ذكرها وذكر آلات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس
ما يناسبه كأنه يقول له سل نفسك وصبرها على العشق والغرام فان هذا
الامر ليس مختصا بك فان صديقك ورفيقك الذى هو ثور ابن شيخ البلد
حاله يشبه حالك واتى بهذا التشبيه الخسيس المبنى على غير تجنيس ليناسب
عشقه وحال محبوبته كما تقدم بيانه لئلا يخرج تشبيهه عن ماهية ما هو فيه
لانه دائما فى معاشرة البهائم والاثوار وكذلك محبوبته فاتجه الحال وظهر
الجواب عن هذا الاشكال اذ هو نظم يشبه بول الرجال وقائله اثقل من الجبال
* واما شرح كلمات الابيات واشتقاقها فقوله رقاص طاحونتنا الرقاص آلة يصنعها
النجار من الخشب تشبه الكف والانامل معلقة فى عود من الخشب او الحديد
فاذا دار الحجر وقعت عليه وسمع لها حس وسميت الرقاص لانه مشتق من الرقص
على وزن القمص او من قرية فى البحر الغربى يقال لها رقص ومصدره الرقص
يقال رقص يرقص رقصا فهو رقاص * والطاحون على وزن المأبون والمجنون
مشتقة من طحن القمح او من الطين ومصدره الطحن يقال طحن يطحن
طحنا فهو طاحن ومطحون * والخلخال مشتق من الخلخلة او من الخلاء
او من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة * والرجيج حا

ومن

وهي حجران صغيران احدهما مركب على الآخر الاعلى يدور على الاسفل وفي وسط الاسفل عود من الحديد يدور عليه الحجر الثاني يقال له القطب (قال ابن دريد رحمه الله تعالى في مقصورته)

وان سمعت برحًا منصوبة * للحرب فأعلم انني قطب الرحا

والرحى بضم الراء واحدتها رحًى كما تقدم وهي مشتقة من الراحة اومن الروحاء محل بأرض الحجاز اومن الرواح وقيل من المروحة ومصدرها الرحا يقال رحا يرحو رحا قال الشاعر لراحة مستقة من رحا تهم * تروحني لما اروح الى ارضهم

والزربية مشتقة من زرب البهائم لانهم دائما يزربوا فيها ويحلبوا فيها وربما بالوا فيها ايضًا كما هو معروف بينهم ومصدرها الزرب يقال زرب يزرب زربًا * والكلاف مشتق من الكلفة او من الكلف وهو النمش الذي يظهر في وجه الامرد او الجارية بعد بلوغها ودليله ان هارون الرشيد مر يومًا بجارية تباع فقال والله لولا كلف بوجهها لاشتريتها فانشدت الجارية تقول

ما سلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف

البدر فيه خلش بين * والبدر فيه كلف يعرف

فاشتراها هارون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده واذا كان بلفظ العلاف كما تقدم فيكون مشتقا من العلف او بلفظ التوار فيكون مشتقا من التيران ومصدره العلف يقال علف يعلف علفا وقوله يا صبي مالك بنصب اللام والبيتان السابقان بكسر اللام وهذا لا يضر لانه ورد في شعر العرب وتقدم في غير هذا المحل اشتقاق الصبي من الصبوة او من الصابون او من قناطر الصابوني وتقدم تعريف الثور لغة واصطلاحا (فان قيل) لاي شيء اتى في النظم بالثور فقط وكان من حقه ان يأتي بالعجلة ايضًا او بالبقرة حتى يكون الناظم في مقام الثور والمحبوبة في مقام العجلة او البقرة بحيث يكون الذكر للذكر والانثى للانثى ويكون هذا من باب المقابلة التي هي ابلغ في النظم (قلنا الجواب) العشروي انه يفهم من ذكر الثور ذكر العجلة او البقرة كما ان ذكر عنتر يفهم منه ذكر عبلة فكان الاعتراض على الناظم

في غير محله وكانت المقابلة معنوية وهذا من باب قياس فلحس بن فلطس
الذي قاس البحر على المغطس (فان قلت) لاي شئ حصر الناظم الرخ في
الزربية مع انها ليست معدة لذلك وانما هي معدة لزربيا لبهائم فيها كما تقدم
انهم يبولوا فيها بيقين فان البول فيها لا يدوم ولربما كانت جوانبها سالمة
من البول فيحطوا فيها الرحا لاجل الطحين او يقال ان نساء الارياف
لا يتحاشين من الزبل والجلة فان المراة منهن اثوابها دائما متضمخة بالجلة
وغيرها في غالب الاوقات فانضح الحال عن وخم هذا الهبال (ومن شعرهم مواليا)

رأيت حريفي بفرقلة يسوق تيران * لوكرا صفر على راسه كما اللبسان
يا ريتني كنت له حذوه من الحوان * اوكان لى شلق فوق راسي من الكتان

هذا الموالياء من بحر التحريف ومعنى التحريف بالتقدير من سمنود لابي صير *
واما معناه الخارج من الادراكات الجارح لقلوب ذوي المروآت الذي
يمجه الطبع ولا يسعه محل من البيوت ولا ربع فان قوله (رايت حريفي بفرقلة
يسوق تيران) هذه الرؤية بصرية اي شاهدت ببصري لا بيدي ورجلي
حريفي اي محبوبي وهذه اللفظة من لغة الارياف لانهم يخاطبون محبوبهم
بهذه الكلمة فيقول الشخص منهم فلان حريفي اي صديقي او صاحبي او محبوبي
ويقول له يا فلان تعال حرفني اولا قشني يا ابو واسعة او هارشني يا ابو عرنية
او حارفيني يا مليحة او يا ابو كارم او يا ابو كرم ونحو ذلك من هذه الالفاظ
وسيأتي كيفية لقشهم على المرد والنساء في الارجوزة الاتية في آخر الجزء
ان شاء الله تعالى وقوله بفرقلة يسوق تيران يريد به التغالي في وصف المحبوب
حيث جعله سواقا بفرقلة لان الانسان اذا عشق شخصا يصفه بوصف
يليق بحالته التي هو فيها من لبس او صنعة او نحو ذلك مما يكون مغرما به
وعاشقا له (كما اتفق) ان بعضهم كان يهوى غلاما يهوديا وكان الغلام
مغرما بضرب الناقوس فمر به يوما وهو يضربه فانشد يقول

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبي ضربا بالنواقيس
فقلت يا نفس اي الضرب يحزنك * ضرب النواقيس ام ضرب النواقيس

ناظراً الى رقة هذا الكلام والى مصادمة هذا النظام فكان هذا مناسبا
لحال كل منهما لان العاشق فلاح والمحبوب سواق ولا يستغنى الفلاح
عن عشرة السواق ولا السواق عن الفرقلة ايضا والفلاح عند الترك
فى مقام الاولاد كما ان السواق عند الفرقلة اعز من اخيه وولده ولهذا
تراها دائما على كتفه لا تفارقه فكان المطلوب من هذا العاشق وصف
هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يألفه ثم ما كفى هذا العاشق الماسخ
والهم الراسخ ما وصف به محبوبه من امر تعاطيه الفرقلة واشتغاله بسوق الثيران
وانه عنده من اكابر الرعيان ومن اعز السواقين الاعيان حتى وصف
ما على رأسه فقال (لو كر اصفر على رأسه كما اللبسان) هذا على حذف مضاف
تقديره ان لهذا المحبوب كرًّا وهو الشد الذى يلفه على رأسه يشبه فى لونه
نوار اللبسان وهذا من قبيل التفاخر بمحبوبه والتعاظم له حيث وصفه
بان له كرا اصفر على رأسه يشبه نوار اللبسان وانه متميز عن غيره من السواق
والرعيان بهذا الكر فقل ان يلبسه احد من جنسه واذا فرض ان احدا يلبسه
لا يكون كله اصفر كنوار اللبسان بل ربما تكون اطرافه فقط من عصفر او معصفرة
كما يفعله اهل الرياقة لاولادهم فان قيل لاى شئ شبه كر محبوبه بنوار
اللبسان ولم يشبهه بالزعفران او العصفر او نحو ذلك (قلنا الجواب واضح)
وهو انه انما شبهه بهذا الزهر لانه لا يعرف الزعفران ولا غيره من الصبغات
وانما يعرف ما تظهر صفرته من اصناف النوار مثل نوار اللبسان لانه فلاح
والفلاح لا يعرف الا ما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سواق بفرقلة
فكان لا ينبغى ان يشبه كره بما يعرفه والا لو فرض انه شبه الكر بشئ لطيف
او وصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهية الرذالة وكان منه تشبيها لطيفا
بعيدا عما يقتضيه طبعه من الثقالة فاتضح الحال عن وجه هذا الاشكال
ثم لما علم ان محبوبه دائما يمشى بحدوة فى رجله اذا احتاج الى حرث الارض
او حصاد الزرع او الذهاب الى الساقية اذا كانت بعيدة تمنى ان يكون
حدوة فى رجليه من الحدوان فقال (يا ريتنى كنت له حدوة من الحدوان)

اى ياليتنى فابدل اللام راءً على لغة اهل الريف اكونُ دائماً حدوة فى رجليه
ولوكان بها النجاسة حتى اتلذذ بمس بشرة رجله الخشنة وكعبه المقشف *
فانظر الى قلة عقله وصفاعة لحيته حيث جعل نفسه حذوة من الحذو ولت
بل هو جدى من الجذيان * وارذل من هذا التمنى فى هذه الابيات قول بعضهم
فى المدرجات   ياليتنى كنت لمستداسا * اوكنت فى اقدامه مداسا
فتمنيه فى الشطر اشنع من تمنى هذا الفلاح لان السنداس اشنع من الحذوة
لانه محل الشئ المستقذر نعم الشطر الثانى من قبيل ما نحن فيه * ثم ان هذا
الفلاح لما لم يبلغ مناه ولم ينل ما تمناه ولم يظفر من محبوبه برضاه تمنى ان
يكون محبوبه مرفوعاً على رأسه فقال (واكان لى شلق فوق راسى من الكتان)
الشلق يطلق على قطعة حبل من الليف والكتان وربما سمى اهل الريف الحزمة
الصغيرة شلقا وهذا من باب التذلل لمحبوبه والتواضع له حيث جعل نفسه
حذوة من الحذوان فى رجليه وجعل محبوبه شلق كتان فوق راسه
ما يعصب رأسه به اذا اشتد وجعها من الم الصداع او الضبان الحمى
والمصائب وهذا من عدم ذوقه وقلة عقله وشدة جهله (فان قيل)
اذا كان هذا العاشق قصد ان يكون محبوبه فى صورة شلق من الكتان
يربطه به رأسه يكون على هذا التقدير محبوبه دائماً فى تعب منه مع ان العاشق
لا يريد الا راحة محبوبه (قلنا) ان هذا من باب التواضع القشروى لمحبوبه
وطلب الرفعة له والعلو بكونه دائما فوق رأسه مرفوعاً لان الرأس ما رأس
وعلا فلا يكون فوق محبوبه شئ ولا دون هذا العاشق احد من العشاق
فى التواضع او انه من قبيل الاشتغال به بربطه على رأسه وعلى الاحتمال الاول
حصلت هنا المقابلة لرأسه وللحذوة التى فى رجل محبوبه فكان هذا من باب
التدلى وعكسه فناسب الامر واتضح المعنى وهذا كله من تمنى ما لا طمع فيه على حد
قول بعضهم   الا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب
(مسئلة هبالية) لاى شئ تمنى هذا العاشق ان يكون حذوة ولم يتمن
ان يكون وطا مع انه المناسب وربما كان الطف واظرف من الحذوة واعلى ثمنا

والحذوة فيها يبس وعجرفة اكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويقبله خصوصًا في ايام الاعياد ونحوها والمحبوب لايليق به الا الشيء النفيس فما الجواب قلنا الجواب عن هذا البحث القشروي ان هذا المحبوب كانما يمشي الى الحرث والحراث لا يليق به المشي في حالة الحرث الا بالحذوة وايضا هي اكثر استعمالا لكثرة ما يدوس بها في الارض المحروثة في شروحه وردوعه وفي شدة الحر وبذلك تكون النجاسة فيها اكثر والقذارة اوفى واوفر فتكون بمقامه انسب واوفق بحاله من الوطا واقرب وايضا هي المعهودة والمعتادة في مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح انه لا يسرح ولا يروح الا والحذوة خلف قفاه مربوطة بحبل في نبوته والعادة تثبت بمرة فكان الاولى لهذا العاشق ان يتمنى ان يكون له حذوة لانها عنده المحبوبة المألوفة فهي احسن من الوطا وايضا العاشق من شأنه ان يحب ما يألفه محبوبه ويهواه ومن شأنه التذلل للمحبوب والخضوع له والذل في الحب لائق بالمقام كما قال بعض الملوك في جاريته وكان مغرمًا بها ومشغولا بحبها

آيا ربة الخدر التي ضيعت نسكي * على كل حال انت لا بد لي منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى * واما بعز وهو اليق بالملك

وقال هرون الرشيد في جواريه الثلاث

ملك الثلاث الانسات عناني * وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها * واطيعهن وهن في عصياني
ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعز من سلطاني

فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة اخرى) فان قيل كان من حق الناظم ان يقول (او كان لي شلوت في وسطي محزم به) لان الشلوت كما تقدم حبل من الكتان او الليف والحبل لا يكون معدًا الا للحزام او لربط شيء ونحوه واما وضعه على الراس فنا دريها الحكمة في ذلك قلنا الجواب عن ذلك ان الشلوت وان كان معدًا لما ذكر الا ان الغرض للناظم خلاف ذلك وهو انه يريد رفع محبوبه على راسه حتى يصير في اعلى مكان

وأشرف منزل وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وأيضاً يمكن الجواب
بأن يقال ان من عادة الفلاحين انهم يلفوا على رؤسهم الحبال اذا كانوا
في شغل دق الكتان او فتل الحلفة فيجعلونها مقام الكرو ويربطون بها
رؤسهم ويحفظون بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم واما اذا جعلنا
الشلق بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله
فوق راسى من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب
(شرح لغات الابيات) قوله حريفى مشتق من الحرفة او من الحرافة او من حروف
الهجاء او من حرف الماجور قال الشاعر

حريف اذا ما اشتق يا ذكر حرافة * وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة
وقد صح في القاموس الازرق انه * من الحرف للماجور فاصغ لحكمة

ومصدره الحرف يقال حرف يحرف حرفا فهو حريف * والفرقلة مشتقة
من الفرقلة على وزن المزبلة او من الفرقال على وزن المثقال او عبد الزبال
ورأيت في القاموس الازرق والناموس الايلق ان الاصل في وضعها الطراشة
التى تلعب بها الخلابيص في المواسم وعملت الفرقلة قياسا عليها وكان اسمها
في الاصل فرقيعة وان الذى صنعها صار يضرب بها الناس ويفرقع
فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل
واضافوا اللام وهاء الضمير الى بقيته واقاموا الضمير المذكور مقام
هاء التأنيث وجعلوا مجموع ذلك علما على هذه الحبال المفتولة وقالوا فرقلة
كما قالوا مثل ذلك في بعلبك ومعدى كرب ونحوهما من المركبات المزجية
فان قيل اذا كان اصل الفرقلة الطراشة فلاى شيء ترك الناظم الاصل
واتى بالفرع والاصل اشرف من الفرع الا في بعض مسائل ذكرها العلماء
قلنا انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوبه خلبوصا فان الطراشة
من ملازمات الخلبوص ولكن المقام لا يناسبه الا الفرقلة لكون هذا المحبوب
سواقا للبهائم وهو من اولاد الفلاحين فكان الانسب به الفرقلة كما تقدم
ومصدرها الفرقلة يقال فرقل يفرقل فرقلة * وقوله يسوق على وزن فوق

مشتق من السّواق او من السّاقية او من السّوافة ومصدره السّوف
والسّوافة يقال ساق يسوق سوقا وسوافة قال الشاعر
يسوق اذا ما اشتق فهو سوافة * وساق وسوّاق وسفس لقدره *
والكرز ما يلف على الرأس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكركرة
على وزن الخرخرة او من الكراويا او من الكرب او من كرّ الشئ اذا احله
يقال كرّ عرضية فلان اذا احلها من علا رأسه ومصدره الكرّ يقال
كرّ يكر كرّا * وقوله كما اللبسا اللبسانيات يطلع في البرسيم له ورق
عريض يأخذ اهل الريف وينزعوا اوراقه ويخرطوه بالسكين ويضيفوا
عليه اللبن والملح ويسقوه زمانا يسيرا ويأخذوا قوامه ويسموا مجموع ذلك
كبر باللبن وسيأتي ذكره في كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتان
لانه اصفر وزهر الكتان ازرق قال ابن سودون
(زهر الكتان مع اللبسان هما لونان ولا كذب) * كهو في ديرخاطو * ينصاح كركم زرق)
وهو مشتق من اللبس لانه ربما يلتبس على الشخص القليل المعرفة قبل ظهور
نواره بنبات آخر غيره يسمى عند الفلاحين حميض بضم الحاء المهملة وتشديد
الميم وربما اشتبه ايضا بنبات يسمى فسا الكلاب ورقه ايضا يشبه ورق
اللبسان وفسا الكلاب فيه بعض منافع مذكورة في منافع النباتات
او من بئر اللبسان وهي بئر مشهورة في ارض مصر يطلع فيها نبات يدخل
في علم الصّنعة الالهيّة ويقال انّ هذه البئر هي باب الكنز الذي تأتي اليه
الحبشة وتأخذه في آخر الزمان ومصدره اللبسان يقال لبس يلبس لبسانا
* والحذوان على وزن الخروان واحده الحذوة وهي جلدة تعمل على قدر
القدم لها خيوط من الجلد تمسكها ويستعملها الحراثون وغيرهم لدفع المشقة
واذهاب الحفا والعيا عن الرجل ونحو ذلك ومصدره الحذو يقال حذا
يحذو حذوا وقيل مشتقة من الحداية وهي طائر معروف من الفواسق
الخمس التي جوز الشارع قتلهن (فان قيل ان الحداية من شأنها الخطف
والحذوة بخلاف ذلك فكيف تكون مشتقة منها (قلنا هنا اذ لو معنا

وهو ان الحذوة اذا مشى بها الشخص ربما خطفت بعض الحصا وطرحته
اذا اسرع صاحبها فى المشى فكان هناك بعض شبه بالحداية من هذا الوجه
(فائدة) ذكر صاحب القول المعاب فى وصف الغراب واقعة عجيبة
وهى ان بعضهم افتقر فدخل الى بعض اخوانه من الاغنياء يلتمس منه شيأ
فعبس فى وجهه فخرج من عنده منكسر النفس ومضى الى بعض المقابر
فمرغ وجهه على الارض ودعا الله تعالى واذا بحداة القت عليه شيأ فنظر فيه
فاذا هو كيس ملآن دنانير وفيه جوهرة تساوى جملة من المال فأخذه
واتجر فيه وصار فى يسر الى ان مات فانظر الى لطف الله تعالى ونعمه ومزيد
عطائه وفضله على خلقه * ورأيت فى القاموس الازرق والناموس
الابلق ان الحذوة مشتقة من الحدادى واستشهد على ذلك بشاهد فشرق
فقال (والحذوة اشتقاقها قد صححوا * من الحدادى فاستمع ما رجحوا
والحدادى على وزن الجنادى جمع حداية * والشلق مشتق من الشلوت
او من الشلقة او من الشاقول الذى يوضع فيه ربع الميقات ومصدره
الشلق يقال شلق يشلق شلقا والكتان معروف وهو مشتق من الكتانية
الذين يتعاطون تعطيته وتشميسه ونحو ذلك ومصدره الكتن
يقال كتن يكتن كتنا (فان قيل لاى شئ تمنى ان يكون محبوبه شلق
كتان ولم يقل شلق خوص او حلفة او نحو ذلك قلنا لعل شلق الكتان اقوى
من شلق الخوص والحلفة او لعله من باب اشتغال العاشق والمحبوب
بزرع الكتان وقلعه وملازمتهما لهذا الامر فهما لا يعرفان غيره فأتى
بما يناسب الحال نعم لو كان محبوبه صعيدى لناسب ان يأتى بشلق الحلفة
لكون الصعيدى يألفها ولهذا يقال صعيدى مصطلح حلفة او كان خواص
لناسب ان يأتى بشلق الخوص فاتضح الجواب وزال الاشكال وتم المقال
وقد انهينا ما اوردناه من شرح بعض كلامهم ودشهم وفشارهم وحل
لغاتهم بلا امرا وكشف معناها الذى يشبه الخرا الذى لا يعرف الا
بالذوق * ولابد ان نأتى بطرف يسير من شعر من يدعى النظم وهو جاهل

ويقول الشعر وهو ذا اهل (فمن ذلك) ما اتفق ان هارون الرشيد جلس يوما عند زوجته زبيدة فجرى ذكر ولدها الامين وكان بليدا جدا بخلاف اخيه المأمون فانه كان حاذقا فطنا لبيبا عارفا في النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل اليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الامين فقال لها انه بليد لا يدري النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدي اشعر من اخيه واقوى جراءة واشد فكرة ومعرفة في النظم والنثر وان شاء الله تعالى في غد اقول له ينظم الشعر ويعرضه على ابي نواس فقال لها الخليفة حبا وكرامة في غد ان شاء الله تعالى نسمع كلامه ونطلع على شعره قال فلما مضى النهار ارسلت خلف ولدها الامين واخبرته بالقصة التي وقعت بينها وبين ابيه والزمته بنظم الشعر وان يعمل ابياتا ويعرضها على ابي نواس فاجابها لذلك واعتزل في محل خال عن الناس وقدح فكرته الكاسدة وقريحته البارده حتى عمل ابياتا يأتي ذكرها انشأه رض للقلقيل ثم انه اتى الى امه واخبرها ففرحت وارسلت الى ابي نواس وقالت له اسمع ما قاله ولدي الامين فقد صار ماهرا في الشعر بارعا في النظم فقال له ابو نواس اسمعني ما قلت فانشد يقول

نحن بنو العباس * نجلس على الكراسي

فقال ابو نواس نعم وانتم لذلك اهل ومحل وانتم اصحاب الرتب العالية كمل الابيات فانشد يقول

نقاتل الاعادي * بالسيف والمزراق

فقال له ابو نواس اتلفت ما قلت وغيرت القافية فاغتاظ منه الامين وامر بسجنه فسجنه اياما فتفقده الخليفة فقيل له هو في السجن حبسه الامين لكونه عاب شعره فاحضره واحضر الامين وسأله عن السبب فاخبره بالقصة كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا انه رأى في شعرك خللا ما عابه فقال انظم غيره واقوله قدامك حتى تنظر

نظمي ونباهتي فيما انظمه فقال له افعل ما بدالك قال المحصني الى محله
واعتزل وطرد الجواري ولم يبق احداً عنده وقدح فكرته الكاسدة حتى
عمل ابياته واتى الى والده وحضرت والدته زبيدة وكذلك ابو نواس فقال
لهم اسمعوا شعري فقال ابو نواس تكلم بما قلت فانشد يقول

(يا قاعدة في الاربع * ما شلك في الابلق) (شبهتك بجفانة * مبشوشة بالخردل)
(والتمر فوقك ساع * مثل الحصان الابلق) فلما سمع ابو نواس هذا الكلام قام يجري
فقال له الخليفة الى اين فقال الى السجن يا سيدي ولا اسمع هذا الكلام
فضحك عليه وعلى شعره فتحققت والدته زبيدة بلادته وسكتت *

(واسمع من هذا النظم) ما قاله مرجان الحبشي وكان اميراً بثغر اسكندرية
وقد عارض بهذا النظم الشنيع والكلام الوضيع همزية الاديب الورع
الزاهد العالم الماجد البوصيري رحمه الله تعالى ونفعنا به وخمسه ايضا
وها انا اسرد لك هذا النظم الخسيس مصحوباً بالتخميس وهو

يا رسول الله قل من الناس المعروف
اصبحت بينهم مثل الطير المنتوف
بعد ما كنت مثل الخروف المعلوف
يا رسول الله اغثنا اغاثة الملهوف * لقد اضرت به اشرار من اللكعاء

يا رسول الله ما عاد في حد خير
يا رسول الله ما بقوا يوقروا صغير ولا كبير
يا رسول الله كن لي منهم نصير
يا رسول الله اصبحنا بينهم مثل الحمير * وهم يسوقونا بالعصا

يا رسول الله اخنا من رعيتك
يا رسول الله اخنا من جملة امتك
يا رسول الله اخنا في جيرتك
يا رسول الله بحق صحابتك * اجرنا من النار لها سعراء
وانا امدح نبي ربه استجاره وعزه

يا ماعز الكفار بعشره وعنزه .
ومن صلى عليه ربه لم يخزه
وقد عرج به ربنا وعززه * وقد رأى من ايات ربه الكبراء
ضاهيت بها همزية الابوصيري
والفرق بينهما يلوح للنحرير
وأنظر الى الصير هو مثل البوري
والاجبل مصر مثل الطور * ولا الصقر الصايد مثل البوماء
أنا انتخب الفاظها من القاموسا
ومن عارض نظمي في لحيته يلقى موسا
ومن له في الادب رتبة او ناموسا
لابد ان يميز بين الجاموسا والناموسا * واولاد الحلال ما هي مثل اولاد الزناء
نظمي هذا ما هو مثل نظم الناس *
نظمي هذا مثل درة في كاس
ومن يستمع نظمي يقول دهاس
قد فقت في النظم ابو نواس * انا مرجان والحبشا لي آباء
أنا مرجان والي اسكندرية
واذري بحور النظم بالكليه
ومن عارض نظمي يلقى بليه
أنا اضيحت مثل الشمس المضيه * ونظمي مثل نظم ابو العلاء
نظمي مثل درة في حوت
لهفي على فتى عارف منحوت
هو ابن المخاض مثل بنت الحوت
ولا النمل السباعي مثل البق * وأنا اصبحت مثل القط اصطاد الفاراء
انا اصبحت مالي في نظمي نظير *
ولا ضاهي قولي لا كبير ولا صغير

وانا اعطانى ربى للخير

انا مرجان الحبشى الامير * استخرج الدر من البحر

واختم قولى بمدح طه الزين

ياسعادة من زاره فى حنين

وقبل حجرته وشاف بالعين

وقال له ياجد الحسن والحسين * اشفع لمرجان ينجو من النار آمين

فانظر الى قلة عقله وكثرة جهله على صاحب الهمزية نفعنا الله به

وظن هذا الغبى البليد ان نظمه فى غاية البلاغة واستحكام الصناعة

مع انه اجهل من الحمار واجمد من الاحجار * ورايت له ايضا نظما انقل

من الحجارة وانجس من ماء للخرارة قد حكى فى ترتيبه القلقيل فى الرقص

وفى رؤيته ذقن العرص عارض به لقلة عقله وسوء جهله خمرية القطب

الربانى والهيكل الصمدانى سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله به وبركاته فى الدارين

سقينا على ذكر الحبيب مدامة طربنا بها) (كميت من الكرم ختامها مسك

ودارت علينا سقاة فى يدها كوس * كل ساق منهم يحكى لنجمة الفلك

ويا ما شفنا من خمرتنا ورايناه من سكرتنا * امور محتبكات ومرتبكات ربك

وشاهدنا العجائب ورايناا الغرائب * واندكت جبالنا من اطوار نادرك

مدامتنا هذه تعلو على مدامة الفارضى * واين الثريا من الثرى والنحر يعيد من الدرك

مدامتنا ما مثلها فى الكون مثل * ولا عند الرهبان والقسوس وابناء الترك

مدامتنا هذه من ذاقها فى كاسها * قال من طعمها هذه مثل السك

ومن اوصاف خمرتنا اذا صبت على حجر * لقام ذلك الحجر من حسن معانيها يبكو

ومن اوصافها كما ان شربها ضعيف * طاب لوقته ولم يعد قط يشكو

ومن اوصافها ان مر من كوم على دبرها * وشم رائحتها من بعيد خلص بلا شك

ومن اوصافها ان صبت فى قارورة صبا * تناكل الامر وراح الطرمن حسنها فى يحكو

ومن اوصاف خمرتنا ان شربها ابكم * لترجم بكل لسانا مثل سناد الملك

وقد شرب منها مرجان شربة * فاضحى بها هائم فى الكون بلا شك

قرونك

فدونك مدامتنا لاتحول عن شربها * ففي شربها يا خالي البال الحك والدرك
وفي شربها في حانها وسط مجلسها * من يد ساقيها السعد والملك
واختم خمستي هذه بصلاة وسلام * على نبي عربي جاء بالجمل يشكو
وعلى آله واصحابه كلما حطوا الحجاج * عند سيرهم للحمول وفككوا

فانظر الى عدم اصابة ميزان هذه الخمرية وفرضها لكون ناظمها قلب طولها في عرضها * وقد اتفق ان بعض القضاة من الاروام قال للنائب نحن ننظم الشعر ونسمى بيت النظامين ونقول الشعر محاضرة فقال له النائب لا يبعد عليكم فقال له قد نظمت بيتا محاضرة فقال النائب اسمعنا اياه فقال (شين الشرع لما شاره * وتقطع مثل المنشار) ما تقول ايها النائب في هذا الكلام وحسن هذا النظام فقال بعد ان [illegible] عليه واشار بكلامه اليه وانا الآخر نظمت محاضرة عروض كلامك وشبيه قولك ونظامك فقال القاضي تكلم ايها النائب وصاح اي الصاحب فقال (سعيده كالمزاره * وتحت طبيخ البيسار) قال فهام القاضي طربا من كلامه ومن شدة ما اعجبه من نظامه واعطاه جوخة كانت عليه ومال قلبه اليه ولم يزل معه في عز واكرام وهيبة واحترام الى ان عزل وادوات سفره قد حضرت وودعه النائب بقوله فلا رجعت * وكتب بعض البلداء ممن يدعى النظم لرجل من العلماء يسمى الشيخ محمد السلسيلي مراسلة يعرض فيها عن خال بنت تسمى هند وعن اخت لها تسمى عرب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبهما لان طبعه كان يميل للاناث حتى انه كان لا ياكل الا من الزبدية ولا يشرب الا من القلة ولا يركب من الدواب الا الانثى ولا يقبل المذكر قط وكان من الاولياء العارفين غير انه كان يغلب عليه الخلاعة والانبساط مع النساء لاجل التستر على احواله رحمه الله تعالى ونفعنا به فارسل اليه يقول

بعد ازكى السلام مني نهاضنه * لحبيب بحث دون بغاضنه
اسمه السلسلي والشيخ محمد * زادك الله في الانام رياضنه
انت في ذا الزمان فحل غزنش * وسواك الانام مثل النقاضنه

أنتَ أرسلتَ في الكتاب بتسآل * عن غريبٍ فانها من بياضه
وهُنيدٌ زادتْ من الكلّ عجبًا * بسواد العيون لا بالغلاضه
من يحبُّ الملاح يسلي الدراهمْ * وعهدنا ما تمتلكني قراضه
وأنا اسمي زانه في الشيخ محمّدْ * الضعيف القول أطرزه بالفضاضه

فلمّا قرأ الشيخ هذه الابيات ضحك وجعلها معه وصار كلما حصل له انقباض يعطيها الفقيه يقرأها له لانه كان بصيرًا فينشرح ويزول عنه انقباضه * ويقرب من هذا النظم المرثية التي رأيتها لبعض الشعراء البلداء في رجل مات من الامراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فأحببتُ أن اثبتها لما فيها من الابيات المحرّفه والمعاني المقلحقه وهي هذه *

أحمد الله لطيف اللطفا * في ابتدائي بمديح صُنّفا
وعلى أزكى البرايا كلّها * صلوات الله جاءت بالوفا
وعلى الآل جميعًا كلّهمْ * وعلى أصحابه والخلفا
بعد هذا أبتدي مرثيّة * في أميرٍ موته قد حتفا
جاءه الموتُ سريعًا عاجلاً * وعليه عزرئيلُ عكفا
بعدما مات بلغني موته * عندها دمعي بعيني ذرفا
ودموعي من عيوني قد جرت * مثل ما تجري سواقي مرصفا
قلتُ لمّا موته قد جاء لي * صائحًا يا أسفًا يا أسفا
مات من في الناس يذكر اسمه * بالامير ابن الخواجا مصطفى
يوم مات الارض كادت أن تغور * والسما صارت سحابًا كسفا
والاماكن كلّها من بعده * ونبات الارض جفّا قلحفا
كمنزله وسط المدينه سمعه * كالصناجق بل وأعلى شرفا
كان والله شجاعًا بطلاً * حين تنظره العدا ترتجفا
قد تولّى وانقضت ايامه * يا نعم يا ابن الخواجا مصطفى
وجميع امواله قد قسمت * اخذوها أهل الطمع بالزفا
لمّا ذا الامير آغا في نعشه * خفق القلب له وارتجفا

والاعادي فرحوا في موته * لاجل مال ينهبوه جزفا

من معادن فضة مع ذهب * وكنوز اخرجوها قفقفا

ورثوها بعده اعداؤه * فرقوها اليوم بفرد العلفا

من جواهر لاتضاهي كثرة * لامعات نورها قد رصفا

ويواقيت زبرجد لؤلؤا * ودلا ماسا بغات رعفا

قدرت في بيت مال عدها * الف الفي الف الفي مقطفا

وعلى الكاشف منها اخذا * بعدما اسرف فيها مجحفا

اودعوها بيت مال بعدما * اخذ الكاشف منها واكتفى

كم اتى في بيته من مرأة * مع بنات لابسات الغدفا

ثم قد نحن عليه حزنا * وعليه الناس صلت صففا

كم امير جاء في تربته * ووقع فوق التراب لشقفا

كم فقيه جاء في موته * وتلا ياسين ثم الزخرفا

يا ترى قد مات بالبطن اوذي * اوربا او بالرعاف ارتجفا

ليتني شاهدته في كفن * ذي بنيا من حين فيه لفلفا

ليته لو عاش قرنا كاملا * لكن الموت عليه زحفا

يا ترى من عاد يخلف بعده * في مكارم قل فيها من وفى

فعسى ياتي حسين بعده * يفتح البيت ويبقى منصفا

ليت شعري لو تخلف بعده * وبمكرم مثله كي يخلفا

حيثما خلى داره من حسنه * رائد الموت عليه عطفا

هكذا الدنيا دواما طبعها * تقهر الناس وتاتي بالجفا

كل ما فيها تراه زائل * تنقلب بالغدر مثل الحرفا

ليس يعجبني الامارة كلهم * كالامير ابن الخواجا مصطفى

كم غمرنا احسانه مع جوده * كم عطايا زائدات بالوفا

كيف لا ابكي على من جادلي * بعطايا ما عطاها خسرفا

رب فارحمه وخلي بعده * امه والست وابنه يوسفا

قد توفي في جماد الاول * سادس الشهر خميساً شرفا
عام تاريخ من فلا ثمن بعثت * بعد الف من سنين تعرفا
بعد هجرة من اتانا رحمة * بالهدى ازكى البرايا شرفا
يا الهي اغفر لنا ظمها اسمه * عابد الرحمن وابنه يوسفا
ثم بنتي محمد معمور * فارض عنه يا لطيف اللطفا
وارحم الوالد واجداد له * والامير ابن الخواجا مصطفى
وصلاتي وسلامي ما نما * للنبي والآل اصحاب الوفا

ودخل بعض البلداء من الشعراء على السلطان الملك العادل بيبرس وقد فتح قرية من قرى الكفار فقال له اطال الله بقاء الملك انا فلان بن فلان بن فلان عاش ابي من العمر ستين سنة وعاشت امي اربعين سنة وانا في سن الخمسين سنة وقد عملت لك ابياتاً تتضمن تاريخ فتح هذه القرية التي ملكتها ثم اخرج له رقعة مكتوباً فيها

(قد فتح السلطان بلده * واتى بسعد البلده) (فلما فتحها ارختها * حاكماً في شهر ذي القعده)

فقال له الملك لم ار ابرد من كلامك الا شعرك ومن تركك الا لحيتك فخجل الرجل ومضى الى سبيله (اقول) قد سبق لك ان هذا كله من عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلة المعرفة والا فصاحب الذوق السليم لا ينطق بهذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغي للشاعر ان يعرض قصيدته حتى يهذب الفاظها ويحرر معانيها ثم بعد ذلك يعرضها على من يشاء ويعطيها لمن يحب وقد قال بعضهم في ذلك

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فاذا رويت الشعر غير مهذب * جعلوه منك وساوساً تهذي بها

وعشق بعض الفقراء غلاماً فاراد ان يخلو به فلم يمكنه من ذلك فسلك معه طريق المكر والحيلة وصار يترجم بكل لسان بالزور والبهتان ويخبر عن بلاد وارض بعيدة واماكن صعبة شديدة ويدخل بين الجمع ويشخص بصره الى السماء فيقول الحاضرون شيء لله ويقول لهم انظروا يا محجوبين الاولياء

وهم طائرين فوق السحائب وقد اقبلوا من المشرق و[illegible] فيصعدون اليه
ويقبلون يديه ويلتمسون منه الدعاء فلما رآه الغلام على هذه الحاله
اعتقد انه ولي وقال في نفسه انا لي مدة اخدم شيخي ما رأيته شاف نبي
ولا ولي ولا اخبرني بشئ من هذا الا يقول لي صلي وصوم وما شبه ذلك
والاولى ان اخدم هذا الولي الفقير لعله ان يطلعني على الاولياء والحائمين
الطايرين دائما في الهواء ثم انه تشاجر مع شيخه وانفصل عنه واقبل على
هذا الشقي وقال له يا شيخ جئتك طائعا ولامرك سامعا واعلم انني صحبت
مع شيخي وهو يقول لي صوم وصلي واعبد ربك الذي لا اله الا هو ولم ار
منه بركة ومرادي انظر الاولياء الراكبين السحائب الخضر فقال له هذا الشقي
اعلم يا ولدي ان الطريقة ليست بصوم ولا بعبادة فانت تريح نفسك
من هذا التعب وانا اصب لك عمود النور في بطنك فتنظر سائر الاولياء
من وقتك وتقبل على السحائب الخضر وتركب وتشاهد الملكوت العلوي والسفلي
فقال له الغلام فمتى تصب لي عمود النور هذا فقال له حتى ادبر لك ماء الحيا
واستقطره فقال له يا سيدي شئ لله وما يكون ماء الحيا هذا فقال له شئ ابيض
يجري في قصبة الذكر عند وصول الوجد للفقير وعند الخلوة بالتلميذ قال
وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيئا من هذه الامور الذميمة فقال
له ذلك الشقي الممقوت قم بنا على الخلوة فاخذه ومضى الى ان صار في خلوة
التعس والنكس والخسران ومحل الفسق والفجور فقال له انطرح يا ولدي على
بطنك حتى اصب لك عمود النور فعند ذلك انطرح الغلام على بطنه
وصار هذا الشقي يترجم ويبرجم ويهمهم ويرغي ويزبد ويظهر الزور
والبهتان والنزغ من الشيطان ثم انه كشف ردف الغلام فازداد به
الوجد والهيام وقد اشتعلت في قلبه النيران وقام عليه الاعور الجبار
فحطه على باب تلك القبة المشيدة الاركان المرخمة الالوان ودكه فيه
فلم ينفعه الا اللخصيتان فعندها صاح الغلام الامان الامان فلم
يمهله حتى قضى منه المراد على حسب ما اقتضاه عقله الخسيس فعندها

صاح الغلام يقول هذا البيت

كفى حزناً أن لا نجانب عنك * ولا الأوليا إلا القبائح والذم

ثم ان الغلام قام وامسك لحيته وصار يشتمه ويلعنه ثم تركه ومضى
واستوفى ما قدره الله عليه فانظر الى هذا القليل الدين الخبيث وتحيلاته
على الفعل القبيح قاتل الله فاعل هذا الامر ولعن الله عامل عمل قوم لوط *
(وحكي) عن الامير مقلد رحمه الله تعالى انه كان سائراً بموكبه وغلمانه الى بعض القرى
فرأى رجلاً مقتولاً بجنب حائط والدم يجري على اوراكه فوقف ساعة ينتظر احداً
فلم ير احداً ثم حانت منه التفاتة فرأى رجلاً فقيراً قائماً يصلي وقدامه ابريق
وفي رقبته سبح وعليه مرقعة كبيرة فوقف الامير مقلد عنده حتى اتم صلاته
وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ فقبضوا عليه فقال له الامير مقلد
يا شقي تلبس على الله وعلى الناس بهذه الخريقة وتقتل النفس التي حرم الله قتلها
فلأي شيء قتلت هذا الرجل المذكور بناء عليه قال فصار يحلف ذلك الفقير
ويتضرع الى الله تعالى ويدعو على الذي قتله فقال الامير مقلد لغلمانه فتشوه
ففتشوه فرأوا معه السكين الذي ذبح به هذا الرجل الملقى على الارض ووجدوا
جميع حوائجه عنده فلما رأى ذلك الامير مقلد قال له ما انت فقير بل انت
زنديق ثم التفت الى غلمانه وقال لهم اقتلوه فقتلوه فانظروا يا اخواني
الى هؤلاء الفقراء المتزندقين واعمالهم الخبيثة التي لا تحصيها كتب ولا دفاتر
ولا دواوين فنسأل الله تعالى السلامة في الدين والعبادة على اليقين وان
يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحق وساروا على قدم الصدق
وعرفوا الله بخلوص النيات وترك المحرمات في مواضع الشهوات والقيام
على قدم المجاهدات وتركوا الفضول واتبعوا ما جاء به الرسول اللهم
احشرنا في زمرتهم وتحت لوائهم آمين يا رب العالمين (وسمعت)
بعض المحدثين من الدراويش المحلقين كان يقول كلاماً يخالف الكتاب
والسنة وهو ان البعث والنشور والجنة والنار لا حقيقة لها وان
الشيء جنته وناره وحسابه في نفسه وان الدنيا لا تفنى ولا تزول

وانما هى شمس تطلع وقمر يغيب وينشد قول ابى العلاء المعرى

اتى عيسى فابطل شرع موسى * وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لا نبى بعد هذا * فضل القوم بين غد وامس
ومهما عشت فى دنياك هذى * فما تخليك من قمر وشمس
فان قلت المحال رفعت صوتى * وان قلت الصحيح دخلت رمسى

ثم يقول ان الشخص اذا خرجت روحه ومات دخلت فى جسد من الاجساد فى آدمى او فى حيوان حتى يدور عليها الدور فترجع الى صاحبها الاول فيظهر بصورته التى كان عليها اولا وهكذا سائر العوالم فانظروا يا اخوانى الى شدة كفرهم وجهلهم وسوء اعتقادهم لعنهم الله تعالى (ويحكى) ان رجلا صالحا اضاف جماعة من الملبسين معتقدا انهم من الصلحاء فلما فرغوا من المأكل والمشرب جلسوا يتحدثون فيما بينهم الى ان تكلموا فى القرآن فقالوا لهذا الصالح اتزعم ان القرآن كلام الله فقال نعم ومن شك فى هذا كفر فقالوا له ليس كذلك وانما هو كلام بحيرا الراهب علمه للنبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع ما قالوه قام عليهم بالسب واللعن وعرف ضلالهم واخرجهم من منزله على اشام حال نسأل الله تعالى السلامة فى الدين والدنيا والآخرة (واجتمعت) برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة وكنت اعتقده فجلست معه يوما فتكلم فى فضل العبادة فقال لى يا سيدى انا لى عشرون سنة على هذا القدم ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته توجه الى ناحية سيدى احمد البدوى نفعنا به وقال كن لى يا ابا الفرجات وتقبل عبادتى ويسر لى رزقى فقلت له يا هذا الكلام لا يقبل العبادة الا الله تعالى ولا يرزق الخلق الا رب العالمين وانما سيدى احمد البدوى رجل من اولياء الله تعالى وكل من قصد بالعبادة كالصوم والصلاة غير الله تعالى فقد اشرك وجعل لله تعالى شريكا والله سبحانه وتعالى اله واحد لا شريك له فى ملكه فقال لى يا سيدى انما افعل ذلك عن شيخى الذى كان يقول لى قبل موته اقصد بعبادتك سيدى احمد البدوى فقلت له معاذ الله انما هو مخلوق والعبادة لا تكون الا للخالق وقد مات شيخك على ضلال وعبادتك كلها فى هذه المدة فاسدة باطلة

ثم انه ادركته العناية فتاب على يدى وانقذه الله تعالى من الضلال الى الهدى وتوجه الى الله تعالى واخلص فى عبادته (وحضرت) مرة بعض الموالد فسمعت رشيدا من الفقراء الزنادقة قدها مر فى الجمع وغنى فقال

يا هاشما خدمن خواطين كلبتى * والطخ لحاك والحاضرين وراك

(وعشق) بعض الفقراء الزنادقة غلاما جميلا فتحيل الى الوصول اليه فلم يمكنه ذلك فجاء الى رجل اشقى منه وعرض عليه حاله وشدة حبه لهذا الغلام فقال له ذلك الشقى خذ مصران غنم واملأه زيتا ولفه على بطنك من داخل الثياب وقف فى وسط الجمع ودردش بالملتا وخبر عن الشام وعن الزيتون وادخل يدك بلطافة وانت بجانب الغلام وحل المصران وخذ فى يدك شيأ من الزيت وارفع يدك فى الهواء فان الزيت يسيل منها وتكون قد وضعت فى جيبك زيتونة خضراء فاخرجها بلطافة وارها الغلام والناس فيعتقدون انك ولى من الاولياء فيميل قلب الغلام اليك فاذا اتاك وقال لك علمنى الولاية وهذه الكرامة فقل له الولاية لا تصح الا بتدبير النقطة الخارقة وهى المنى ولا يصح تدبيرها الا فى الخلوة وادخل عليه بهذه الحيلة حتى تقضى منه المراد قال ففعل ما امره به هذا الخبيث ونزل الجمع ووقف بجانب الغلام ودردش بالملتا واخبر عن الشام وعن شجرة الزيتون ومد يده الى الهوا فسال الزيت من يده واظهر الزيتونة الخضراء فصاح الفقراء وقالوا شئ لله وقبلوا يده فجاء الغلام وقبل يده ومال اليه وقال له يا سيدى اكون معك واطلعنى على الكرامات والولايات فقال له يا ولدى الولاية لا تنال الا بالنقطة الخارقة فقال له يا سيدى ومتى تفعل ذلك فقال له يا غلام هذا لا يكون الا فى الخلوة ولا يصح بحضرة احد فقال له الغلام سر بنا الى الخلوة فاخذه ذلك الشقى ومضى به الى الخلوة وقال له نم على بطنك فنام الغلام وكشف هذا الشقى عن ردف ثقيل وخصر نحيل وركب فوقه ودفع اير فما منعه الا الخصيتان

فصاح الغلام الامان الامان ماهذه ولاية قاتل الله الابعد ثم قام من عليه
بعد ان قضى مراده وتحقق الغلام ان هذا كله من الحيل حتى وقع له ذلك
ثم سارا معًا حتى لقيا جمع فقرآء فى مولد فقام هذا الشقى بجانبه فى
الجمع وترجم وهمهم وقال

علونا على قبة مليحة مرخمه * وصبينا فيها من النور جانب

فاجابه الغلام بقوله

ما عدت تنظرها من اليوم يا قبيح * وما عاد ذلك الا التعب والمصائب

قال فزعق الفقراء عند ذلك وهاموا وظنوا ان الفقير وصل الى قبة
الفلك الاعلى ورقى عليها وان الغلام فات مرتبته وحجبه عنها وفاق
على شيخه فى الولاية والحال انه ما رقى الا على هذا الردف الثقيل والخصر
النحيل وصب فى تلك القبة الدمعة الخارقة لحارة الدافقه وقبل
الخدود ودفع فيه العمود فهم فى سكرتهم يعمهون قاتلهم الله
انى يؤفكون * وقد قيل فى هذا المعنى

يصان الغنى فى حجر والده وان * تدروش قام النائكون ورآءه

اى ان احتوى عليه جماعة من الفقراء او من طائفة الملحدين الحالقين
اللحا او غيرهم من خواص الطوائف قاتلهم الله تعالى افسدوا عقيدته
وشغلوه عن الدنيا والدين ودار معهم فى النعاسه والخزى والنجاسه
حتى تطلع لحيته فيتركوه خرابلا ذوق لا من النيك يشبع ولا من المال
يجمع * ومنهم طائفة لا يطلقون الامرد ولو التحى وشاب
ويتمثلون ويظنون انه الصواب بقول من قال

اهواه طفلا فى القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال آخر

بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى بزان من يحب الغوانيا
فقلت لاصحاب اللحاء تعففا * فلا انا لوطيا ولا انا زانيا

وهذا بخلاف مذهبنا فى المحبة وسلوكنا فى العشق فان الامرد اذا جاوز

ثماني عشر سنة محبته النفوس ولا يرغب فيه الا وقت القتل من الفلوس فاذا بلغ العشرين خشن وجهه بيقين وظهرت لحيته وتغير حاله وعمه الغم وخفي الخال الذي في خده وصار وجهه مثل قفاه وتلى عليه لا حول ولا قوة الا بالله وقد قيل في المعنى

(التحى الامرد الذي * كان في التيه مسرفا) ❁ (حسناً كان وجهه * وسريعاً تصحفا)

(سر والله ناظري * مذ رأى ذلك اشتفى) ❁ (شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا)

وقال آخر سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنه والجمالا

طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ولو الذي عفا الله عنه في المعنى مع التشبيه البديع والجناس المصحف

قاربت للطلوع في الخد ذقن * آثرت ظلمة قبيل النبات

كانتشار الظلام في الشرق لما * غابت الشمس عند وقت البيات

وقال آخر ما يفعل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمود

ولا بفرعون اذ عصاه * ما يفعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لا يكون الا لرشيق القوام حلو الابتسام من ابناء العشر وذوي اللطافة في الطي والنشر فاذا بلغ خمسة عشر سنه صارت محاسنه لعشاقه محسنه ولو احظه لعذاله ماسنه وهذا هو الغرض والمرام عند اهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فان حبتهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم باديه وضلالتهم عاديه واعتقاداتهم فاسده وتجاراتهم كاسده ومن فعل هؤلاء الطوائف الذي ابتدعوه والامر القبيح الذي اخترعوه مع هذه الاحوال وارتكابهم الضلال انه اذا مات بينهم انسان غسلوه وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله اربعة ابالسه كأنهم من جنس القساقسه او من دير الرهبان او من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة انفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقفون به في بعض الحال يقرؤن فواتح وتضيع بسببهم المصالح ويطوفون به حول البلد والمقبره

وهم في غبرة وغفرة كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وربما ساروا به من بلد الى اخرى وقد يرجعون به القهقرى وهم في خباط وعياط وصياح وشياط واضطراب وجنان ويقولون شئ لله يا شيخ فلان وربما زغلط النسوان ورمين به الطرح بقدر الامكان * واخبرني بعض الاخوان ممن شاهد الامر عيان انهم مكثوا اثر ميت من اول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار جلده لا يطيق اللمس فانظر رحمك الله هذه البدعة الفظيعه والطريقة الذميمة الشنيعه التي ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وانما هي اثم عليهم واذية للاموات فعلى العاقل ان يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى (وزن بوزن الشرع كل خاطر * فان يكن مأموره فبادر) * وان لا يختلط بهؤلاء الطوائف المضلين وارباب البدع الملحدين بل يكون على حذر منهم ويعتزل عنهم وان رأى منهم ما يخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا انكرهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع * قال بعضهم لا تصحب الا من اعجبك حاله ودلك على الله مقاله * ولنختم هذا الجزء بارجوزة تتضمن ما ذكرناه في هذه الاوراق وما عايناه من احوالهم باتفاق كما تقدم الوعد به عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق .

قال الفقير يوسف بن خضر * لله حمدي دائماً وشكري
ثم الصلاة والسلام ابدا * على رسوله الكريم احمدا
كذلك كل آله وصحبه * ومن قفاه بعدهم من حزبه
وبعد اني ناظم ارجوزه * لطيفة مفيدة وجيزه
تخبر عن حال ذوي الرذاله * كذا عوام الريف لا محاله
فخذ هداك الله ما اقول * في نظمها وعنه لا تحول
اذا اردت وصف اهل الريف * اهل الشقاء وذوي التحريف
وغيرهم من فقهاء الجهل * كذا قضاتهم عديمو العقل
والعلماء منهم والخطبا * وغيرهم ثم النسا والادبا

فاعلم هداك الله للصواب * لا تصحب الفلاح لاكتساب
ولا لفضل منه حقا تعرفه * ولا لامر من مهم يكشفه
ولا ترج منه نفعا يحصل * اذ ليس للامر الشديد يحمل
وليس يرجى لقضاء حاجه * بل دأبه الالحاح واللجاجه
وان قضى مع كون ذاك نادرا * تلقى له وجها عبوسا كاشرا
ويطلب الاجر على قضاها * او يتخذ سيدا وجاها
تصير في خدمته والنفع * في الحرث والقلع وضم الزرع
وكلما اردت منه تخلص * يرميك في همّ له ينغص
فاسمع لقولي ان ترد فلاحا * لحاجة فما ترى نجاحا
ولا تؤمنه على معامله * فليس يعطيك سوى المماطله
وان تردمغه سريعا يختصم * يقول لك حتى اسدّ الملتزم
وان بقي شيء من الزرع فلك * خذ والا لا تطول املك
وان اطلت معه المخاصمه * أتاك بالشر مع الملاكمه
ويسحب النبوت والحزاما * ويلزمك بماله الزاما
وربما يقول للملتزم * هذا يريد ان يزيل نعمي
ويأخذ الزرع بتلك الحيله * والمال يبقى يا امير بلدتي
واخرب سريعا وتبور الارض * من حق فلاح عليه القرض
فيمنع الامير رب الدين * عنه ويمسي حائرا في شين
فليس فيهم ابنا نجاح * وليس يرجى منهم صلاح
بل مثلهم مثل الكلاب الجائعه * وحالهم مثال الوحوش الراتعه
ونطهم في الوحل ثم الجله * وضربهم للثور ثم العجله
تسبيحهم فرقع بنا الناقه * واحسب لنا مال البلد في الزاويه
غالبهم عوراتهم مكشوفه * شعرتهم من طولها ملفوفه
وان لحفر البئر يوما قصدا * ينزل عريانا كما قد ولدا
وليس فوق جسمه ما يستر * بل ايره ممطط مطرطر

وفلسه للحر والبرد برز * وطيزه من الشقا بها غرز
وجلاه لو تراهما من القشف * مثل جلود قد بدا فيها التلف
وهمهم وشغلهم فى الطر * فى حالة البرد ووقت الحر
ونطهم فى الحر بالغيطان * كمثل نط الوحش فى الوديان
وضمهم للزرع وقت القيظ * مثل عفاريت اتت فى الغيظ
وان يريد والمرح والملاعبة * مثل كباش قد اتت محاربة
تلقاهم حينئذ زعيقا * تحسبه يا صاحبى نهيقا
بل ربما يفوق صوت الرعد * فى عفرة وغبرة وطرد
وان تجمعوا للعب الكوره * تراهم فى غارة وغورة
من كثرة الصياح والزعيق * والجرى فى الزقاق والطريق
اولادهم ان لعبوا المداره * اوجلسوا للرقص والزماره
او سرحوا بقصد جمع الجله * او التقاط سبل اورجله
مثل عفاريت اتت فى زوبعه * او فرق من القرود الجائعه
صنائهم اذ يلعبون فائح * كانهم بهائم سوارح
وان هم فى حاجة تعللوا * فعلل الصبيان تلك العلل
وان اتت مواسم كالعيد * تراهم فى النط كالقرود
وفرحهم ترقص والنساء * فعيدهم وحظهم فساء
طباعهم مثل طباع البقر * وان تشا فقل كطبع الحمر
عشرتهم على الطباع ثقلت * مثل قرود فى الغيافى اقبلت
ويقتلون النفس عند كلمه * ان قال شخص بالضد الذمه
شخص يميل منهم لسعد * للشر يدعوهم وكل كيد
ولحرام آخر يميل * يصيح فى اغراءهم يقول
خذوه من قبل ترون باسه * ثم اقتلوه واخمدوا انفاسه
فذا يصيح يال سعد اسعدوا * وآخر يال حرام انجدوا
فذا نك اللفظا دون لبس * عندهم آمر بقتل النفس

فيخربون الارض بالغارات * ويرصدون القتل في الطرقات
وان اتتهم للقتال عسكر * فروا الى جبالهم واستتروا
وعندما عادوا الى البلاد * عادوا الى الشر وللفساد
فما جزاهم غير قطع الرأس * وشنقهم وضربهم وللحبس
فقسوة القلب لهم طبيعه * وقلة الخير لهم ذريعه
ومشيهم في الحر من غير وطا * ونومهم في الغيط من غير غطا
وطرحهم في ظلم الليالي * في البرد يا صاح او التلال
قد يبست جلودهم في الحر * كأنها قد خلقت من صخر
ونطهم في الطين ثم الوحل * وضربهم للثور ثم العجل
وحفرهم في البئر والسواقي * ومشيهم ايضا بلا طواقي
ومنهم من لا يزيل شعرا * والرأس لا يحلقه ما عمرا
ولا يقص شاربا ولحيه * ولا ينظف فلسه من خريه
وشد فيهم على الخناق * منها يطول الشر باتفاق
وضربهم للأب ثم الأم * وصبرهم للجسر ثم الطم
واكلهم في العدس والبسله * كمثل اكل كلبة او عجله
ومن تراه منهم يصلي * تراه لا يعرف فرض الغسل
ولم يميز طاهرا من نجس * ولم ينظف ثوبه من دنس
وان جشا يوما على لفشقيه * تجد له طينا كما البرنيه
كذاك من بجنبه وآخر * وذا مخاصم وذا مشاجر
وان اقام عندهم ذو فضل * فهو وحقير عندهم في ذل
ولن يطيعوا الشرع الا غصبا * او يوجعوا الاجل ذاك ضربا
وهم عبيد قابض الاموال * فعندهم كالعم او كالخال
يجلسون عنده في ادب * او يقف الواحد منهم كالصبي
وليس فيهم رحمة لعالم * لكن لاهل الشر والمظالم
فالشر والعذر وانه فيهم شائع * والخير والاحسان منهم ضائع

اخلاقهم تروى عن ابن حجر * طباعهم تروى عن ابن بقر
دناسة اللبس لهم مرويه * عن ابن شلتوت له معزيه
ذقونهم تروى عن ابن وحل * والضرط الفساء وابن زبل
فلا جزاهم ربنا خيرا ولا * لقاهم سوى الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه * اذا اتى كأنه غمامه
والعلم عند الله ليس يعرف * سوى بذاك الاسم حين يوصف
وان جثا يوما على الجفان * كأنه الناطور في الغيطان
يفترش الاكله من بيسار * ويلعه عن مضغ ذاك عار
يقول اروى لكم روايه * تنبى عن الضمير بالدرايه
وفي غد اروى لكم قصيده * لعنتر في عبلة الفريده
كذا لكم دلهمة البطال * وسيرة الراهب والجمال
واشرح لكم واقل لكم عن شيحه * وام جابر بنت ابو فريحه
واروى لكم ما قد اتانى عن ابى * وابى قد قال ايضا عن ابى
وقال جدى ذاك ابو غندان * صلوا ولو كنتم على المقداف
ولوبلا وضو ولا طهاره * كما روى عن جدتي شراره
قاضيهم اذا اتى لشغل * مثل رئيس قد اتى بالطبل
ينزل عن البغله او الحماره * كانه الراهب ابو زراره
وعند ما يجلس في انتفاخ * تفرش له قطعه من الانخاخ
وتجد ذا يأتى اليه المشتكى * ثم يقف على عصاه متكى
وبعضهم على العصا يلف * رجلا له وهو ثقيل قحف
يسأله يا قاضى الهموم * هات لعندي ابن ابى دعموم
وحياة دقنك جلي سرقنا * واربع قفف من زبلنا حرقنا
وقد اخذ وحيا راسك حدوتى * وعمتى المشرمطه ولدى
احكم بحكم الله يا قاضى البلد * والا ضربتك الف نبوت بالعدد
يقول هذا قد لزمه الحد * حيث سرق ومنه تقطع يد

زخ يا قفا يا عرص يا ابن الزبله * ادفع له قيمة هذى العمله
وصالح الخصم وهات لى فرخه * ولا على دقنك اشخ شخه
ان عقد النكاح ليس يدرى * منه سوى زوجت بنت عمرو
وليس يدرى شاهدا ولا ولى * ولا يعرف صحة من علل
اذا قضى قضيته وبشها * يجرى سريعا عندها يا ليتها
فقيرهم شعاره الابريق * والنط والصريخ والتصفيق
وذا مريدى ومريد جدى * وذا الولد بدايتى وعبدى
يسير طول الليل خلف ظهرى * غير مصلى مغرب او ظهر
الا باذنى اويدا تشويشه * ومن رآه قال ذاد رويشه
وعندما يأتى به آلموالدا * من خلفه تلقاه حقا الابدا
ويدخل للجمع به يدروش * وبالنسا بينهم يدردش
فيزعقوا ويضربوا الكفوفا * ثم يقوموا كلهم صفوفا
ثم يقولوا اخبر الشيخ الولى * عن اوليا جاءت من ارض الموصل
هذا يجى بين السما والارض * على النجايب ما عليه من فرض
ولا بقى عاوز الى عبادة * هذا بقى فى نفسه الرشادة
هذا فقير بالقول والاشارة * هذا ولى فتنة الحمارة
وان تسله حالة الطريق * يقول ما نعرف سوى الابريق
وهز وسنطى ثم طرق يدى * وميلانى لبدنى وشدى
ان قدم الماجور احط كفى * واطلع بلقمه مثل دور الخف
وبالدراويش بجنب الشط * امشى وابريقى تحت ابطى
وانزل على من لى عليه سيادة * واقول له البيتة وهات العادة
وهات لى الفرخ امع العليقه * وليس يعرف غير ذى الطريقه
ومذهبى يا سعد يا حرام * ولا اقل بان ذا حرام
اخذت عن شيخى بهذا الفعل * فهو حقيق مشية بالعجل
ومنهم طوائف خوامش * وكلهم يجمعهم آبالش

لا يعرفون الصوم والصلاة * ولا يرون الحج والزكاة
تراهم جميعهم انعاما * لا تعرف الحلال والحراما
الشخص منهم ينكح العمات * وينكح الاخوات والخالات
ويستبيح الفعل وهو كافر * وقتله قد حل هذا ظاهر
فكلهم بجمعهم اراذل * وليس فيهم رجل يماثل
لاهل فضل اولذي كمال * بل كلهم في رتبة الجهال
ناظمهم ان قال يوما شعرا * فشعره يشبه طعم العذرا
او قبح قول جابلا راويه * او رص قلقيل بلا درايه
ان لم تكن ذقت الخرا في العمر * فذق كلام نظمهم والنثر
سماعه اذا بدا رزيه * لكن له ما بينهم مزيه
لكونهم اجلاف مع اوباش * مثل عير الجون والكباش
اسماؤهم تخبرك عن اوصافهم * القابهم تنبيك عن اشرافهم
وهم جنيحل وجليحل وقطا * والحاج عنطوز بن ابو فردة وطا
وعفر مع دعموم مع زعيط * كذا خرا الحس وابو معيط
ثم قليطه وشلاطه قد ورد * كذا الهاطه وزعاطه في العدد
شقليط مع مغليط مع خبيط * صعفار مع بهوار مع صرميط
بزبوز مع عمموز مع قروش * سمعوت مع برغوت مع غلوش
البقش ثم العفش منهم ذكروا * كذا حنين بن بنانا شهروا
كذا سمعنا انهم يكنوا * ابو شوالي ومنادر يعنوا
كذا ابو عفر ابو دعموم * وابو الدواهي مع ابو كليشوم
ابو شادوف ابو جاروف ابو نطاح * مشكاح ابو رماح ابو رياح
من جهلهم ميم محمد يكسروا * والحاء ايضا عندهم قد تكسر
محمدين قد سمعت منهم * كذا بهام وعقرب فيهم
والغلط والضراط قد رويتا * ويبدلون الصاد ايضا سينا
فهذه اسماء مثل الوحل * او انها شبه ضراط النمل

وان ترى الاسماء لا تصلك * فانها والله بئس العلك
وان ينادى الشخص منهم آخرا * يجيبه بقبح لفظ كالخرا
وان ينادى للمرا يا داهية * تجيبه لما يشخ مجلسية
وعندهم من افصح اللغات * كقولهم فى الارث ذا ميرات
وضبت فى ابوشه وها جوادى * ما ضال آنى ما زال هذ الواد
يعنون بالجواد مركوبا حضر * كذلك ها نوالى الكرام من حجر
جعصوبتى راحت من المرجونه * سيرى اشكى حواحد لطاحونه
قومى لخيتى لى فى الزريبه نقره * لاجل اقوم بالليل وفيها اخره
غدا ترى الجدعا نطوا فى المراح * يوم المرويه فى الزريبة بانشراح
جماد اجا مجمص مسخط جله * اليوم الوعنزين وعنين مجله
والجح عنطوز قد حضر فى كرشه * اليوم وراح هر بيط وجا لكرشه
وحطها فى الدست يطبخها بفرحه * بفرشها طرطها ابن رالشيحه
اليوم بلدنا شيخها ابو عوكل * وابو فشوه وابو ضرطه وهيكل
والجح قلوط الكبير فى هودج * والجح جعماص بن خرق النوبج
وانما اسماؤهم مناسبه * ذواتهم وافعالهم مقاربه
نساؤهم ايضا لهن اسما * فخذ هدية بعدها ونجما
زغزع وبعزه ميكله خطيطه * بلوه وعلوه شايعه حويطه
شيخه زراره مع شياره سموا * كذا معيكه وركيله ضموا
سعساقه ايضا كذا شلبايه * وخربوه وفسيوه وعطايه
كذا شفيره ثم غاشوله وزد * حمدن ولبدن وعطينه فى العدد
وطالبه وهاربه حطيسه * كذا فريجه بنت ابو غربيه
وقد سمعت رجلا ينادى * حجه خدبوه اغسلى الزبادى
واحلبى المقره وهاتى العجله * روحى حدا الجدعا وسوقى النخله
قومى وحطى العدس فى الفصوله * انتى ويا بنت ابو بعشوله
يا داهيه يا داهيه تعالى * جنكى من الحيط بنت ابو شوالى

قومي تعا اتعشي بنا في الوضع * ابنك بيخري هي تقل كل واشبع
هاتي لنا قطعه وسخ من ابنكي * الطخ بها الجله وشوفي بنتكي
يا داهيه روحي وهاتي البقره * إنتي وبنت الحس قفاك خضره
يا داهيه روحي وشوفي النقره * في وسطها جله طريه خضره
وحولها شوفي الحمار والعجله * وللي بعرها اعليها جله
فهذه اسما النساء فخرا * شبيهة بالوحل عند الخرا
ولعشهم يا ابن الوطا يا محمد * يا خرا الحس وابن بنت الفسوه
يا علق ما تجي عندي يا بوكارم * يللي بتخرى كل يوم في الحاره
وانت بتقعد للمسا في الشونه * وكم نيكوك في الدره بالعونه

تم الجزء الاول من هذا الكتاب ويليه الجزء الثاني من تجزئة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم *

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف النبيين * وعلى آله وصحبه اجمعين * (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف ابن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني كان الله له ورحم سلفه * انه لما كانت الهمة البارده * والفكرة الكاسده * تحركت اياما قلائل * لتأليف كتاب صار في الاوراق حاصل * في احوال اهل الريف باتفاق * وما لهم من نظم ونثر وحب واشتياق * وصار جزءا لا نظير له في الكتب فتراه شبيه * ولا يكترث به ذو فضل في العلوم نبيه * وكان كالمقدمة للقصيد * وقد حوى معاني تشبه حروف الجريد * وختم بالارجوزة الحاوية لما فيه من النثر والاشعار * وغايته انه اغتراف من بنات الافكار * اردت اتصاله بهذا الجزء الثاني وحل معاني القصيد التي عليه مدار تلك المباني * فحركت فكرتي الخامله * واطلقت عنان اليراع لبيان تلك الامور الحاصله * بحل معاني القصيد منسكبا عليه انسكاب الوابل على الصعيد * بالفاظ يفوح معناها كريح الفسو * ومعانيه في الوضع خابط عشوى * فساعدتني الفكرة لما اليه قصدت * وتحركت معي لما اليه اردت * وهذا اوان الشروع في المقصود * بعون الملك المعبود *

فأقول ذكر نسب الناظم وما حواه * وذكر الموضع الذي نشأ فيه وآواه *
وسبب سعادته وحصولها * وصفة لحيته هل كانت طويلة أو قل طولها *
وكيف مال عليه الدهر في آخر الزمان * حتى أنشأ هذا القصيد واشتهر عنه وبان
* فنقول أما نسبه فعلى أقوال فمنهم من صرح أنه أبو شادوف بن أبو جارع
ابن شقادف بن لقالق بن بحلق بن عفلق بن عفر بن دعموص بن فلحس
ابن خرا الحش * فإذا ذقت الكلام بمعقول عرفت انتهاء نسبه على هذا القول
(وقيل) أبو شادوف بن أبو جاروف بن بردع بن زوبع بن بحلق بن عفلو
ابن بهدل بن عوكل بن عمرو بن كل خرا فانتهى نسبه على القول الأول لابن
خرا الحش وعلى الثاني لابن كل خرا وهو الأصح لأن أكل الخرا أبلغ من لحسه
(وأما قريته) ففيها خلاف فقيل إنه من تل فندروك وقيل من كفر شمرطاطي
وهو الصحيح لأن الناظم صرح بذلك في بعض أشعاره يخبر بنسبه فقال

أنا يا ناس في قولي دلايل * ونظمي حق ما هو شي [illegible]
أبو شادوف أنا قال لي أبويه * عليه وجدي ديك أم نايل
باني قد تربيت بجماعة * بكفر يعرفوه ناس أوايل
يسمى كفر شمرلي وطاطي * فكن صاحب فهامة فسايل
وذا قولي وأبو شادوف اسمي * وشعري حق من جاني يسايل

وسمعت شعرا لبعض أهل الريف يدل على أنه من تل فندروك وهو هذا

سمعنا من قديم ومن جديد * كلاما ما كما شبه الحديد
أبو شادوف عنه خبر وبانا * بقول حق جانا بال[illegible]
بتل فندروك وفيه ربى * وعاش يا قوم وانشا لو قصيد
وذا قولي وانا عندا فاسمي * وكم من نظم اجيبه من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال إنه ولد في كفر شمرطاطي وتربى في تل فندروك
(وأما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويلة جدا وقال آخر كانت معتدلة
في الطول والقصر وقد جمع بين القولين فيقال إنه لما كان في ابتداء عمره
في سعادة كاملة ونعمة وافرة كما سيأتي كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهدها

بدهن

بدهن القراخ والزيت الحار والتمشط واصلاح الشعر ونحو ذلك فلما كبر
وتغير عليه الزمان واعتراه الهم والاحزان قل طولها من اكل الطبوغ
والصبيان ونحو ذلك اى انها نشأت فى الاول طويلة ثم انها عرضت
فعرضها ضر طولها فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر
(دقن طالت فافسدت * عندما ضر طولها) ﴿ (قصروها فاصلحت * عندما قل طولها)
(وقيل) من الدليل على قلة عقل الرجل صغر رأسه وطول لحيته وان كان
اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلية (وفى المثل طويل الذقن قليل العقل)
كما اتفق ان بعضهم كان له صاحب طويل اللحية يؤدب الاطفال ففقده
اياما فسأل عنه فقيل هو منقطع فى بيته حزين فظن صديقه انه مات
له ولد او احد من اقاربه فذهب اليه فرآه فى حالة الحزن وهو يبكى وينوح
فقال له عظم الله اجرك واحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت
فقال له اتظن انه مات لى ميت قال فما الخبر فقال له الشيخ اعلم انى كنت
جالسا ذات يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول ــــــ شعر

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى اينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا ان ام عمرو هذه من احسن الناس واجملهم ما قيل فيها
هذا الشعر فشغفت بحبها اياما وانقطعت زمانا ثم انى جلست يوما من الايام
فسمعت قائلا يقول (اذا ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار)
فقلت لولا ان ام عمرو هذه ماتت ما قيل فيها هذا البيت فداخلنى الحزن
واعترانى الاسف قال فتحقق صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر
بعضهم فى يوم شديد البرد فرأى رجلا صغير الرأس طويل اللحية وعليه قميص
واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأى تحت ابطه حراما ابيض من الصوف
مطوى فقال له لاى شئ لا تضع هذا الحرام عليك يقيك الم البرد فقال
اخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حسنه وتزول بهجته قال فتحقق
الرجل قلة عقله وتركه ومضى * واجود اللحا ما كانت معتدلة متساوية

الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن
طوله شبرا او شبرين على ما قيل ومع هذا كان عارفا فطنا * قلنا الجواب
ان الله تعالى كان قد اعطاه ثلاث آيات منها طول لحيته وانما كاخضر اللون
ولم يكن لمثله ذلك وكان الجواد يضع قدمه عند منتهى بصره وترتفع
رجلاه اذا صعد ويداه اذا هبط او يقال انه وان كان على غاية من المعرفة
فهو في حكم مسلوب العقل لادعائه الالهية وارتكابه الامور الشنيعة
ونحو ذلك فالكلام على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) احذق الناس
واشطنهم الاجاردة فينبغي لمن صاحبهم ان يكون منهم على حذر لشدة
حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم للامور * كما اتفق ان
بعض الملوك قال لوزيره من اشطن الناس واحذقهم قال الاجرود *
قال اريد ان تطلعني على حقيقة ذلك قال تصنع طعاما وتضع له
ملاعق كل ملعقة ثلاثة اذرع وتأمر الناس يحضروا للاكل فاذا حضروا
وجلسوا تأمرهم ان لا ياكلوا الا بالملاعق وان الرجل منهم لا يمسك
الملعقة الا من طرفها وياكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك
ما امره به الوزير وحضر الناس للطعام فلما جلسوا امرهم ان لا ياكلوا
الا بالملاعق وان لا احد يتجاوز بالمسك طرف الملعقة كما امر قال فارادوا
الاكل فلم يقدروا وارادوا القيام فمنعهم الملك وامرهم بالجلوس فصار
الرجل منهم يملأ الملعقة ويريد ان يدخل ما فيها في فمه فتطول عن فمه وتفوت
فقاه فتحيروا في امرهم فبينما هم على هذه الحالة اذ دخل عليهم رجل اجرود
فقال لهم ما بالكم لا تاكلون من الطعام فاخبروه بالقضية فقال هذا
امر سهل انا ادلكم على حيلة تاكلون بها ولا تخالفوا امر الملك كل رجل منكم
يطعم الذي قبالة وجهه وكذلك الاخر يمد ملعقته يطعم من اطعمه
حتى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته
والاخر يفعل مع الاخر مثل ما فعل معه حتى اكتفوا جميعا قال فتعجب
الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته وامر له بصلة

واخلع على الوزير * ووقف رجل اجرود بين يدي بعض الملوك يشكو خصمه فقال له الملك الى متعجب من شكواك يعني انك اجرود ولا يغلبك احد فقال العفو يا ملك ان كان في وجهي بعض شعرات فان خصمي اطلس املس لا شعر بوجهه قال فضحك الملك وانصفه من خصمه وامر له بصلة (واما سبب سعادته في ابتداء امره وكيف مال عليه الدهر) فعلى اقوال احدها انه لما نشأ وصار له من العمر عشر سنين كان في قوة وشهامة ومعرفة في رعي الغنم والنط في الغيط والمشي في الحر حافيا عريانا وكان يشيل الجله الخضرا على رأسه من الغيط الى داره في اسرع زمن حتى ان الرطوبة المتحللة منها كانت تسيل على وجهه وربما عطش فشرب منها وربما عم ما يسيل منها بقية جسده كما هو عادة اولاد الارياف وكان يمكث الشهر والشهرين لا يغسل له وجها الا ان صادفه رشاش بول عجلة او بعرة وهو سارح الى الغيط او مروح فيمعكه بيده فيكون قائما مقام الماء لغسل وجهه وكان مع هذه النظافة القشرية لا يغفل عن ضرب الاولاد ولعب الكورة حول الحارات والنط على المزابل والاجران ولعب الدارن والطبلة والزمارة والعياط والعياره وضرب الكلاب بالشخام والهباب حتى انه مرَّ دون رفاقه صار يومه بيومين وشهره بشهرين كما قال فيه شاعر الفريتين شعر

ابو شادوف من يومه مجعمص * شبيه الجرو يتنطط بقوة
ويسرح غيط ابو بعره ويجمع * من الجله الطرية في الفروة
وهو عريان وشايل فوق راسه * ووجهه صار كيف وجه البعوة
وما قد سال من الجله الطرية * يسيل عليه وما عنده مروة
ويقعد شهر ما يغسل لوشو * ولا شهرين وجسمه فيه قوة
ويسرح للضحى في الحر يكنس * ويطرد مثل كلبتنا ام جروة
ويا زينو ابو شادوف لما * يجي الجاموس يقطع وسط نوه
وينزل ينفرد فيها وراهم * ويتنطط كما عفريت خلوه
ابو شادوف من صغره مذلل * تربا عندنا كلب بجروه

ابوشادوف عطاه الله نعمه * لبس لبده وعندو اليوم فروه
وابوه اليوم شيخ الكفر قاعد * حدا الصراف وراسو جب جدوه
يقول سيدك يقول له يامعرص * تحط المال والا نحليك دعوه
وهو من مثل ابوشادوف يقبض * وابوه وعمتو بنت ام فسوه
ونختم قولنا بمديح محمد * رسول الله كم زاح كل بلوه
عليه ماربنا صلى وسلم * واصحابه الكرام اهل الفتوه

وكان الناس يحسدونه والده عليه وعلى قوته وشطارته وشدة معرفته في نقرة الطبلة وصوت الزمارة وكان ابوه قد هلك في حال حياته حمارة اعرج وعنزتين وحصة في ثور الساقية ونصف بقره وعشرة فرخات وديكهم واربع كيلات نخال من شعير وملك نحو اربعمائة قرص جله ومطموره يخزن فيها الزبل ايام الشتاء وكان عنده قلة مكسوره وزير اقلم وجروانة يكنس بها الجرن وكلب يحرس الدار فلما تمت له هذه الحالة والسعادة توفى الى رحمة الله تعالى كما في الغالب ان الفقير يوم يسعد يموت * وما احسن ما قال الشاعر

اذا تم شئ بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

فكفنه ابنه ابوشادوف في رداء من محرر الكتان ودفنه في تربة تعرف بتربة ابن جاروف شط بكفر شمرطاطي وقيل بتل فندروك وقد يجمع بين القولين فيقال مات في كفر شمرطاطي ودفن في تل فندروك وقبره الآن يعرف بقبر ابوجاروف يزوره الفلاحون ويلعبون بجانبه الكوم وربما تبول وتزبل عليه بعض البهائم في بعض الاوقات * وقد رثاه بعض شعراء الارياف فقال

الا كونوا اسعفوني ياجماعه * وابكوا يامشاه في كل ساعه
ابوجاروف ولى اليوم عنا * وخلى العنز والبقره بتاعه
وخلى بنت عمو ام فلحس * عليه اليوم تبكي وسط قاعه
وابوشادوف يعيط وسط راسو * ابوه مات وعدنا في مشاعه

وراح من كان شيخ الكفر يحكم * على الجدعان ودوليك الرباعه
ولما كان يركب يوم غاره * على كلبه ويدلع دلاعه
ويلبس لبدتو من فوق راسه * ودقنو بارده فيها سقاعه
وحولو جرو ابن خراء فلحس * واهل الكفر ما منهم جماعه
تقول ريس على جوف المغانى * والخلبوص جاي يشفع شفاعه
وحستو راح رب ارحم عضامو * ودبشبش طوبتو في كل ساعه
وابو شادوف يا الله ابني شبابو * ويصبح شيخنا صاحب قناعه
ويبقى مثل ابوه راكب وحولو * جماعه فى جماعه فى جماعه
ويتعنطز ويسرح فى التهارى * ويتجعمص ويقعد فى السباعه
ونختم قولنا والدايم الله * وذا الكاس حق ما فيه اندناعه
وناشاطر وشاعر طول عمرى * والضم لضم يتلمع لماعه
جعلتو فيه يحزن من يشوفو * وودعتو بقولي اليوم وداعه
وصال على النبى اصلي طول عمرى * نبى الله واطلب لي الشفاعه
وابو شادوف انا لا حد غيرى * وضربة دم تكتم ذى الجماعه

قال ولما فرغ العزا وراق الزمان واخذوا خاطر ابو شادوف المشايخ والجدعان وتصدق على والده بالفطير المعمول بالنخاله والشعير ولعا قبره بالوحل والجله وعمل بجانبه مدود العجله سحب النبوت وتمشى قدام الكفر واتمشيخ على الكفر واطاعه زيد وعمرو وجلس على ركبه يدمدم ويتعنطز ويتنطط وغنا وقال وافتخر بهذا المقال وانشد يقول شعر

ابو شادوف عمري يا سلامه * اقرا القوز وناشاطر فهامه
ولولا ان ابويه فى ترابو * انا فى الكفر شيخ بلا علامه
واحكم على المشاه واسرح وارتع * واخوض البحر والخندق الحزامه
واشد على الحمار واركب وحولى * جماعه شبه شمعه فى ظلامه
ابو نطوز وابو بزبوز وعفلق * ودم الحس قفالك وابو عمامه
وانا ما عاد كيفى اليوم واحد * وضال انى بتمعص فى شبابه

واطحن قرن من خالف كلامي * بنبتوني واكسر بو عضامه
ابويه كان قبلي شيخ عليكم * فخلوني وروحوا بالسلامه
ونختم قولنا بمديح محمد * واصحابو الملاح اهل الكرامه

قال فعند ذلك حسدوه المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر التي حصلت له بعد وفاة ابيه على التركة فاغروا عليه الحكام فارسلوا اليه وعارضوه في جانب منها وقيل فيها كلها ولم ينفعه الا مطمورة الزبل التي ادخرها وهي التي كانت سببا لسعادته بعد موت ابيه على ما قيل ثم صار يداري الناس ويتملق لهم بالكلام الى ان تناسيت القضية ودخل فصل الشتاء ففتح المطمورة ليلا وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول (وقيل) انه اقترض عشرين نصف فضة فاخذ بهم بيضا وطلع مصر فصادف عيد النصارى فباع البيض بزيادة عن ثمنه فكان هذا سببا لسعادته وقد يجمع بين القولين فيقال انه باع الزبل والبيض فلا تعارض في ذلك وكان يعطي ويتكرم فقصدته الشعراء والادباء من اطراف الكفور حتى انه اجاز شاعرا بخمسين بيضة وكيلة شعير واعطى آخر مائة قرص جلة وجاءه آخر بجزارة فلاها زبلا من اولها الى آخرها ودفعها له * وكان قد اقبل عليه الرزق زيادة عن والده فكان عنده وزتين وعشرين فرخة بديكهم وقفص للفراخ من جريد ونبوتا اعوج ولبدة وخلقة زرقاء وقفة ملآنة نخال وعشرة حزم عروق جزر ناشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحالة يبارك له المولى في رزقه فانما الرزق من الله تعالى (كما اتفق) ان بعض الصالحين كان فقيرا جدا فبينما هو نائم اذ هتف به هاتف يقول له يا فلان امض الى محل كذا خذ منه الف دينار فقال افيها بركة قال لا فقال اذهب عني فاتاه مرة ثانية وقال له اذهب الى المحل الفلاني خذ منه خمسمائة دينار فقال افيها بركة قال لا فقال اذهب عني ولم يزل يأتيه مرة بعد اخرى حتى قال له اذهب الى محل كذا وخذ منه دينارا واحدا فقال افيه بركة قال نعم فقال اذا آخذه فذهب واخذ الدينار وبورك له فيه وصار في نعمة وسعادة زائدة فالشخص اذا قنع

وبودك في قليله قال الولي الصالح العارف بالله تعالى سيدي يحيى البهلول رضي الله عنه
ونفعنا به والمسلمين آمين (استقنع بقليلك * يأتيك الله بكثيره)
وقال (كم عارض بعد رشاش * ينهل من المزاج) (انا مالي فياش *
ايش علي مني) (اقلق من رزقي لاش * والخالق يرزقني) وقال رضي الله عنه
(يا ابن آدم قل طمعك * دا السعا وعد تدرك) (لا تفرد ابا الشطاره * او تحسبها بادرك)
(لو تكن تسع زمانك * غير رزقك ما يجيك) (ان رزقك مثل ظلك * ان مشيت يمشي قبالك)
(من له في الغيب شيء * لم يمت حتى ينا له) وقال الامام الشافعي رضي الله عنه
وارضاه وجعل الجنة مثواه (وجدت القنا كنز الغني * فصرت بأذيا[illegible] تمسك
فلا ذا يراني على بابه * ولا ذا يراني [illegible] منه منهمك
وصرت غنيا بلا درهم * [illegible] كالملك ه
حتى قال [illegible] جميع [illegible] ونفذ [illegible] من المال
وصار في [illegible] الاموال ولم يجد له خلا ولا [illegible] ولم يبق الا الذي
خلفه [illegible] من كان خدامه [illegible] ولا
صديق [illegible] ولا رفيق [illegible] وبعض
السادة [illegible] كالميزان [illegible] او كالنخل في [illegible]
رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذي شيم شريفه
كمثل البحر يغرق كل حي * ولا ينفك تطفو فيه جيفه
او الميزان يخفض كل وافٍ * ويرفع كل ذي زنة خفيفه
وقال آخر (الدهر كالمنخل في فعله * فاعجب لما يصنعه المنخل)
(يحط اللب من تحته * وترفع النخالة والفسول) فحوادث الدهر تأتي على غرر
ويذهب الشخص على خطر * وقد قلت في مطلع قصيدة من هذا المعنى من الابيات
حوادث الدهر قد تأتي على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الضرر
واعدد لها من دروع الدهر سابغة * تقيك شدتها اذ ترمي بالشرر
كانت ليالي بها اللذات مثمرة * قطفت منها ثمار العز في الصغر
الى آخر الابيات فليس لحوادث الدهر الا الصبر الجميل والتسليم الى كريم [illegible]

وممن دهمه حادث الزمان وانصرفت عنه الاهل والخلان ما حُكي ان بعض الحسدة وشى بأبو وزير الكاتب ابن مقلة الذى انفرد فى زمانه بعلو الخط وحسنه وادعى انه دلس على الملك فى بعض الامور فامر الملك بقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرفت عنه الاصدقاء والمحبون ولم يأته احد الى نصف النهار فتبين للملك ان الكلام عليه باطل فامر بقتل الذى وشى به واعاد ابن مقلة الى ما كان عليه وندم الملك على ما فعله معه من قطع يده فلما رأى اخوانه ان نعمته عادت اليه عادوا له يهنئونه واقبلوا اليه يعتذرون له فعند ذلك انشد يقول

(تخالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا) (عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا)
(يا ايها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان) قيل مكث بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغير خطه حتى مات * ومن النوادر الدالة على فصاحة ابن مقلة ما اتفق ان رجلا كتب رقعة والقاها اليه بحضرة الملك ليقرأها عليه وكل لفظ منها فيه حرف الراء وكان ابن مقلة لا يقدر ان ينطق بهذا الحرف (وصورتها) امر امير الامراء ان يحفر بئر على قارعة الطريق ليشرب منه الشارد والوارد قال فلما ان تأملها غير الالفاظ واتى بالمعنى * وقال حكم حاكم الحكام ان يجعل جب على شاطئ الوادى ليستقى منه الغادى والبادى وكان هذا من قوة بلاغته رحمه الله تعالى * وقيل اربعة يضرب بهم المثل حسان بن ثابت فى الفصاحة ولقمان فى الحكمة وابن ادهم فى الزهد وابن مقلة فى حسن الكتابة والخط قال الشاعر يصف هذه الاربعة بهذه الابيات

فصاحة حسان وخط ابن مقلة * وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
اذا اجتمعت فى المرء والمرء مفلس * ونودى عليه لا يباع بدرهم
واما ضد هذه الاربعة فلله در من قال فيها
سماجة اطروش وثقل ابن قينة * وغفلة قرنان وعكس براهم
اذا اجتمعت فى المرء والمرء موسر * لكان فصيح القوم عند التكلم

وممن دهمه حادث الدهر وعلاه الهم والفقر فاصبح بعد العز حقيرا وبعد الغنى فقيرا

ما اتفق أن رجلاً ركبته الديون فترك عياله وخرج هائماً على وجهه الى أن
أقبل على مدينة عالية الأسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو في حالة الذل والانكسار
وقد اشتد به الجوع وأبله السفر فمر في بعض شوارعها فرأى جماعة من الأكابر
متوجهين فذهب معهم ودخلوا محلاً فدخل معهم الى أن انتهوا الى محل يشبه
محل الملوك فدخلوا ذلك المكان وهو تابعهم الى أن انتهوا الى رجل جالس في
هيبة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كأنه من أبناء الوزراء فلما رآهم قام
اليهم وأكرمهم فأخذ الرجل المذكور الوهم واندهش مما رأى من البنيان
والخدم والحشم فتأخر الى ورائه وهو في حيرة وكربة وخائف على نفسه
حتى جلس في محل بعيد منفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد فبينما هو جالس
اذ أقبل عليه رجل ومعه أربعة كلاب من كلاب الصيد وعليها أنواع الحرير والديباج
وفي أعناقها أطواق الذهب بسلاسل من الفضة فربط كل كلب منها في محل
معد له ثم غاب وأتى بأربعة أصحن من الذهب مملوءة من الطعام المفتخر
ووضع لكل واحد من الكلاب صحناً على انفراده ثم مضى وتركها قال فصار الرجل
ينظر الى الطعام من شدة الجوع ويريد أن يتقدم الى كلب ليأكل معه
فيمنعه الخوف فنظر اليه كلب فعرف حاله فامتنع عن الأكل وأشار اليه
فدنا منه فأشار اليه ثانياً أن كل من هذا الصحن وتأخر الكلب فأكل الرجل
حتى اكتفى وأراد أن يذهب فأشار اليه الكلب أن خذ الصحن بما فيه
والقاه له وستره بكمه ووقف ساعة فلم يأت أحد يسأل عن الصحن
فمضى به الى حال سبيله ثم سافر الى مدينة أخرى فباع الصحن وأخذ بثمنه
بضائع وتوجه الى بلده فباع ما معه وقضى ما عليه من الدين وكثر عليه الرزق
وصار في نعمة كثيرة زائدة وبركة عميمة مدة من الزمان فقال لنفسه لا بد
أن تسافر الى مدينة صاحب هذا الصحن وتأخذ له هدية سنية تكافئه بها
وتدفع له ثمنه وان كان أنعم به عليك كلب من كلابه فأخذ هدية تليق بمقام
الرجل وأخذ معه ثمن الصحن وسافر أياماً وليالي حتى أقبل على تلك المدينة
وطلع اليها يريد الاجتماع به فأقبل على محله فلم ير الا أطلالاً بالية وغراباً ناعياً

وديارًا قد اقفرت واحوالًا قد تغيرت وحالًا للقلوب قد ارجف ومحلًا تركه الدهر قاعًا صفصف كما قال بعضهم

سرى طيف سعدى طارقًا يستفزني * سحيرًا وصحبي بالديار رقود
فلما انتبهنا للخيال الذي سرى * ارى الدار قفرا والمزار بعيد

فلما شاهد تلك الاطلال البالية ورأى ما صنع الدهر بها علانية اعترته الحيرة عن يقين والتفت فرأى رجلًا مسكين في حالة تقشعر منها الجلود وترثي لها الجلمود فقال له يا هذا ما صنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان وأين بدوره السافره ونجومه الزاهره وما هذا الحادث الذي حدث على بنيانه وما الامر الذي لم يبق منه غير جدرانه فقال له هذا المسكين وهو يتأوه من قلب حزين اما في كلام الرسول عبرة لمن اقتدى به وسمعه حق على الله ان لا يرفع شيأ في هذه الدار الا وضعه وان كان سؤالك عن امر وسبب فليس مع انقلاب الدهر عجب انا صاحب هذا المكان ومنشيه وسالكه وبانيه وصاحب بدوره السافره واموالة الفاخره وتحفه الزاهيه وجواره الباهيه ولكن الزمان قد مال فأذهب الخدم والمال وصيرني في هذه الحالة الراهنه ودهمني بحوادث كانت عنده كامنه وسؤالك هذا عن امر وسبب فأخبرني عنه واترك العجب قال فأخبره بالقصه وهو في تألم وغصه وقال له قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب وثمن صحنك الذي اخذته من الذهب فانه كان سببًا للغنى بعد الفقر ولزوال ما كان عندي من الهموم بالصبر قال فهز الرجل رأسه وبكى وأن واشتكى وقال يا هذا اظنك مجنون فان هذا امر لا يكون كلبٌ من كلابنا يتكرم عليك ببعض من الذهب فأرجع فيه ولو كنت في اشد الهم والوصب والله لا يأتي منك شيء يساوي قلامه فأمض من حيث جئت بالسلامه قال فقبل الرجل اقدامه ويديه وانصرف راجعًا يثني بالمديح عليه ثم انه عند فراقه ووداعه انشد هذا البيت الذي يلتذ بسماعه فقال

ذهب الناس والكلاب جميعًا * فعلى الناس والكلاب السلام

وقد

وقد ناب مؤلف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب ورمته الليالى بسهام الهموم
من قسى المصائب فأصبح بعد الجمع وحيدا وبعد الانس فريدا يسامر
النجوم ويساور الهموم ينسكب على فراق الاحبة الدموع ويرجو
عود الدهر وهيهات الرجوع شعر

فليت شعرى والدنيا مفرقة * بين الرفاق وايام الورى دول
هل ترجع الدار بعد البعد انسة * وهل تعود لنا ايامنا الاول

لكن الصبر على غدرات الايام من شيم السادة الكرام شعر

اصبر ففى الصبر خير لو علمت به * لكنت باركت شكرا صاحب النعم
واعلم بانك ان لم تصطبر كرما * صبرت قهرا على ما خط بالقلم

وكل هذا توطئة لما نال الناظم من الهموم وما اعتراه من طوارق حوادث
دهره والغموم وهو الذى كان سببا لانشاء هذا القصيد *
وشكواه هذا الامر الوافر المديد * فقال

ص (يقول ابوشادوف من عظم ما شكى * من القل جسمه ما يضاهى الضعيف)

ش هذا الكلام له بحر وقد وتقاطيع ومد فبحره الطويل المديد
الناقص المزيد ومن جعله من بحر الكامل قال فيه متهابل متهابل
ومن قاسه ببحر الوافر قال هو من البحر الزاخر ومن نسبه لبحر البسيط
قال هو من معنى الهلط والتخبيط ومن قارنه ببحر السلسله قال هو من
معنى هلهله هلهله ومن شابهه ببقية البحور قال فى تمثيله انتحار
اوثور * واما قده المعهود فعلى وزن برو وتخلى الماضغين جلود
واما تقاطيعه المذكوره فهى هى الكلمات المنثوره *

يقول	ابوشا	دوفمن	عظمما شكى
تبول	عليها	فى الضحى	مع غرو بها

ومجموع هذا الكلام من هذا النظام (تبول عليها فى الضحى مع غروبها)
فاذا عرفت البحر والقد والتقاطيع فلنشرع لك الآن فى شرح الكلام
على حسب التواقيع او على نمط الفراقيع * فنقول (قوله يقول)

اى يريد أن ينشئ قولاً فى الخارج فيه شرح حاله وعلى ما نابه من حوادث الزمان وما اصابه من دواعى الهم والاحزان والقول له مصادر واشتقاق فمصدره قال يقول قولاً ومقالة وربما يزاد فيه قلة وقيلولة واشتقاقه من القيلولة او من القلل او من الاقوال او من قالوا او قلنا وانما زدت هذه المصادر الفشروية وهذه الاشتقاقات الهبالية لابنى عليها ما ساذكره لك مما اتفق لى مع بعض من يدعى العلم وهو جاهل وما ذاك الا انى لما توجهت للحج الى بيت الله الحرام سنة اربعة وسبعين والف وبلغت بندر القصير انتظر السفن للسفر فجلست اياماً فى زاوية على البحر الماءالح اعظ الناس فبينما انا ذات يوم فى هذا المكان اقرأ فيه وأبين للناس الكلام ومعانيه وانا فى هيئة تشين النظر وفى اهبة ذهاب وسفر وفى قلة وهبال وهلفطة ومقال اذ اقبل على بلا محاله رجل يشبه دائرة الهالة طويل هبيل فظ ثقيل له عمة كالهيولى فى العظم وطيلسان نسج من صوف الغنم ثم جلس يريد الضرر ونظر الى شذر فظهر لى منه الشر والجدال وهو منتظر منى متى قلت قال وكان الامر كما ذكرت وما اليه بهذا المعنى اشرت فابتدأت فى الكلام وقلت قال النبى عليه السلام فعند ذلك قال لى بلفظ كثيف ما معنى قال فى التصريف فلما سمعت سؤاله تحققت جهله وهباله وعلمت انه خالى من العلوم وجاهل بالمنطوق والمفهوم فقلت له ان قال يتصرف منه اسماء وافعال وهى قال يقول قولاً وقلة وقيلولة ومقالة على الكمال وان اردت جعلت لك بقيال تصريف هذه الستة ستا وثلاثين فقال لى وهذا التصريف فى اى متن من المتون فقلت له فى ديوان ابن سودون فركن الى قولى على جهل منه وعمى فعرفت انه لا يدرى الاسم ولا المسمى ثم انقاد الى بعد الدعوى والهيس انقياد الغنم للتيس وامتثل الامر فى رواحه ومقيله حتى مضى الى حال سبيله (فان قيل) لاى شئ خلبطت على هذا السائل فى هذه المصادر والاشتقاقات ووعبت عليه فى هذه الامور الهبالية كنت تعترض على ما قالوه فى كتب الصرف ولا تخرف فى الكلام جزاف

قلنا الجواب نعم كان ينبغي هذا الكلام ولكن مع من يدري العلم بالتمام
وأما الجاهل البليد والفظ العنيد فليس له الا ما يناسب جهله من دش
الكلام والحرفة فيما يليق بذلك المقام فكان ما سبق من الجواب وحاله
مناسب لسؤاله وهباله فانتضح الاشكال من وجه هذا الهبال *
(مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الناظم ابتدأ كلامه بصيغة المضارع ولم
يأت بصيغة الماضي كما قال صاحب الفية النحو رحمه الله (قال محمد هو ابن مالك الخ
الجواب الفشري ان هذا الفعل الماضي الذي هو قال يتولد منه المضارع وهو
يقول ويقول يأتي منه فولا كما سبق في تأصيل الافعال والاسماء فاكتفى
بالفرع عن الاصل او انه اراد تعديد الامور التي حصلت له من تغير الزمان
وانقلابه ولم يكن اخبر عنها سابقا بلفظ الماضي فاراد الاخبار عنها بلفظ
المضارع الذي هو يقول وان كان في معنى الماضي صورة وفي معنى المضارع حقيقة
قال الشاعر فقال هو الماضي يقول مضارع * وان كان ذا الماضي له في الحقيقة
وقال ابو الطيب المتنبي عفا الله عنه ✱

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم
اي اذا نوى شيئا مستقبلا امضى فعله قبل ان يدخل عليه ما يجزمه اي يمنعه
عنه ويسكنه عن الحركة عن فعله انتهى * وايضا لو اتى بالماضي لاختل الوزن
وان كان المعنى باقيا على حاله فاتجه الجواب وبان الصواب وقوله (ابو شادوف)
هذه كنيته وغلبت عليه فصار علما كما قالوا في معدي كرب وبعلبك وبرق نحره
ونحو ذلك واما اسمه الحقيقي عجيل تصغير عجل على ما قيل وسببه ان امه لما ولدته
القته في مذود البقرة فجاء العجل ولحسه فسمي بذلك ايا ما حتى اشتهر بهذه
الكنية * وسبب اشتهاره بها انه لما اقبل الدهر عليه كما تقدم اجر
نفسه لسقي الزرع بالآلة التي يعملها اهل الريف تسمى ابو شادوف وصورة
فعلها انهم يجعلوا ناطورين من طين على جانب البحر ويحفروا بينهما نقرة مثل
الحوض الصغير ويضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة ويعلقوا فيها
خشبة ايضا بالعرض حكم قصبة الميزان ويضعوا في طرفها الذي من جهة البر شيئا ثقيلا

والذي من جهة البحر الدلو او القطوة التي ينضحوا بها الماء ثم ان الرجل
يقف الى جهة البحر ويتكئ على طرف تلك القصبة فيقع الدلو او القطوة في
البحر ويغرف الماء ثم يتركه فيثقل طرفها الثاني ويصعد الدلو او القطوة
ويفرغ في النقرة مع مساعدة الرجل له ويجري الماء الى الزرع وهكذا حكم
ما شاهدناه مرارا عديدة ويسموا مجموع الآلة والناطورين ابوشادوف
وهو مشتق من الشذف وهو الغرف قال في القاموس الازرقي والناموس
الابلق شذف يشذف شذفا بمعنى غرف يغرف غرفا قال الشاعر
اذا ما رأيت الماء فاشذف براحة * فذلك للظمآن اهنى واطيب
فالناظم لما لازم هذه الآلة وصار لا يفارقها غالب الاوقات سمي باسمها
من باب تسمية الحال باسم المحل * وقيل ان امه ولدته عند ابوشادوف فسمي
باسمه لكن يرده ما تقدم من ان اسمه الاصلي عجيل وقد يجمع بين الاقوال
فيقال ان امه لما ولدته عند ابوشادوف اخذته ووضعته في المزود وسمته
العجل على ما تقدم فسمي عجيل ثم اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الاقوال وقيل
سمي بذلك لكثرة غرفه الماء بهذه الآلة فصار كل من سأل عنه يقال له عند
الشذف اي الغرف ثم زادوا هذه الكلمة الالف والواو وقالوا شادوف
ولكثرة تكرارها جعلوها حكم الوالد والنواطير مثل الاب له وقالوا ابو شادوف
ووضعوها على ذات الناظم لكثرة مجاورته لتلك الآلة وعرفوه بها فصارت
علما له يخاطب بها كما سبق بيانه (مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الدلو
او القطوة لا يفارق الخشبة التي هي في حكم قصبة الميزان وهل هي حكم الابنة
كما سبق من ان النواطير في حكم مقام الاب للشادوف وان الدلو والقطوة
انما لازم هذه للخشبة بالضرورة لها ومتى انفك عنها بطل عمله فهو مجاورتها
في وقت الحاجة لا غير الجواب ان الخشبة لا تستغني عن الدلو او القطوة وهما
لا يستغنيان عنها فكان كلاهما في حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة في حكم الاب
لما ذكر لان كلا من الدلو والقطوة مرتبط بالخشبة فانجلى المقال عن وجه
هذا الهبال (فائدة) الاب مشتق من آب اذا رجع قال ابن زريق

رحمه الله في قصيدته   ما آب من سفر الا وازعجه * رأى الى سفر بالعزم يمنعه
اي ما رجع من سفر الا وازعجه رأيه الى سفر ثان وكذلك الاب لانه في كل ساعة
يرجع الى ولده ويتفقده وينظر اليه وقيل مشتق من الابوة كما ان الاخ
مشتق من الاخوة قال الشاعر

ابو المرء من آب اشتقاقا لاسمه * واخو المرء ايضا قد اتى من اخوة

ومصدره آب يؤوب اوبا فهو آب وقال ابن سودون ان ابو هذا
فعل ماض ناقص واصله ابوس ويدل على ذلك قول الشاعر

قالوا احبيبك وارى ثغره صلفا * ماذا تحاول ان ابداه قلت ابو

اي ابوس وانما حذفت السين لوجهين الاول لقصد حصول اللبس على السامع
اذ هو اللائق هذا عند الادباء والاقرب الى السلامة من الواشين والرقباء
والثاني حذفت السين لانها في الجمل بستين والستين في البوس اسراف
عند البعض هذا كلامه المصرح به في ديوانه انتهى قلت وكلام هذا البعض
الذي نقله ابن سودون مردود لان المحب اذا ظفر بمحبوبه لا يشتفى فؤاده
بستين قبلة ولا بمائة خصوصا اذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات
حسن الصفات مطيعا للعاشق مصافيا مصادق وانطبع بعز المأنوس
وانضم لعاشقه انضمام العروس وتملى المحب بالحبيب وخلا المجلس من الواشي والرقيب
هنالك لا ينحصر البوس بعد ولا يكون له غاية ولا احد قال الشاعر

سألت بدر التم في قبلة * اجاب ان يوفي ومنشي السحاب
لما اختلينا واجتمعنا به * غلطت في العد وضاع الحساب (وقلت في المعنى)
رايت له شرطا على الخد قد حوى * جمالا وقد زان الملاحة بالقرط
فقلت مرادي اللثم قال بخلوة * فقبلته الفا على ذلك الشرط

اللهم الا ان يكون المحل غير قابل للحب وللحبيب * بان يكون ثم خوف من
واش اور قيب فيكون الضم في تلك الحالة والتقبيل بحسب امن العاشق
في الكثرة والتقليل * ومنهم من لا يعتريه في ذلك وهم ولا الباس
ويقبل محبوبه ولو بحضرة الناس ولو نفر منه وفر ربما ال نحوه ومر * قال الشاعر

لو تراني وحبيبي عنده ما * فر مثل الظبي من بين يدي
وغدا بعدو وأعدو خلفه * وترانا قد طوينا الأرض طي
قال ما ترجع عني قلت لا * قال ما تطلب مني قلت شي
فنأى مني وولى خجلا * وانثنى بالتيه عني الحي
كدت بين الناس أن أنتهي * آه لو أفعل ما كان علي

ومن اللطائف أن أبا نواس مر يوما في شوارع بغداد فرأى غلاما جميلا فقبله عيانا فترافع الغلام وإياه على يد القاضي يحيى بن أكثم وادعى عليه بما وقع قال فأطرق القاضي ساعة وأنشد يقول

إذا كنت للتخميس والبوس مانعا * فلا تدخل الأسواق إلا منقبا
ولا ترخي الأهداب من فوق طرة * ولا تظهرن من فوق صدغ عقربا
فتقتل مسكينا وتهجر عاشقا * وتترك قاضي المسلمين معذبا

قال فأطرق الغلام ساعة وأنشد يقول

وكنا إذا رجوك للعدل بيننا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * إذا كان قاضي المسلمين يلوط

وقوله (من عظم ما شكى) أي من عظم أمر بل من أمور يشكو منها وصرح بشكواه راجيا بأن الله تعالى يفرج عنه ويعيد له ما سلف من أيام النعيم التي كان فيها فإن الأمر إذا اشتد هان وإذا ضاق اتسع قال الشاعر

ولرب ليل في الهموم كدمل * عالجته حتى ظفرت بفجره
ولقد تمر النائبات على الفتى * وتزول حتى لا تجول بفكره

والشكوى على أقسام شكوى لله وهي محمودة وشكوى للمخلوق وهي مذمومة اللهم إلا أن يكون في حال شكواه معتمدا على الله تعالى متكلا عليه مستعينا به في دفع ما نابه من الشدائد فلا بأس بذلك وإذا صبر واحتسب كان أولى وفرج الله عنه قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى إن مع العسر يسرا *

ومن كلام الأستاذ يحيى البهلول نفعنا الله تعالى به

(إذا ضاقت بك الأحوال * لا تفكر في ألم نشرح) * (فعسر بين يسرين * إذا [illegible] تفرح)

ثم

ثم ان الناظم اراد تعداد الامور التى ترادفت عليه مبتدئا باعظمها واهمها
فقال (من القل) بكسر القاف وسكون اللام اى ان اهم شكواى واعظمها
اولا من القل وهى قلة الماكل والمشرب حذفت ياء الكلمة لضرورة النظم
وايضا عدم الميسرة فى الملبس وشدة التعب فى كد المعيشة وفى الحديث
كاد الفقر ان يكون كفرا اى قارب ان يوقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضاء
بالقضاء وسخط الرزق وذلك يجر الى الكفر * وفى الفقر قال ابن دقيق العيد رحمه الله

لعمرى لقد قاسيت فى الفقر شدة * وقعت بها فى حيرة وشتات
فان بحت بالشكوى هتكت مروءتى * وان لم ابح بالفقر خفت مماتى

وقيل وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان اربع كلمات وهى * العدل ان دام عمر *
والظلم ان دام دمر * والاعمى ميت وان لم يقبر * والفقر هو الموت الاحمر * وهذه
الكلمة يعابون بها اهل الريف الرجل الفقير فيقولون فلان فى قل وزعما زادوا
عليها اخرى فقالوا هو فى قل وعتر اى هو فى حالة كد وتعب وارتكاب امور
شنيعة واحوال مكربة وهى من الفاظ اهل الريف * قال بعض شعرائهم

(ابو جاسوس صبح حالو * يبكى الناس وهو مره) (يبحر ما بيلاقى * وفى قله وفى عتره)

(والقل) على وزن الغل او الظل مشتق من القلقلة او من القلة بضم القاف
او القولقى وعتره بفتح العين المهملة وجزم الهاء فى آخرها على وزن زبره مخفف
زبره وزنها على عتره لا تختلف ابدا ومعناها ارتكاب المفاسد وقلة الدين
ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عتر اى مرتكب هذه الامور واما
بالثاء المثلثة فهى واحدة العثرات وهى اللغة الفصحى بمعنى ان المتلبس بهذه
الحالة عثراته كثيرة فالمعنى واحد وقد ورد لفظ القل فى كلام العرب
(وهو ما حكى) ان رجلا حضريا اضاف رجلا بدويا فاخرج له صحنا من
الطعام وشيئا يسيرا من الخبز فصار البدوى كلما اخذ لقمة يقول له الحضرى
قل بسم الله الرحمن الرحيم يا بدوى ولم يزل يكرر عليه التسمية فاستحى البدوى وقام
ولم يشبع من الطعام ومضى ثم بعد ايام خرج البدوى من منزله فرأى ضيفا
للحضرى فاخذه واجلسه فى داره واخرج له قصعة كبيرة ملآنة من الثريد واللحم

وقال له كل يا حضرمي وسف ما في القلة بركة اي ما في قلة الطعام مع الشح بركة ودعك تسمي الله او تترك التسمية وان كان محل ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وان كان صاحبها فقيرا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب
قال الشاعر اذا كثرت ذنوبك في البرايا * وسرك ان يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب * يغطيه كما قيل السخاء
وفي الاثر كل عيب يغطيه الكرم (مسئلة هبالية) ما الحكمة في اشتقاق القل من القولق او من القلة او من القلقلة وما المناسبة لذلك وما معنى هذه الالفاظ (الجواب القشروي) ان القولق اسم لشيء من الجلد يصنع لحفظ الدراهم ويربط في الحزام على الفخذ الايمن يفعله بعض سقاة القهوة وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتساعه كما ان القل هو ضيق المعيشة وعدم اليسر فتناسب المعنى في ذلك واما اشتقاقه من القلة بضم القاف فلاحد امور اما الحصر للماء فيها فكذلك حكم القل وعدم البركة حكم وجود الماء وعدمه او ان المناسبة في ذلك لضيقها في حد ذاتها وان الماء لا ينزل منها الا من خرم ضيق وانها اذا وضعت في الماء بقبقت وصارت حكم الذي يشكو الى الماء * قال الشاعر
ما بقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار
فكان في ذلك مشقة وشدة تعب فناسب اشتقاق القل من هذا المعنى والقول الثالث انه من القلقلة فهو كذلك من قلقلة الامور اي سرعة حركاتها وشدتها وارتكاب المشقات ونحو ذلك قال الشاعر
(قلقل ركابك في الفلا * ودع الغواني في القصور) * (القاطنين بارضهم * عندي كسكان القبور)
اي حرك ركابك في الفلا وهو الفضاء المتسع والمعنى سر شرقا وغربا واكتسب ما يغنيك عن سؤال الناس ولا تكن عيلة عليهم ولا تذل نفسك لهم ودع الغواني جمع غانية وهي ذات الجمال اي اتركها ولا تشتغل بها عن طلب رزقك فربما اشتغالك بها يتولد منه البطالة والكسل فلا تجد ما تنفقه عليها فتميل نفسها الى غيرك ويترتب على هذا مفاسد كثيرة فاذا سعيت وتركتها

وأتيت لها بما يسد جوعتها ويستر عورتها مما تحتاج اليه دامت معك على اتم مراد
وأحسن حال وان كان لا يفيد شيئا من السعي والسفر الا اليسير فهو اولى من عدمه بالكلية
قال الشاعر على المرء ان يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر
(وفي بعض الكتب المنزلة) يقول الله تعالى يا عبدي خلقتك من حركة تحرك رزقك
وفي المثل الحركة فيها بركة * وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

تغرب من الاوطان في طلب العلا * وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد
فان قيل في الاسفار ذل وغربة * وتشتيت شمل واجتماع شدائد
فموت الفتى خير له من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

فاتضح الجواب باتفاق عن وجه هذا الاشتقاق وقوله (جسمه) الضمير
راجع للناظم اي جسمه وهو ذاته مشتق من التجسم او من المجسمة وهم طائفة
يقولون بالحلول والتجسيم قبحهم الله تعالى او من جسم العاشق اذا انحله بعد الحبيب
ولم يجد له دواء ولا طبيب وقوله (مايضال) كلمة ريفية ومعناها مايزال
كما تقدم في الجزء الاول اعلم بزل جسمه من الفل والتعب وعدم الميسرة
(نحيف) على وزن رغيف واصله نحيفا بالالف المقصورة وحذف لضرورة
النظم والمعنى ان جسمه ضعف ورق من كثرة توارد الهموم عليه وتحمل الاذى
والكد في تعب المعيشة ونحو ذلك فان الهم يضعف الجسد ويمرضه
بخلاف الراحة وكثرة النعم ومن هذا يظهر ان اصحاب المال والرفاهية في
الغالب ان اجسامهم في نضارة وملاحة وطلاوة من حسن المأكل والمشارب
ونظافة الملابس ورقتها فلا يرون بذلك الهم تأثيرا * وقال الامام الشافعي
رضي الله عنه من نظف ثوبه قل همه * وفي الحديث الثوب يسبح الله فاذا اتسخ انقطع تسبيحه
فالجسد مثل الزرع مادام صاحبه يتعهده بالسقي والاصلاح وتنظيف العلف عنه دام في
نضارة زائدة وملاحة زاهية ومتى تركه اضرته الآفات وتغيرت عليه الاحوال واما رقة الجسد
ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح في النساء والرجال ويقال الصبا اهيف قال الشاعر
(واهيفا العبا * بالنرد انثى وذكر) ❀ (قالت انا قمرية * قلت اشكي انت قمر)

وأبلغ من هذا قول بعضهم

هيفاء لو خطرت في جفن ذي رمد * لما احس لها من وطئها ألما
خفيفة الروح لو رامت لخفتها * رقصا على الماء ما بلت لها قدما

(مسئلة هبالية) لأي شيء قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه انسب في المعنى وافصح في العبارة وقد ورد في القرآن العظيم في قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم اي من عبادتكم الاصنام (قلنا الجواب القشروي) انه الناظم عدل عن هذه اللفظة لتضمنها معنى اللفظة التي على وزنها وهي قطيم والقطيم بلغة الربافة هو صاحب الأبنة وبلغة اخرى وهو الخالي من الزواج فلو فرض انه اتى بها في النظم لربما نسبوه انه كان به ابنة فيحصل من ذلك الضرر او يقال انه راعى في ذلك قوافي الشعر فلا اشكال فانضح المقال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم اراد الاخبار عن بليته ابتلى بها ايضا نشأت من القمل والعترة وعدم ما في اليد كما تقدم فقال

ص * (انا القمل والصيبان من طوق جبتي * شبيه الثعالي تجري فوق جرتي) *

ش قوله (انا) يعني ابو شادوف اخبركم ايضا معاشر الاصحاب واشكو اليكم وهو ان القمل المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد في القرآن العظيم فانه نوع من السوس والقراد كما ذكره بعض المفسرين (فائدة) ذكر الدميري في حياة الحيوان عن بعضهم ان القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من العجب انتهى والقمل يتولد من العرق ومن اوساخ الجسد واشتقاقه من التقمل او من تقميل الغزل اذا صبغ وبوش ووضع في شئ حرارة الشمس فييبس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمل ومصدره قمل يقمل قملا وهو اسم جنس الانثى منه قملة واما الذكر فلعله يسمى قامل قال الشاعر

وما قامل في الثوب الا رأيته * يدب دبيب العقربان اذا امشى

(والعقربان) على لغة الثعلبان اسم للثعلب قال الشاعر

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وخوطب بلفظ المثنى كما ورد في القرآن العظيم في قوله تعالى خطابا لمالك خازن النار

وضبطه بعضهم بضم المثلثة واللام وعليه فلا تأويل ه كاتبه

آلقيا في جهنم وقول الحجاج يا غلام اضرب عنقه واما قوله في البيت الاول بدت
دبيب العقربان اى لانهم شبهوا القملة بالعقرب والبرغوث بالفيل ولهذا
انها تلدغ والبرغوث يعض (فان قيل) اذا كانت القملة تشبه العقرب والبرغوث
يشبه الفيل فلأى شئ لم تكن كبيرة مثلها ولدغتها كلدغة العقرب وكذلك
البرغوث لم يكن قدر الفيل وفعله كفعله (الجواب عن ذلك) ان القمل لما كان
منشؤه من جسد الانسان وانه لا يفارقه لمنافع اقتضتها الحكمة الالهية
وهي مص الدم الفاسد وان كان يتحصل منه الأذى كان المناسب لحكمة الله
ان يكون صغيرا ولدغته قليلة الألم اذ لو كانت القملة قدر العقرب للزم
ان يكون الآدمي قدر الجمل ويكون دائما في خوف من رؤيتها وتعذيب من
لدغها والله تعالى كرم بني آدم وكذلك البرغوث لما جعله الله تعالى يسكن مغار
الثياب والمحلات الضيقة كان صغيرا مثل القمل اذ لو كان قدر الفيل
للزم ان يكون الآدمي مثل الجبل والبرغوث واحد البراغيث والانثى منه
برغوثة وهو مشتق من البر والغوث قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى
(لما كره البرغوث ان اسمه * برغوث لا بر تدرى) نظما (فبره مص دم ناسه * والغوث ايقاظك للفجر)
واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لانه تابع له (سؤال) ما الحكمة في ان
البرغوث ينط والقملة لا تقدر على ذلك (الجواب) ان القملة لما نشأت من العروق
ودوائح الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها انثى والانثى عاجزة عن
الذكر واما البرغوث لما كان منشؤه من التراب كانت طينته قوية ولهذا
تشبه بالفيل وهو اعظم الحيوانات ذاتا فكانت القوة ناشئة فيه فصار ينط
فاتضح الحال عن هذا الاشكال وقال بعضهم ان اذى البرغوث اقوى من اذى القمل قال الشاعر

اشكو اليك براغيثا بليت بها * قد جرعوا القلب كاسا من الغصص
اصيد هذا ويحيى هذا بذا المنى * فينقضي ليلتي في الصيد والقنص

وما احسن ما قال بعضهم

بعوض وبرغوث وبق لزمنني * حسبن دمي خمرا فطاب لها الخمر
فبرغوث يرقص لزمر بعوضة * وبقهم ينكت ليسمعه الزمر

وأفادني بعض إخواننا الحشاشين أدام الله بأكل الحشيش أنسهم وأحمد
بدخول الإرطال عند النوم حشيهم أن الشخص إذا اسقط ما يشترى من الحشيش
قبل النوم ودخلت عليه الإرطال ونام فلا يحس بأذى البراغيث ولا بمرها
خصوصًا إذا استعمل الحلوى بعد أكله فإنه يفعل أفعالًا غريبة ويظهر
مظاهر عجيبة ولا يضره إلا أكل الحامض كما قال بعضهم مضمنًا
كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه هو

أمسطل بالزيد من فقد قهوة * شمول على نيرانها يجمع الشمل
نصحتك إن أصبحت في سطلة فلا * تذق حامضًا واختر لنفسك ما يحلو

(وبمغوث) من أمي عفا الله عنها الغزّ في البرغوث ولم أفهمه إلا بعد زمان
طويل لما فهمت في العلم ومارست الفصحاء وهو هذا * يا شي من شي أحمر حمير ورقي
الجمير جر وأوراه خمسة مسكوه اثنين وتفسيره يا شي يا حرف نداء أي يا رجل
فسر لنا اسمًا يخرج من شي جسم وهو أحمر حمير بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة
وسكون المثناة من تحت تصغير أحمر يعني شديد الحمرة ورقي الجمير أي
كونه قاب الجمير في لونه تصغير جمار وهو قلب النخل وورقه الليف الملتف عليه
جر واوراه خمسة وهي الأصابع مسكه اثنان منها وهما الشاهد والإبهام
وبين حمير وجمير الجناس المصحف انتهى (ومما يمنع أذى البراغيث) البخور
بقشر النارنج الناشف عند النوم (ومما يقتل القمل) الحنا والزئبق إذا لت
فيهما الخيط صوف وعلق في العنق فعل ذلك (وأما منافع القمل) فقد ذكر
صاحب كتاب الفقراء أن صاحب الشقيقة إذا أخذ قملة من رأس سالم من الوجع
ووضعها في باقلاية مشوية وسد عليها بشمع وعلقها على موضع الشقيقة
برئت بإذن الله تعالى وقوله (والصيبان) معطوف على القمل وهو بزره المتولد منه
فعطف الفرع على الأصل لأنه من لوازمه وغالب كثرته في رؤوس الأطفال
لرقة أجسادهم فيعالج بالأدهان والحنا المعتادة وتسريح الشعر ونحو ذلك
وله أكلان في الجسد بسهولة فهو أخف ضررًا من القمل لكونه أضعف منه
والطف جسمًا وأصله صيبان بتقديم الموحدة على الياء المثناة من تحت جمع صبي

ثم انهم ارادوا العدول عن هذا الجمع لئلا يشتبه باولاد الآدميين فقدموا
الياء المثناة من تحت على الموحدة وقالوا صيبانا وهو مشتق من الصابون
لبياضه او من المصيبة او من قناطر الصابوني ومصدره صاب يصيب
صيبانا وسكت الناظم عن نوع آخر من اولاد القمل وهو النمنم بكسر النونين
وسكون الميمين لكونه من لوازمه ايضا لان الفرع تابع للاصل كما تقدم
ونمنم على وزن سمسم وهو مشتق من النمنمة او النمام نوع من المشموم واما
اذا فتحنا النونين فيكون مركبا من فعل امر فكأنه يأمره بالنوم مرتين
ومن معناه قول الحريري عفا الله عنه (سمسمة تحمد آثارها * واشكر لمن اعطى ولو سمسمه)
وهذا يقرب من فن الاحاجي كقولهم طاجن وطاقة والياسمين وقول بعضهم
اني رايت عجيبا في دياركم * شيخا وجارية في بطن عصفور وقول الآخر
واحمر الخرقاني * يعزى لينه الخضا (بغير عين وناب * وفيه عين وناب)
(وينطلق) لفظ نمنم على كلام الطفل الصغير اذا اشتهى الاكل فيقول نمنم
او نبف بضم الموحدة وسكون الفاء لانه ينطق بالفاظ تخالف الفاظ الكبير
كما هو مشاهد (واما الغثه قبل نطقه) فقيل انها بالسريانية واذا اشتهى الماء
يقول انبوه بضم الهمزة وسكون النون ورفع الموحدة وجزم الهاء واذا
مد يده لنجاسة بيتنا ولها يزجر بلفظ كخ بالكاف والخاء المعجمة واذا دنا
لاخذ شئ يؤذيه يزجر ايضا بلفظ اح بالالف والحاء المهملة واذا اخذ
شيئا اعجبه ولعب به يقال له او يقول هو عليه دح بالدال والحاء المهملتين
ويقال له او يقول هو على الماكول اذا فرغ منه بح بالموحدة والحاء المهملة
واذا اراد امه ان تخوفه وتسكته عن الصياح تقول له اسكت لا ياكلك
البعبع بكسر الموحدتين او رفعهما وجزم العينين المهملتين (والبعبع مشتق
من البعبعة وهي صوت الجمل وبين اح ودح وبح تجانس المتغير الاول
ويخاطب امه بلفظ ماما واباه بابا واخاه الصغير واوا ونحو ذلك
وتغزل بعضهم في صغير بيت من المواليا جمع فيه هذه الالفاظ فقال
(يا من سلب للحشى والقلب والروح واواح * غير تواصل وانا الحين وصا الله بح)

أنا اطعم البعض والنمم وقولة بح * بعبع اناكخ يا تنا وغيرى دح
وقال ابن سودون رحمه الله فى معنى ذلك

لموت امى ارى الاحزان تحنيني * فطالما تحسّتني لحسّ تحنين
وطالما دلعتني حال تربيتي * حتى طلعت كما كانت تربيني
اقول غنمنم تجى بالاكل تطعمني * اقول انبو تجى بالماء تسقيني

قوله تحنيني وتحنين فيه الجناس التام الاول من الانحناء والثاني من الحنان والشفقة كما لا يخفى ويقال عذار منمنم اى يشبه نبته بدبيب النمم او نبات النمام وقد قلت فى تشبيهه بدبيب النمم (دب العذار على خديه خيل لي * بانه نمنم يمشى على مهل) وبعضهم زاد نوعًا رابعًا وسماه لحيس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن بعبيص او لقيس مأخوذ من البعبصة وهى ادخال الاصبع فى دبر الغير ولقيس من اللقاسة يقال لقس الكلب الاناء اى لحسه بلسانه فيكون فيه نوع شبه باللحيس او يكون على قياس فطيس واللحاسة والنجاسة على وزن واحد يقال فلان لحس اى مرتكب شيئًا يشبه النجاسة او كثير الكلام بلا فائدة فيكون اللحاسة والنجاسة بمعنى واحد قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق لا فرق بين لحاسة ونجاسة فيهما بلا شك فهذا اصوب ويقال انت تعيس لحيس اى انت تشبه لحس الكلب للاناء او انك تلحس الحرا بلسانك او تتلحس بالكلام ولا تدرى منطوقه من مفهومه والتعيس من معنى ذلك ايضًا فكلها الفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا اللحيس مزيد ضرر * قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق

ولى من اذى اللحيس فى الرأس كربة * ونمل واكل فى الثياب وفى الجسد

ومصدره لحس يلحس تلحيسًا فان قيل ان هذا اللحيس الذى زاده هذا البعض شئ نافه جدًا فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كغيره فالجواب قلنا نعم وان سلمنا انه لا وجود له الا بعسر لدقته فهى الجملة له محض اذيه وضرر وقصًا من اتباع القمل بل من اولاده كالصيبان والنمنم كما تقدم او يكون هذا قياسًا على من زاد فى اقسام الكلمة نوعًا رابعًا وسماه خالفة وعنى اسم الفعل

وهو صه بمعنى اسكت فاتضح الحال من وجه هذا المثال وقوله (فى طوق جبتى)
اى كائن او مستغرق فى طوقها والطوق على وزن الجوق كما يقال جوق الطبالة
وجوق المغانى ونحو ذلك وهو اسم لما طوق به العنق من ثوب او غيره
كالحديد والفضة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة اى المال الذى كنزوه فى الدنيا ولم يؤدوا زكاته ولم
ينفقوه فى وجوه الخير يجعل فى عنقهم كالطوق ويعذبون به فى النار والطوق
مشتق من الطاقة او من الطواقى لتدويرها او من حارة ابو طاقيه بمصر
ومصدره طوق تطويقا ونساء الارياف يجعلونه من فضة ويسمى عندهم
مناصرة ايضا وهو احسن الحلى عندهم * واما ما يوضع فى اعناق الرجال
فى السجن فانه يسمى عندهم ضامنة يقال فلان فى الضامنة اى يعنى ان هذه
الحالة الحديد التى فى عنقه ضامنة له لا يقدر ان ينفك عنها مثل الرجل
الضامن للانسان متى طلب منه احضره وقوله (جبتى) على وزن شختى ولحيتى
هذا اذا نسبتها لنفسك واما اذا كانت لغيرك فتقول جبتك على وزن
شختك ولحيتك مثلا * واذا وصفتها وقلت جبتك حمره فتكون بالتصحيف
خنثك حمزة اى ناكلك رجل يسمى حمزة والجبة واحدة الجبب مشتقة من الجب
وهو القطع لان الخياط يجبها اى يقطعها ويفصلها يقال جاب الفيافى بمعنى قطعها
وقد قلت فى المعنى (اجوب الفيافى طامعا فى وصالها * واقطع ارضا لست منها بخائب)
ومصدره جاب يجب جبا وجبة * وهى على قسمين ريفية وحضرية فالريفية
من صوف شالى غليظ مسدودة كم الثوب ويجعلون اكمامها متسعة
خصوصا شعراؤهم فانهم يعرفون بزيادة وسع الاكمام لان كم الرجل منهم
مختصر كجبته ونساؤهم على شكل الشعراء فى وسع الاكمام وزيادة فان
كم المراة منهن يسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثانى وربما جامع الرجل
زوجته من كمها ولا يحتاج لرفع بقية الثوب (كما وقع لى فى ذلك) فانى تزوجت
منهن وكنت اجامع زوجتى فى بعض الاحايين من كمها فسبحان من خصهم بقلة
الهندام حتى فى الثياب والاكمام فهى امور بينهم محبوبة والمناسبة مطلوبة *

(وفى المثل) رأوا قرد يشكر على خراره فقالوا اما المدام الرايق الا لهذا الشب العايق ورأوا جاموسة منقبة بكيب فقالوا اما الصبية القصيفة الا النقاب الرفيع قال الشاعر (رأيت مجذوما فى قاع بئر * وآخر ابرصا بجرا عليه) * (فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه)

(واما الحضرية) وهى التى يستعملها اهل المدن خصوصا العلماء والظرفاء وهى من الصوف الرفيع اللطيف يجعلونها مخصوصة الآباط مفتوحة ويقال لها مفرجة بتشديد الراء لكونها انفرجت من مقدم الشخص ويان ملحمتها ويصنعون لها السجاف فى الحرير وغيره حتى تصير اعجوبة للناظرين وبهجة للابسين * فسبحان من حلاهم بطلاوة الملبوس وزينهم بكل قدر مانوس وجعل نساءهم زينة للنفوس (كما فى المثل) الاناء ينضح بحسب ما فيه وكل شئ يشبه قانيه فالانسان ينشأ على الطبع الذى جبل عليه وشبيه الشئ منجذب اليه قلت فى المعنى

رأيت بحذره ماء ونارا * وذاك الورد منتثر عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

(ثم ان الناظم) لما علم ان القمل والصيبان وغيرهما الكائن فى طوق جبته لا يمكن حصره لكثرته اراد ان يشبهه بشئ يناسبه فى الكثرة واللون فقال (شبه النخالة) وهى قشر البر والشعير الذى يعلو المنخل عند النخل وسيأتى تعريفها واشتقاقها وهذا التشبيه يعطى حكم المشبه به من وجهين الاول ان القمل ابيض والنخالة كذلك الثانى انه اذا تراكم على بعضه البعض يرى فى العين كثيرا كما ترى النخالة فكان تشبيهه بها هو المناسب وهى مشتقة من النخل او المنخل او المنخال * قلت فى القاموس الازرق والناموس الابلق

اسم النخالة مشتق كما ذكروا * من منخل ونخيل ثم منخال

ونخالة الشعير اقوى نفعا لانها اذا نقعت فى الماء وسخنت بالنار وشربها من يشتكى وجع الصدر ابرأته باذن الله تعالى وقوله (يجرفوه) اى القمل والصيبان وتوابعهما المتقدمة (جريف) اصله جرفا لانه مصدر حذفت الفه وزيد فيه الياء لاجل الضرورة او انها لغة ريفية فلا اعتراض

وهو مشتق من الجرف او من الجرفة او الجرافة فان قيل كان حق الناظم
ان يرجع الضمير لاقرب مذكور وهي النخالة وكان هذا هو الاصف (قلنا)
لعله عدل عن تأنيث الضمير لضرورة النظم اذ لو فعل ذلك لاختل الوزن او يكون
من باب الترخيم كقوله (افاطم مهلاً بعض هذا التدلل * وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي)
او انه رجعه الى قشر البر والشعير المسميان بالنخالة فيكون على تقدير حذف المضاف
فلا اعتراض عليه (فان قيل ايضا) ان كلام الناظم يفهم منه ان القمل والصئبان
قد انحصر في طوق جبته فقط ولم يكن على بدنه منهما شئ واذا كان كذلك
فما فائدة الشكوى منهما (قلنا) يمكن الجواب بان يقال ان قوله في طوق جبتي
اي غالب القمل يتراكم ويصعد الى طوق جبته حتى يصير من كثرته يشبه النخالة
في الجرف ولا يلزم من هذه العبارة ان بقية جسده سالم منه بل اذا كان
في طوق جبته بهذا المقدار فيكون شئ منه في الجسد من باب اولى لان الجسد
محل معاشه وغذائه من مص دمه وشربا وساخه وانما القمل من شانه ان يبيح
اولا في الثياب ثم ينتشر على البدن يمتص الدم الفاسد وكل من شبع منه صعد
الى اعلى الثوب او الجسد فيمكث فيه ليستنشق الهواء ويرتاح كما ان الادمي
اذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلا فهذا دأبه كما جرت به العادة فاتضح الجواب
(فان قيل) لاي شئ لم يتعرض الناظم للشكوى من البق والنمل والبعوض
ولم يذكر شيئا منها مع ان لكل منها اذية وضرر شديد (فالجواب) عن هذا
السؤال من وجوه شتى الاول ان البق وان كان كثيرا كما في المثل ان البقة
تولد ميته وتقول يا قلة الذرية فانه في الغالب لا يهوى الا البلاد للذين
لعلو اماكنها وكثرة اخشابها وطليها بالجبس والجير لانه يعيش بها ويتولد
فيها وبلاد الارياف ليس فيها شئ من البناء العالي المكلف وان وجد في القرية
فيكون دارا لشادها او دارا للملتزم مثلا والناظم لا يتوصل اليها ولا يقيم
بها وانما بيوتهم غالبها من الكرس والوحل وربما كان فيها الجلة ايضا فلهذا
لا يعرفون البق ولا يرونه ولا يهوى اماكنهم (واما النمل) فانه وان كان موجودا
في بلاد الارياف لكنه لا يهوى الا المحل الذي فيه بعض الادهان كالسمن والزيت

ويهوى الشيء الحلو كالعسل والسكر فيأتي اليه ويشمه ويكون قوة الشم كما ذكره صاحب حياة الحيوان ومثله الكمون فان الوعد يغنيه عن سقي الماء قال الشاعر

لا تجعلوني ككمون بمزرعة ❊ ان فاته السقي اغنته المواعيد

والناظم لم ير للنمل اثراً في بيته لقلة ما فيه من الحلوى والادهان بل لعدمه بالكلية فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل الا في ثوب ولا موضع فكان منعه عنه بهذا السبب (واما البعوض) فانه وان كان موجوداً في بلاد الارياف لكنه يأتي اياماً ويذهب بخلاف القمل والصيبان فان اذاهما دائم مستمر في الثياب وغيرها كما تقدم والشيء اذا كان يؤذي قليلاً ويغيب كثيراً يكون وجوده كالعدم فكان هذا سبباً لترك الشكوى من الجميع فاتضح الجواب (فائدة) اذا انقع الحنظل في منقع الغزل نحو سبعة ايام ورش بها في المحل وهي حارة قتلت البق ولم يبق منه شيء واذا ظهر الفول في محل فيه البق اكله قال الشاعر

اكل البق الي ❊ جسمي ما حمل بقه ❊ جبت النمل ساعدني ❊ فاتحلي ولا بقه

واما النمل فيمنعه رائحة القطران ويمنع البعوض دخان النخاع (مسئلة هالية) ما الحكمة في ان الشخص اذا اكلته قملة او قرصه برغوث او شيء مما يؤذي يسري ذلك الاذى في سائر جسده ظاهراً وباطناً حتى يشمل الكبد والرئة والقلب ونحو ذلك مع ان القمل والبرغوث ونحوهما لا يتوصل الى باطن الجسد الا ان دخل من منفذ من المنافذ واذا دخله نادراً ربما مات في الحال قبل وصوله الى باطن الانسان وكثيراً ما يدخل البرغوث في اذنه فيمكث قليلاً في حركة واذية ويخرج بسرعة او يموت فيها ويجد ذلك (الجواب الفشري) ان يقال ان الجسم باطنه وظاهره في التألم على حد سواء لان الروح سارية فيه كسريان الماء في العود الاخضر فاذا حصل الاذى في ظاهره تألمت الروح وسرى الالم في جميع الجسد ظاهراً وباطناً واضرب لك مثالاً افشروياً وهو ان الشخص اذا حبس في خزانة صغيرة مثلاً وكانت لا تسع غيره وليس لها منفذ وطال سجنه فيها فان جسمه يضعف ويتغير وتعتريه الامراض ويتألم ظاهراً وباطناً خصوصاً اذا حصره البول وبال فيها حتى ملأها او ضرط فيها ايضاً

فتصعد تلك الروائح الى العلو فلا تجد لها مصرفا فتعود على لحيته وشواربه فتضره ضررا بليغا خصوصا صاحب اللحية الطويلة العريضة ما لم يكن عرضها ضرر طولها فيخفف الضرر او قل طولها فكذلك على كل من الحالتين فانكشف لك الحال عن وجه هذا الهبال * ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة اخرى ابتلى بها وهى فى الجملة اشد ضررا من القمل والصئبان لكونها من جهة الاقارب فقال

ص *(ولا ضرنى الا ابن عمى محيليه * يوم يجى الوجه على الله يحيف)*

ش قوله (ولا ضرنى) اى ضررا زائدا على ما تقدم (الا ابن عمى) اخو والدى وهو مشتق من العموم لان نفعه يعم اولاده واولاد اخيه لانه فى حكم الاب لهم اذا فقدوا والدهم ولهذا تسميه العرب ابا قال بعض المفسرين فى قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر ان المراد به عمه او من العمامة لعلوها ووضعها فوق الرأس حكم التاج كما فى الحديث العمائم تيجان العرب فكذلك العم له الرفعة على اولاد اخيه لكفالته اياهم وولايته عليهم وقوله (محيليه) تصغير محلبه وهى اناء يعمل من فخار احمر مجوف البطن محصور الرقبة لها اذن واحدة وتعمل باذنين ايضا اذا كانت كبيرة سميت بذلك لحلب اللبن فيها من باب تسمية الظرف باسم المظروف والحاصل ان الاوانى المعدة للحلب على اقسام محلبة ومحلاب وهو على ثلاثة اقسام صغير وكبير ومتوسط والمحلاب اطول من المحلبة واوسع منها فما واضيق بطنا قعره يشبه قعر القادوس صغير جدا وربع وهو اناء صغير يأخذ فى الكيل قدر ربع المحلبة وقرقوفه بفتح القاف وتشديد الراء المهملة وكسر القاف وسكون الهاء فى آخرها وهى تشبه المحلاب فى صغر القعر الا انها محصورة الرقبة واسعة البطن جدا مثل المحلبة ولها اذنان او اذن واحدة واكبر اوانى اللبن القسط وهو جرة كبيرة وهنا اناء آخر يقال له الكوز يباع به اللبن فى بلاد المدن كما شاهدنا ذلك وهو ثقيل فى الجرم قليل فى البركة ومحلبة على وزن دولبة ومحلاب على وزن دولاب وقسط على وزن قبط سمى بذلك لكونه مقسطا اما بالوزن او الكيل وربع على وزن سرع وكوز على وزن بوز لانه يشبه بوز البقرة او العجلة

في وسع فمه وهو مشتق من الكز وهو العض يقال كزت الارمل المحارث
اذا عضت عليه وكز الطفل على اصبعه اذا عضه هكذا رايته في القاموس الازرق
والناموس الابلق فالكوز اذا وضع فيه اللبن او الماء بقبق وتألم يشكو
ما ناله من الم النار وما قاساه من العناء حتى صار فخارا قال الشاعر

ما بقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان القياس الغطيسي من هذا القبيل فهذه الاواني معروفة عند اهل الريف
هي وغيرها ومنها الزير والتمنة وغير ذلك (فان قيل) ان المحلبة والمطلا
ونحوهما كالقسط والربع والكوز تقدم تعريفا سماتها واشتقاق بعضها
فما معنى القروفة وما اصل وضع هذا اللفظ الغريب على هذا الاناء وما مناسبة
ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه الاول ان هذا الاناء عمل في زمن القر
بكسر القاف وجزم الراء وهو شدة البرد ثم انهم وفوا خرقه في زمن الصيف
فصار يقال قروفة اى هذا الاناء وفى حرقه وتم امره ثم انهم حركوا الراء
من قر مع ضمها مشددة وجعلوا مجموع هذه الحروف علما عليه وقالوا قروفة
فصار مركبا من اسم وفعل الثاني انه لما اتى به وهو جديد ووضعه الحلاب
بين رجليه وحلب فيه اللبن فصار يفور ويحصل منه رغوة كثيرة فخاف
الحلاب من سيلان اللبن خارج الاناء فصار ينادى اللبن قر فيه قر فيه
اى اسكن فيه واستقر ثم زادوا في هذا اللفظ واوا بين فصل الامر والجار
والمجرور وحذفوا الياء المثناة من تحت لثقلها في اللفظ وحركوا الواو
وقالوا قروفة فسمي بذلك الثالث ان طينته في الاصل اخذت من محل
قريب من قرافة مصر فصاروا يقولون اناء قرافي ثم انهم اشتقوا له
هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قروفة الرابع انه مشتق من القرفة بكسر القاف
وهو نوع من البهار زكى الطعم والرائحة يدخل في الاطعمة الفاخرة والمآكل
النفيسة وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى
لبنا خالصا سائغا للشاربين ثم زادوا فيه واوا وجعلوه علما عليه الخامس
ان الاسماء لا تعلل فلا يحتاج الى هذه الابحاث القشرية وهذه الخرافات الجبالية

فأتضح الجواب وبان الصواب * وأما سبب تسمية ابن عم الناظم بهذا الاسم
فعلى اقوال احدها ان امه لما وضعته سمعت انسانا يقول لآخر هات المحلبة
فسمته بذلك تفاؤلا بهذا اللفظ وصغرته لكون الولد صغيرا الثانى
ان امه اتت بولد قبله وسمته محلاب فمات ثم ولدته وكرهت ان تسميه
باسم اخيه فانثت اللفظ وصغرته وقالت محيلبه واشتهر بذلك الثالث
ان امه لما ولدته زارها انسان بمحلبة جديدة ساعة ولادته فتفاءلت بذلك
وقالت محيلبه فهذا ما ظهر لى من هذه المباحث القشرويه والخرافات الهباليه *
وقوله (يوم) بالتنوين وخفض الميم لضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار
المضيء المشرق بسبب اضاءة الشمس الذى يصام شرعا كما لا يخفى وقوله (يجى)
من المجىء وهو الحضور (الوجبه) ووقت مجيئها وحضورها بمجرد طلوع
المشد او الملتزم او النصرانى الى الكفر او البلد فتوزع على الفلاحين بحسب
ما يخصهم فى الارض من القراريط والفدن ونحو ذلك فمنهم من يكون عليه
فى الشهر يوم ومنهم من يفعلها فى كل جمعة مرة ومنهم من يجعلها فى كل ثلاثة
ايام وهكذا بحسب كثرة الفلاحين وقلتهم وحسب زيادة الارض ونقصها
فلا بد منها فى كل يوم مدة الاقامة فيقوم الرجل بكلفة المشد والنصرانى
ان كان حاضرا وجميع من يكون من طائفة الملتزم ويلتزم باكلهم وشربهم
وجميع ما يحتاجون اليه من عليق دوابهم وما يتمنونه عليه من الماكل
من اللحم والدجاج ولو كان فقيرا الزموه بذلك قهرا عليه والا حبسه المشد
وضربه ضربا موجعا وربما هرب من قلة شيء يصنعه فيرسل المشد الى
اولاده وزوجته ويهددهم ويطلب منهم ذلك فربما رهنت المرأة
شيئا من مصاغها او ملبوسها على دراهم واخذت بها الدجاج او اللحم واطعمتهم
وحرمت اولادها من الاكل منه خوفا على نفسها من انه لا يكفيهم مثلا
وقد يربى الفلاح الدجاج فلا ياكل منه شيئا ويحرم نفسه وعياله من خوفه
من الضرب والحبس ومثل الدجاج السمن والدقيق فيبقيه لاجل هذه البلية
ويطبخ بالشيرج وياكل الخبز الشعير ويصنع لهم القمح الزريع وياكل الجبن

القريش المالح ويتكلف شراء الجبن الطري الحلو ويرسله في الوجبة كل ذلك خوفا على نفسه من هذه الامور وسميت وجبة لكونها صارت على الفلاحين في حكم الامر الواجب عليهم للملتزمين فلا بد من فعلها للمشد بالقرية او النصرا او الملتزم اذا حضر كما تقدم بيانه واذا اسقطها بعض الملتزمين جعل في مقابلتها شيأ معلوما من الدراهم واضافه الى المال ويلزمهم بدفعه الى المشد بالقرية توخذ منهم كل عام فهي من انواع الظلم والاكل منها حرام ما لم تكن من الفلاحين عن طيب نفس وانشراح صدر بحيث ان الملتزم يرضيهم بشيء من الارض وغيرها في مقابلة ذلك وبعض الملتزمين يتعفف عنها بالكلية ولا يجعل عليهم شيأ لا للمشد ولا لغيره الا اذا تبرعوا بشيء من عند انفسهم فعلى هذا لا تكون حراما ويحل الاكل منها ومثل الوجبة غرامة البطالين واستخدامهم بغير اجرة ما لم يكن عن رضاء منهم في مقابل السكنى وترك الزرع ونحوه فكل ما كان فيه اضرار للناس فهو حرام قال الشاعر

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا اذنبت من باس

الا اثنتان فلا تقربهما ابدا * الشرك بالله والاضرار بالناس

فان قيل ان الامير او غيره اذا التزم بقرية وجد في دفاتر من التزم بها قبله الوجبة وغرامة البطالين وغير ذلك مما هو من انواع الظلم فيجعل ذلك على اهلها بحكم الحوادث السابقة كما جرت به العادة فهل يكون الاثم عليه او على من احدث هذا قبله او عليهما معا الجواب ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اي من اتى بشيء لم يكن موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة فهو رد اي مردود ومعناه باطل لا يقتدى به وفيه بيان على انه لا فرق بين ان يكون احدثه بنفسه او سبقه غيره فالاثم على كل من فعله او امر بفعله اذ كل فعل لم يكن على امر الشارع ففاعله آثم لقوله صلى الله عليه وسلم من احدث حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله وفيما تناوله الحديث رد على ذوي العقول الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع فاتضح الجواب وبان الصواب * وفي قوله (بحق الوجبة)

نوع من انواع البديع يسمى التوزيع وهو أن يوزع الشاعر حرفا من حروف
الهجاء فى كل كلمة من الفاظ البيت او غالبه كقول الصفى الحلى رحمه الله فى بديعيته

محمد المصطفى المختار من ختمت * بمجده مرسل الرحمن للأمم

فانه كرر حرف الميم فى جميع كلمات البيت والناظم حكم له حرف الجيم فى كلمتين فقط
ويقرب من هذا المعنى ما اتفق ان رجلا قلاء سمك كان يهوى امرأة جميلة وكان
له غلام صغير فى غاية من الحذق والفصاحة فارسله يوما اليها ليأتى بها اليه
فذهب الغلام حتى أتى محلها واخبرها ان معلمه يريدها فامتثلت الامر
وارادت الذهاب معه فحضر زوجها فى ذلك الوقت فتنكر الغلام ومضى
ولم يشعر به أحد حتى أتى الى معلمه فرآه يقلى السمك على جارى عادته والعالم
حوله يطلبون منه السمك المقلى فابتدره بكلام مقفى موزون يفهمه فيه
القضية ويعمى فيه على الحاضرين فقال له يا معلمى فق لى من ذا السمك فاقلى
جاءت تجى فجا ولم يجى لجت ولكن ترتجى لما يروح تجى وتفسير هذه الكلمات
ان قوله يا معلمى فق لى اى تنبه لقولى واستمع له وافهمه من ذا السمك فاقلى
أتى بهذا الكلام لتوهم الحاضرين أنه يريد شيئا من السمك او انه يطلب منه
سرعة قليه وبين قوله فق لى وفاقلى الجناس المحرف المزيد وقوله جاءت تجى اى
ارادت المجىء وامتثلت الامر فجا اى زوجها فى وقت أن ارادت الذهاب
ثم قال لو لم يجى اى زوجها لجت اصله لجاءت سهله للضرورة اى لحضرت
اليك ولم تخالف امرك ثم استدرك الكلام بقوله ولكن ترتجى اى حضورها
من الرجاء وهو حصول الشىء على وفق ارادة الطالب لما يروح زوجها ويخلو
مكانها تجىء اليك ويحصل المطلوب والشاهد فى قوله جاءت تجى فجا الخ
فانه كرر حرف الجيم فى كل كلمة كما لا يخفى فان قيل ان النصارى اذا نزل قرية
لقبض المال يحضر اليه الفلاحون ويكرمونه ويرسلون له الاوجبة ويتذللون
بين يديه ويطيعون أمره ونهيه بل يكون غالبهم فى خدمته هل هذا حرام
عليهم لتعظيمهم له وهل يكونون آثمين بذلك ام كيف الحال قلنا الحق
ان خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع له والتذلل بين يديه

ويكون الفاعل آثماً بذلك ما لم يخف منه ضرراً أو أذية بأن يكون حاكماً
عليه ومتولياً أمره واضطر اليه في امر كقباض للمال من النصارى في بلاد الارياف
وغيرهم فانهم ما كانوا هذا الامر بل ان بعض الملتزمين يولي النصراني
امر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغير ذلك فلا يأتيه الفلاح الا
وهو يرتعد من شدة الخوف كما اتفق في زمن الاستاذ العارف بالله تعالى
الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد نفعنا الله به ان السلطان ولى شخصاً من النصارى
على اقليم مصر كله يقبض ماله فكان ينزل الى الاقليم في موكب عظيم من الخدم
والحشم ويمر على البلاد يقبض اموالها وهو راكب على فرسه ولا ينزل الا لضرورة
الاكل او المبيت من شدة اذيته وقوة ضرره وكان لفرسه ركاب من الفولاذ
مطلي بالذهب وقد جعل فيه سفوتين من الحديد خارجين الى الخلاء
قدراً يسيراً ثم يرسل خلف الرجل فلا يأتيه الا وهو يرتعد من شدة الخوف
فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام القبيح ويقول له
ادفع ما عليك من المال في هذه الساعة فان اجاب واحضر المال في وقته كان
والا ضربه بتلك السفوتين فيجرحه او يخرق احشاءه فيموت وكان هذا
دأبه مع المسلمين لعنة الله عليه فاتفق انه طلع الى قرية الشيخ ابن دقيق العيد
رحمه الله وارسل خلف رجل من اتباعه كان عليه بقية مال من خراج ارض يزرعها
فلما حضر اليه قال له ادفع ما عليك فقال له الرجل امهلني بقية هذا اليوم
فاغلظ عليه واراد ان يحرك الركاب ويضربه بتلك السفافيت يقتله
فولى هارباً والنصراني يتبعه على الاثر الى ان القى بنفسه بين يدي الشيخ
وهو يحرق في قمين جير لانها كانت صنعة الشيخ في ابتداء امره فقال له ما الخبر
فقص عليه الامر فلم يشعر الا والنصراني واقف على رأسه فقال له الشيخ امهله
بقية النهار فاغلظ على الشيخ بالكلام فاخذ الشيخ الغضب والغيرة على المسلمين
وقام اليه وجذبه من اطواقه فبقي في يده كالعصفور وقال له يا ملعون الابعد
طال عمرك وساء عملك وقد اشتد على المسلمين ضررك والآن قد زال
اسمك وانمحى رسمك ثم اتكا عليه حتى قصف ظهره والقاه في قمين الجير فاحترق

ثم نظر الى جماعته نظرة الغضب فالقى الله الرعب فى قلوبهم فولوا الادبار حتى وصلوا الى السلطان واخبروه بالقضية فاشتد به الغضب وارسل خلف الشيخ فساروا اليه حتى طلع الديوان فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصرانى فقال له الشيخ وانت ما حملك على توليته على المسلمين وتأثره باذيتهم فزاد به الغيظ واراد ان يبطش بالشيخ فاشار الشيخ الى الكرسى الذى هو جالس عليه فتحرك من تحته فانكب الى الارض مغشيا عليه وصار للكرسى دوران وطنين فى القلعة ودوى كالرعد القاصف وهاجت العساكر فى بعضها البعض وارتجت القلعة بمن فيها من الجند والاعوان فصاحوا الامان الامان فاشار الشيخ بيده فرجع كل شئ الى حاله ثم اشار الى الملك فصحا من غشوته فلما افاق قبل يديه وقال له العفو يا سيدى تمن على بما تريد فقال له انا لا اريد منك شيئا غير انك لا تول احدا من النصارى على المسلمين ولا على امورهم والا هلكت فقال له السمع والطاعة ثم ان الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والتبجيل وصار الى قريته ولم يزل هذا الامر منقطعا زمانا لا يتولى احد من النصارى امر المسلمين فى قبض مال ولا غيره الى ان احتاج اليهم الحكام لحذقهم وصحة عقولهم فى الحساب فولوهم هذا الامر الى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطب حتى تصرف الفريقان فى الاموال والارواح ولله در القائل

لعن النصارى واليهود جميعهم * نالوا بمكرهم الامانى

جعلوا اطباء وحسابا لكى * يتقاسموا الارواح والاموالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم اذا خشى على نفسه او عياله ضررا منهم فى امر دينى او دنيوى يتوقف على ذلك وقد اضطر اليه فلا بأس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوتب سيدى عبد العزيز الديرينى نفعنا الله به فى تردده على نصرانى بلدته فقال

يلوموننى فى عشرة القبط خلتى * فوالله طول الدهر ما حبهم قلبى

ولكننى صياد رزقى بارضهم * ولا بد للصياد من صحبة الكلب

واما اذا خالطهم الانسان بالمحبة والصحبة لا لغرض دنيوى قد اضطر اليه ولا لخوف

ضرر منهم فربما دخل في ضمن قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وفي ضمن قوله صلى الله عليه وسلم من احب قوما حشر معهم وقوله (على) بتشديد الياء يريد نفسه لا غيره (يحيف) اي يميل علي ويظلمني ويكلفني ما لا اطيق فكان عليه هذا الضرر اشد من غيره الذي هو اذية النمل والصبيا ونحوهما كما تقدم لكونه ناشئا من الاقارب قال الشاعر

اقاربك العقارب فاجتنبهم * ولا تركن الى عم وخال
فكم عم اتاك الغم منه * وكم خال من الخيرات خال

فانظر الى هذا الشاعر اللبيب كيف اتى بالعم والخال وصحف الاول بالغم واستخدم لفظ الثاني في كونه خاليا من الخيرات وحكم فيه الجنا وتورية اللفظ وقال بعضهم عداوة الاهل ذوي القرابه * كالنار يوم الريح سلطانه

وقال علي كرم الله وجهه العداوة في الاهل والحسد في الجيران والمودة في الاخوان واصل عداوة الاهل من قصة قابيل لما قتل اخاه هابيل فصارت العداوة بين الاخوة والاقارب الى زماننا هذا ومنشأ هذا كله الحسد فالحسود لا يسود وفي الحديث لا حسد الا في اثنين رجلا اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير ورجل اتاه الله علما فهو يعلمه الناس وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

ان يحسدوني فاني غير لائمهم * قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم * ومات اكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر لا مات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك ما يكمدهم
ولا خلاك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسد) ثم ان الناظم انتقل من شكوى ابن عمه بحليلته الى شكواه من ابن اخيه خنافر لكونه اشأم منه واضر عليه من ابن عمه فقال

*(واشأم منه ابن اخوه خنافر * يقرط على بعضي بجلبة ليف)*

قوله (واشأم) من الشؤم او من التشيمة واصله اشأم على وزن ابلم او افطم وفي المثل اشأم من طويس ويقال فلان مشؤم وذو تشيمة اي عنده قوة وتجبر وشدة ضرر على الناس وسمي الخشب شوما لقوته وصلابته والعرب تهجو بالشؤم واللؤم * قيل بنى جعفر البرمكي قصرا بديعا وزخرفه بانواع الحرير وغير ذلك وجلس فيه اياما

فبينما هو ينظر يوما من شباك له اذ نظر الى اعرابي يكتب على جدار بيتين من الشعر وهما * يا قصر جعفر حل الشوم واللوم * حتى يعشش في اركانك البوم
اذا يعشش ذاك البوم من فرحي * اكون اول من ينعاك مرغوم
فقال علي بهذا الاعرابي فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وما سبب دعائك على قصرنا بالخراب فقال له حملني على ذلك الفقر والفاقة وصبية خرجتها كافراخ القطا يتعاوون من الم الجوع وجئت لاستمطر احسانك وادعو لك فمكثت شهرا على باب هذا القصر لا امكن من الدخول اليك فلما يئست دعوت عليه بالخراب وقلت ما دام عامرا لا ينفدني منه شيء فاذا خرب ربما امر به فآخذ منه خشبة اوشيئا من زخارفه فانتفع قال فتبسم جعفر وقال اعدم علمنا بك قد طال وقوفك واضر بعيالك اعطوه الف دينار لقصده ايانا والف دينار لطول مكثه على باب دارنا والف دينار لصبيته خلفها كافراخ القطا والف دينار لدعائه على قصرنا بالخراب والف دينار لحلمنا عليه فاخذ الاعرابي الخمسة الاف دينار وعاد شاكرا وقوله (منه) بتشديد النون لضرورة النظم اي اشد واقوى منه في الضرر والظلم الى (ابن اخوه) اي اخو محيلبه شقيقه وكان الاولى جره على الاضافة ولكن لم يساعده لسانا على هذا الوضع لكونه من اهل الريف وايضا يختل الوزن ثم بين اسمه بقوله (خنافر) مشتق من الخنفرة على وزن الزخرفة او البزرة يقال رقد فلان وخنفر يعني انه رد النفس في حلقه واخرجه من خياشيمه حتى صار نفسا عاليا بخنفرة وبزرة قال الشاعر وخنفر عند النوم من خرشومه * فصار بهذا الاسم يدعى خنافرا وسمي بذلك لكثرة خنفرته عند النوم ومصدره خنفر يخنفر خنفرة فهو خنفور على وزن خنشور وخنافر على وزن عباير واحدتها عبورة واما اخوه فاسمه قادوس على وزن بعبوص وقادوس هذا خلف ولدين محيلبه وقساقل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمه وابن اخي ابن عمه ثم بين الضرر الحاصل منه بقوله (يقرط) بضم المثناة من تحت على وزن يضرط ويضرط فيها الغتات قال الشاعر ففيها ضرط الواشي جمعا * فصار ضراطهم فيها يفوح

وهو هنا بمعنى التقريط بالحبل بشدة وقوة واما القرط بفتح القاف وجزم
الراء فهو قرط الزرع وهو اخذ سنبله وابقاء اصله في ارضه يقال فلان
قرط زرع فلان وبضم القاف اسم لحلقة صغيرة من لجين او فضة تجعل في
اذن الصبي وهي ممدوحة خصوصًا للولد الجميل فانها تزين حسنًا وتكسوه حلاوة
قال ابو نواس في مطلع قصيدة له ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة في درة بيضاء
اي ان هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذي زانه هذا القرط واتصف به
صار يسعى على الندماء وبيده خمرة تشبه العقيقة في لونها وهي في كاس يشبه
الدرة البيضاء من صفاء جوهره ولطف ذاته ويسقيهم مما في يده ويدير
عليهم المدام ويلاطفهم برشاقة القد وحسن الكلام الى اخر ما قال وقوله
(على بيضى) اي بيض الناظم لا بيض المتكلم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور
ونحو ذلك وسمي بيضًا لشبهه بالبيض اذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتق من
البياض او من ابو بيض حيوان يشبه العنكبوت او من بيضة القبان
(مسئلة هبالية) ما الحكمة في تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصى
لهما في الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك (الجواب القشروى) هو ان الخصيتين
واحدتهما خصية بكسر الخاء المعجمة وكذلك مثنى الخصا خصوان واحدهما خصا
فاذا اخذت الخصا مثلًا واضفت اليه آخر صرت آخذًا خصوين بلا اختلاف
فافهم ذلك وقد يقال له خصو بالواو بدل الالف المقصورة وهو اسم الزب
فاذا قعدت عليه فهمت لذة الكلام وهو في حكم الاب للخصيتين لانه لا يفارقهما
وهما في حكم البنتين له فاشتق من اسم الاصل اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه
ولهذا ان الخصيتين دائمًا في مقام الخضوع للذكر وهو في مقام الرفعة عليهما
وهما في مقام التدلي وهو في مقام الترقي وهما ايضًا في مقام الاضافة وهو
في مقام الرفع والنصب وايضًا له قوة في فتح الابواب المغلقة وهدم الحصون
وقرع القبب المسطحة وهما واقفان على الباب تادبًا معه وهذا من علامة
الزب والذكر كما اتفق ان بعض الشعراء قصد ملكًا يستمطر احسانه
فرآه في البستان فوقف على الباب واراد الدخول فمنعه الحارس فنظر خلف حائط

البستان فرأى جدول ماء يجري وينتهي الى محل تحت الحائط ينصب في فسقية
كبيرة ورأى الملك جالسا عليها فأخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت

الناس كلهم كالأير قد دخلوا * والعبد مثل الخصا واقف على الباب

ثم طواها ووضعها في قصبة فارسية وسد عليها بشمع وألقاها في الجدول
فأخذها الماء حتى ألقاها بين يدي الملك فتناولها وفك ختامها وأخرج
الورقة فلما قرأ البيت تبسم وناداه ادخل يا خصا فقال الشاعر أدام الله الملك
ما هذا الا عن وسخ عظيم فأعجبه كلامه وأنعم عليه وارتد شاكرا قلت
وبذكر مصادفة هذه الألفاظ ذكرت ما اتفق أن السلطان قانصوه الغوري
رحمه الله غضب على انسان وأراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل عليه ثلاثة
آلاف دينار ونزل من عند الملك ليأتي بها فلقيه رجل من أصدقائه وهو
على سلم الديوان فقال له بلغني أن الملك عمل عليك ألف دينار فقال لا على
الطلاق ثلاثة قال فلما سمع الملك وقوع هذه الكلمة منه واستخدامها في
معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه من الثلاثة الآلاف دينار وأنعم عليه
ومضى الى حال سبيله * وقد يطلق لفظ الخصا على الذكر أيضا ويسمى الدلدول
والذنب والزب والاير والعرمول وغير ذلك لكن أشهر أسمائه خمسة
وقد ذكرتها في رسالتي رياض الأنس فيما جرى بين الزب والكس وهي

لي عندهم أسماء حقا تذكر * اير وزب دلدل وذكر
وخامس الأسماء أدعى بالخصا * اذا غضبت خلتني كما العصا

ويلقب بالأعور والأفطس والسداد والمداد وهادم الحصون وفاتح البروج *
ويكنى أبو الحلاوات وأبو الصدمات وأبو الهيادع وأبو الزلازل ونحو ذلك وإذا
أطلق الانسان عنانه وأطاع هواه ألقاه في أشد العنا قال ابن عروس رحمه الله تعالى

الناس في الدنيا هو * والأجواد شاحنتنا هما
ما ضرني غير بطني * والمهدلي حذاها

وقد تشبه الخصيتين بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين

يا رب زول عمنا يا ربنا * يا رب أهلك شيخنا الأدربا
كأنما خصيتاه اذ كبا * دجاجتان يلقطان حبا

فالخصا بالضم والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين وكذلك بإبدال الألف واوا
كما تقدم ويكون من باب تسمية الشيء بما جاوره وخصيتان على وزن ضرطتين او شحتين

فيكون فيها الضرطة والشخة بيقين واشتقاقهما من الخص بضم الخاء المعجمة
او من قرية تسمى الخسوا او من قولهم للكلب اخص مثلاً ومصدرها خصا يخصو خصاء
قال الشاعر خصا يخصو مصادر خصيتين * خصاء صح فى نظر الطنينى
انتهى الجواب عن هذه المباحث القشروية والاشكالات الهبالية (وقوله (بحلبة ليف)
اى ربطة قوية دائرة على بعضه مرتين بحبل مفتول من ليف النخل سمى بذلك
لكونه ملتفا على اصول الجريد وسميت هذه الربطة بالخلبة لكونها تخلب على
الشئ فلا ينفك منها الا بعسر وفى اصطلاح الرعيان انهم اذا ارادوا ربط شئ
بمكنة يقولون اخلب عليه خلبة الوتد اى لف عليه الحبل مرتين واربطه ربطة
قوية حتى لا ينفك منه وهى مشتقة من خلب الزرع او من مخالب الطير او من البرق
الخلب بضم الخاء المعجمة وتشديد اللام وهو الذى لا مطر فيه قال ابن العربى نفعنا الله به

كل الذى يرجو نوالك امطروا * ما كان برقك خلبا الا معى

ثم ان الناظم ذكر السبب الحامل لحدوث شيبه قبل اوانه فقال

ص * (ومن نزلة اه اف شابت عوارضى * وصارة لى لوعة ورجيف) *

قوله (ومن نزلة) النزلة واحدة النزول وتطلق على الجماعة الكثيرة اذا نزلوا
فى محل واستمروا فيه زمنا كما يقال نزلة بنى فلان ونزلة العرب ونزلة الغوازى
ومن هذا القرية المعروفة بالنزلة واما النزول فمعناه نزل الشئ من الاعلى
الى الاسفل وضده الصعود وهو الترقى من الادنى الى الاعلى يقال صعد الى
اعلى الجبل ونزل الى ادنى الارض قال امرؤ القيس يصف فرسا شجاعا

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من على

وقوله (الكشاف) جمع كاشف واتصف بهذه الصفة لانه يكشف عن الاقليم
المتولى عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والظلم ويسد النهود ويمكن الجسور
ويزيل اللصوص وكان هذا عادة كل كاشف تولى فى قديم الزمان سيرة حسنة
ويمر على البلاد واذا اقبل على قرية يقرع الطبل فيخاف منه اهل البدع وارباب المفاسد
ويرحلوا هاربين خوفا منه وربما وقعوا فى يده فيعاقبهم بما يستحقونه من
قتل وحبس او ضرب او اخذ دراهم ثم ينزل على القرية اذا كان له عليها عادة بالنزول

ويأكل

وتأتي اليه مشايخها ويقفون بين يديه في اشد ما يكون من الرعب والخوف
ويستخبرهم عن احوالهم ويسألهم عن ارباب المفاسد واصحاب البدع ويلزمهم
بالقبض عليهم اذا لم يكونوا في القرية ثم بعد ذلك يشرعون له في الاكل والشرب
والتقاديم على ما جرت به العادة واذا وقع في قرية فتنة فيما بينهم او قتل او خروج
عن طاعة استاذهم او قائم مقام القرية هجم عليهم بأمر الوزير واخرب القرية
وقتل منهم من يستحق القتل وازال العصاة والجبابرة فعلى كل حال وجوده على
الاقليم رحمة وسيره كشف غمة مالم يحصل منه ومن عسكره واتباعه الضرر
على الناس من نهب متاعهم وأذيتهم وتكلفهم في المأكل والمشرب فوق طاقتهم
والا فيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب رده لأربابه الا ان سمحت
نفوسهم بذلك فلا بأس وقوله الكشاف لم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف
تقديره الخ ومن تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لي منه من الرعب
والخوف من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول
ورجفان القلب من رؤية العسكر والمقدمين والبلاصية وخوفي من هذا الامر
ان ينالني منه ضرر (شابت عوارضي) لضعفي عن مقابلة الكشاف وعجزي عن
شيء يأخذونه مني من داري من جملة المطلوب او غير ذلك فمن هنا ترتجع الاعضاء
وترجف الجوارح وينبت الشيب في غير اوانه * والشيب كرامة من الله تعالى لعبده
اكرمه به واول من شاب ابراهيم الخليل عليه السلام شاب نصف لحيته فقال يارب
ما هذا فقال هذا وقار لك في الدنيا ونور لك في الآخرة فقال يارب زدني
من هذا الوقار فأصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفي الحديث ان الله يستحي ان
يعذب شيبة شابت في الاسلام وللشيب فضائل كثيرة منها انه وقار للشخص
كما تقدم وهيبة له ويذكره قرب حمامه لانه نذير الموت قال بعضهم

اذا اسود جلد المرء وابيض شعره * وطال عليه نوبه من امامه
وقارب عند المشي في خطواته * هنالك بشره بقرب حمامه

وقال آخر وأجاد

تبسم الشيب بوجه الفتى * اوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه) وفي هذين البيتين الطباق اللفظي كما لا يخفى

والشيب مذموم عند النساء قال هرون الرشيد لزوجته ما تحبين من الرجال فقالت من خده كخدي وايره كزندي قال فاذا التحا قالت يطرق الحدقة ويعجل بالنفقة قال فاذا شاب فقالت يصبر على الخنا او يبادر بالطلاق فهو عندهن مذموم * وصاحبه من انس الغانيات محروم * خصوصا اذا قل ماله وساء حاله قال بعضهم

سلوني عن حال النساء فانني * خبير باحوال النساء طبيب
اذا ابيض شعر المرء او قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

فكيف بمن فيه النوعان الشيب والفقر فهو عندهن وجوده كالعدم * وقال القاضي الفاضل رحمه الله

تعجبت حين راح سعدى * من بعد نضو الخضاب حالي
قالت هذا الكدر اراه * غبار طاحونة بدالي * فقلت لا تعجبي فهذا * غبار طاحونة الليالي

اي انها تكدرت لما رأت هذا الشيب المشبه لغبار الطاحونة قد لاح على وجهه وغير لحيته وتعجبت من حدوثه بسرعة وتعجبها منه يقتضي تكدر صدرها وطي بساط انسها فاجابها بقوله لا تعجبي من اسراع ظهوره فان عجائب الليالي واستنتاجها المصائب المشبهة عند دورانها بالطاحونة اظهرت هذا الغبار الذي ترينه فلا تلومي واصبري على ما بليت به * وبعضهم شبه حدوث الشيب في لحيته بالطائر المعروف بالنسر لبياضه وشبه بقيتها في السواد بابن داية وهو الغراب الاسود فقال

ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش في وكريه فضاق له صدري

ومنهم من شبه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله في السواد كاشتعال النار في الحطب الغليظ اليابس وقال ابن دريد رحمه الله في اول قصيدته

يا ظبية اشبه شيء بالمها * ترعى الخزامى بين اشجار النقا
اما ترى راسي حاكى لونه * طرة صبح تحت اذيال الدجى
واشتعل المبيض في مسوده * مثل اشتعال النار في جزل الغضا
فكان كالليل البهيم حل في * ارجائه ضوء صباح فانجلا

والتشبيه للشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتق من الشيبة التي تباع عند العطار لبياضها ورقة عروقها واشتباكها كاشتباك الشعر بعضه ببعض ولهذا يقال داوا في الشيبة نجاسة مثلا ومصدره شاب يشيب شيبا وذكر الشيب في العارضين اولا يدل على انه كان من الاماثل والكرماء

لأن اول ما يشيب من الكرام العارضان ومن اللئام العنفقة قال الشاعر

فشيب الكرام من العارضين * وشيب اللئام من العنفقه
وشيب الرؤس بما في النفو * س وشيب الصدور من الزندقه

وقصره المشيب في عارضيه ليس على بابه وانما كان ابتداؤه في عارضيه
ثم جرى في بقية لحيته بيقين فذكر الاصل والفرع تابع له * واما الحاقه
تاء التأنيث في الفعل فهو جرى على لغة الريافة والناظم منهم وايضا لو قال
شابا عارضي او شابوا عوارضي لاختل الوزن فراعى لغته ووزن الكلام
(مسئلة هبالية) لاى شئ قال ومن نزلة الكشاف ولم يقل ومن نزولهم
لئلا يتوهم سامع بليد الطبع انها النزلة التي تعترى الانسان من حصول برد
يحصل به فينزل في رأسه ويتولد منها العطاس والاذى وغير ذلك
ودواءها ان تدهن الجبهة ببياض البيض ممزوجا بالمصطكى فانه يخفف
ذلك وما الحكمة في انه اتى بعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما
وليس بينه وبينهما مناسبة وكان حقه ان يأتي بالشاربين والعنفقة كقول الشاعر

شواربك والعنفقة * في طيز كلبة مطلقه * والحس خراها بلحيتكم ومزمزه بالملعقه

قلنا الجواب القشرى ان النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول
والعجول جماعة فاكتفى بالاقل عن الاكثر وايضا الانثى الطف من الذكر في الذات
والصفات وان كان الذكر اشرف وايضا الفلاح عنده العجلة او البقرة
اكثر نفعا من العجل والثور فيعلم من هذا ان الناظم كان يهوى الاناث دون الذكور
بخلاف مذهبنا نحن معاشر الفقها فانا على حد قول ابي نواس رحمه الله

عجبت لمن يزني وفي الناس امرد * اليس ركوب العجل في الحرب اجود

واما ذكر القلب مع العارضين فانما هو تغاير في اللفظ والمعنى واحد
من حيثية ان الروح سارية في الجسد كله فاذا اهتم القلب وتعسر ذلك
في الجسد ونشا الشيب منه فيكون على معنى ما قارب الشئ يعطى حكمه او على
حد قولهم شاب القلب فيكون شيبا معنويا فلا اعتراض فاتضح الاشكال
عن وجه هذا الهبال * والعارض مشتق من العارضة التي تلف على الرأس

اومن عارضة الباب اومن العروض الذى يعترى الانسان من لمس الجن
اومن العارض الذى يأتى بالمطر اومن عارض الجبل قال بعضهم
قف بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض
اوانه سمى بذلك لتعرضه فى الوجه ومصدره عرض يعرض عرضا فهو عارض
وقوله (وصار) على وزن فاد من الصيرورة اومن صارى المركب اومن الصرة
التى تنقل فى كل عام الى الحرمين (لقلبى) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما
لا يخفى على صاحب العقل القشرى وقوله (لوعة) وهى شدة حرارة القلب
وتلهفه من الم العشق او الخوف او بعد المحبوب ونحوه كما قلت فى معنى ذلك
آواه واحر يا من لوعتى وكفى * انى كايد زفرات باشجان
وقوله (ورجيف) على وزن رغيف اى رجفان لا يسكن المه ولا يهدى
تحركه من شدة ما نالنى من رعب نزول الكشاف وخوفى منهم كما تقدم
ومصدره رجف يرجف رجفا مثل غرف يغرف غرفا ثم ان الناظم شرع
فى ذكر مصيبة اخرى ابتلى بها هو واخوانه الفلاحين وهى اشد عليهم من الامور المهمة فقال

ص * (ويوم يجى الديوان تبطل مفاصلى * واهرى على حوفى من التخويف) *

ش قوله (ويوم) بالتنوين (يجى) وقت قبض مال (الديوان) وهذا من باب
واسأل القرية اى اهلها وهو ان النصرانى اذا حضر الى القرية او الكفر
ونزل بالبال على الفلاحين حكم الخوالى والقوانين التى جرت بها العادة
وشرع فى اخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب لمن لا يقدر على غلاق المال
فمن الفلاحين من يقترض الدراهم بزيادة او يأخذ على زرعه الى اوان طلوعه
بناقص عن بيعه فى ذلك الزمن او يبيع بهيمته التى تحلب على عياله او يأخذ
مصاغ زوجته يرهنه او يتصرف فيه بالبيع ولو قهرا عليها ويدفع الثمن
للنصرانى او لمن هو متولى قبض المال وان لم يجد شيأ ولا يرى من يعطيه
وخشى الملتزم او المشد من خرابه من البلد اخذ ولده رهينة عنه حتى يغلق المال
او يأخذ اخاه ان لم يكن له ولد او احد من اقاربه او يوضع فى الحبس للضرب
والعقوبة حتى تنفذ فيه احكام الله تعالى ومنهم من ينجو بنفسه فيهرب تحت ليله

فلا

فلا يعود الى بلده قط ويترك اهله ووطنه من هم المال وضيق المعيشة
كما قال بعضهم قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن
فاجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن * هم المعيشة فرقت * بين الاحبة والوطن
فلا بد على كل حال من تعليق المال ولو حصل من ذلك الهم والنكال كما
في المثل الذي اشتهر وعم مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم وما دام على
الفلاح شيء من المال فهو في هم شديد ويوم السداد عند الفلاح عيد والحاصل
ان الفلاح على قسمين قسم ناجح ناجب وقسم خائن خائب * فاما الاول
فهو صاحب عقل وسياسه وحسن تصرف ورياسه وعقله رزين ملازم
للصلاة والدين والزرع والغيط تارك للسندة جنب الحيط له على جماعته
الحماسه متجنب الرذالة والخساسه يباشر الزرع ويقف عند الحصد والقلع
ولا يتكل على خولي ولا مرابع ولا يركن لنوار ولا مزارع بل يباشر الامور كلها
ويعرف عرضها وعللها ويلازم المشد والاستاد ولا يسعى في خراب ولا فساد
فان اخذ من معامل فلوس لا يصرفها في امر معكوس بل على مصالح الزرع
والبهائم والامر الذي عليه لازم وينوي السداد لصاحب الدين ويشفق على
الفقير والمسكين ويفيق لانواره ويحفظ غيط جاره وينوي سداد المال
ويتكل على العلي المتعال ويترك نفش الشوارب والجلوس على المصاطب
يبارك له الديان ويسد مال السلطان وان جاءه المعامل اوفاه وان
طلب منه ثاني مرة اعطاه وترتاح اولاده ويرضى عنه استاده ويعيش في
راحة ودين ويرضى عليه رب العالمين * واما القسم الثاني لا عقل
ولا معروف عريان منتوف لا صلاة ولا دين ولا طاعة لرب العالمين
ولا ذوق ولا معرفه فاتق للشر والمقرفه بالنهار في لعب المنقله وبالليل
ساحب العتله لا يلازم الغيط يحب الطعة جنب الحيط نافش
الشوارب قليل المكاسب عويل مهذار سفلاق فشار ان دخل في يده
فلوس فرقها على البوظة والتيوس لا يلازم مشد ولا استاد دائم في
العكس والفساد تيرانه جائعه وخيوله ضائعه لا يصرف الاشياط وعياط

وزرعته مافيها الاضراط يصرف من غير قانون مشحوق منحوت مديون
ممقوت مع اشتداده دائر في غيه وفساده لو ضربه مقارع او كسارات
لا يخلي النط في الدور والحارات ان قال له استاذه على الصواب ينوي
على الرحيل والخراب دائما في مقت وكرب ولا يفيد فيه الحبس والضرب فنفس
معكوس مخالف شرب البشوش لا يقدر على وفاء دين مكسور عليه الالف
والالفين فتنة في البلد عمره في هم ونكد لا يوفي العامل ولا له رأي كامل
المقت منسكب عليه وشبيه الشيء منجذب اليه فلا خير في حياته ولا يبكى عليه
بعد مماته لانه طويل الكم فشار قليل الفرح في الدار عثرا كالحزه لا
دنيا ولا آخرة كما قيل (هذا الذي ان عاش لا يعتني به * وان مات لم تحزن عليه الاقارب)
واول من وضع الدواوين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واول ديوان عمل بمصر
على يد سيدنا عمرو بن العاص لما فتح مصر ولم ينضبط على وتيرة واحدة وكان
الخراج في زمانه يسيرا ولهذا لما فتحها صلحا او عنوة على ما قيل جمع منها اموالا
كثيرة تعوق عن الحصر من كنوز وغيرها وقال هشام بن رقية اللخمي ان
عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط من كتم عني كنزا فقدرت عليه قتلته
وان قبطيا من اهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فطلبه
وسأله فانكر فحبسه في السجن وجعل عمرو يسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن احد
فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب من الطور فارسل عمرو الى بطرس
واخذ خاتمه وكتب بالقبطية الى الراهب على لسان بطرس يحرضه على حفظ المال
وعلى مكانه وذكر له ما شاء ان يذكره وجهز الكاتب مع قبطي وثق به فجاءه
الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة
مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاطة
التي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا من الذهب الاحمر المصري وبسكته
فاخذ المال وضرب رأس بطرس عند باب المسجد انتهى * وحكي ان المرحوم
السلطان سليم لما اخذ مصر من المرحوم السلطان الغوري في سنة ٩٢٢ اثنين وعشرين وتسعمائة
جعل له قانونا ودونه بمصر منه انه لا يكتب شيء من مال الديوان على احد من الجند

عنده

وافق ذلك رأي مولانا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما أرسل نائبه
عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه يأمره بذلك * ومنه أن الجند لا يسكنون في بيت
الملك ومنه أنه لا يتزوج بمصرية ومنه أن لا يقيم في مصر أكثر من سنة
وبعدها يجهز إلى مكان آخر ثم منه أن الجندي لا يجمع بين الجمكية وجهات
الأوقاف والمراد بالجندي المثبت في الديوان أصحاب الجوامك والعلوفات
وأول من جبى خراج مصر في الإسلام سيدنا عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه
وكانت جبايته اثني عشر ألف ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل
ثم جبى عبد الله بن سعيد بن أبي سرح خراج مصر أربعة عشر ألف ألف دينار
فقال ابن عفان لعمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما يا أبا عبد الله درت اللقحة
بأكثر من درها الأول فقال له سيدنا عمرو أضررتم بولدها * وهذا الذي
جباه عمرو وعبد الله إنما هو من الجماجم خاصة دون الخراج * وكان خراج مصر
في زمن المأمون والمعتصم إذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا وعشرة أصابع
أربعة آلاف ألف ومائتي ألف وسبعمائة وخمسين دينارا والمقبوض
على الفدان ديناران ودينار ذلك الزمن عشرة أنصاف * واعلم أن مصر
كانت قبل الإسلام مائة وثلاثة وخمسين كورة في كل كورة مدينة وثلاثمائة
وخمسة وستين قرية خرب منها ثمانية وستون كورة ثم تناقصت بمجيء الإسلام
وفيها أربعون كورة عامرة بجميع قراها لا ينقص منها شيء * ونقل الأستاذ
السيوطي أن سيدنا عمر بن الخطاب كتب إلى سيدنا عمرو بن العاص يقول له إياك
أن تكتب شيئا من مال الديوان على أحد من الجند الحذر الحذر كل الحذر
والسلام انتهى * وإطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان لكونه
آيلا إليه من باب تسمية الشيء بما يصير إليه وسمي ديوانا لإقامة الدين فيه
بإظهار الحق وإنصاف الظالم من المظلوم أو لحضور ما دون الملك فيه
أو لجمعه على أجناس مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصائد والتواشيح
ومقاطيع الأشعار إذا أنشأه شخص ديوان فنزول الديوان في البلد على كل حال
أمر مهول على الفلاحين ومصيبة على المقلين والناظم رحمه الله كان من المفلسين المقلين

المنكسرين في مال السلطان كما سيأتي في قوله (ويا ذوب عمري في الخراج وهمي)
وان الدهر والزمان مال عليه وصيره في هذه الحالة كما تقدم فلهذا قال عن نفسه
اني اذا احضر الديوان او قرب حضوره داخلني الخوف واعتراني الفزع
ودهمتني الداهية الكبرى ولحقتني طربة عظيمة لعدم شيء من الدراهم
او رده في مال السلطان او الخوف من العقوبة والحبس فبسبب ذلك (تبطل)
اي ترتخي وتسكن ويقل نفعها (مفاصيل) جمع مفصل وهو فرجة بين بين
العظمين مستمسكة بالعروق فاذا سكنت تلك العروق وارتخت بطل
عملها وقل نفع ذلك العضو* وقد ذكر لفظ المفصل في قول ابي نواس لما احتضر
لم يبق الا نفس هافت* ومقلة انسانها باهت ❁ (ومغرم تضرم احشاؤه* بالنار الا انه ساكت
ما فيه من عضو ولا مفصل* الا وفيه الم ثابت) ❁ (رثا له الشامت مما به* يا ويح من يرثي له الشامت)
فمن هذا نبه الناظم على هذا الامر الذي حصل له لعجزه عن دفع ما عليه من خراج
الارض ولكونه لم يمهله النصراني ولا يرثي لحاله ولما كان يلزم من حدوث
بطلان مفاصله من شدة الخوف والطربة انطلاق البطن كما يقع غالبا
لبعض الناس قال (واهر على روحي) اي ذاتي لا الروح السارية في الجسم
(من شدة الطربة وهم (التخويف) اي تخويف جماعة النصراني او المشد او الخوف
الذي يصيبني بمعنى ان الطبيعة تلين من اجل هذا الهم وشدة تلك
الطربة الحاصلة فينزل الغائط لينا يشبه هراء الطين بعد ان كان اذا
ضربته في الحائط رد في وجه من يبنيه فيسيل على ذاتي وثيابي فلا امكن
دفعه لانه يندفق بشيء عظيم من شدة الخوف* والهر واحد الهرار على وزن الجراد
واحد الهرة من قولهم هر عليك الحمار او هرت على خيشك الكلبة او هر على دقنك
الكلب مثلا ويقال الهر التراب وهر الرمل اذا تراكم على بعضه وسال لنفسه
من الاعلى للادنى فانك اذا نظرت الى اكوام الرمل نظرت فيها الهرار
بيقابل او هو مشتق من الهرة التي تصيد الفار وتسمى بلغة اهل الحجاز البسة
بضم الموحدة وبلغة اهل مصر القطة ومصدر هر يهر هرارا ثم ان الناظم نبه على انه لم
يسعه من هذا الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا الهرب مما دهمه واختفائه وقال

ص * (واهربُ حذا النسوان والتف بالعبا * وبقي ضراطي شبه طبل عنيف) *

ش قوله (واهربُ) اي انا لا احد غيري (حذا) اصله بالمد والذال المعجمة واستعملت بالدال المهملة جريا على لغة الارياف وقصرها للضرورة وحذاء الشيء جانبه او مقابله وقوله (النسوان) اي عندهن او محاذيهن ويجمع على نساء ونسوة مشتق من التأنس او الانس او المؤانسة لان آدم صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حواء آنس بها وسكن لها فمن ثم تجد الرجال تسعى الى النساء وتميل اليهن لانهن غاية المطلوب ورياحين القلوب قيل مر بعضهم بامرأة جميلة فانشد يقول

إن النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فاجابته بقولها

ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهي شم الرياحين

والنسوان على وزن الجروان والنسوة على وزن القهوة او العجوة والنساء على وزن الكساء وقد يأتي فيها الفساء ايضا والمعنى اني اخشى على نفسي واخاف مما دهاني فامضي بسرعة وانا في هذه الحالة واهربُ اي انطلق بسرعة الى النسوان واختفي بينهن او اجلس بجانبهن او مقابلهن كما في المثل الهروب نصف الشطارة وقد هرب عنترة مع قوته وشجاعته وقال أعاير بهذا ولا أقتل فالشخص اذا خاف من ظالم او احد يؤذيه وتمكن من الخلاص من بين يديه بالهروب يجوز له ذلك قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * ومما نقل من الامثال جدع قصير انفه وقصير اسم رجل وهو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الابرش الذي اول من اتخذ الشموع واوقدت بين يديه وكان له اخت جميلة زوجها لعدي احد ندمائه حال سكره فلما افاق عدي هرب لبلده ثم حملت فاتت فتربى عند خاله جذيمة الابرش واحبه حبا شديدا ثم ان جذيمة اغار على ابي الزباء فقتله واستولى على بلاده وهربت الزباء الى القسطنطينية فجيشت جيوشا وعادت له حتى استخلصت منه بلاد ابيها ثم انه ارسل لها يخطبها فاجابته فاستشار خواصه فمنعه قصير وقال هذه مكيدة فلم يقبل وذهب اليها بالاموال والجهاز فامرت عسكرها بان يتلقوه ويحيطوا به حتى يفردوه من عسكره ففعلوا فلما رأى قصير ذلك ركب فرس جذيمة

هو عمرو وقيل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

صح بلغ اسمه عمرو

الابرش وكانت تسبق الريح فهرب بها فقبضوا جذيمة وأدخلوه عليها
فكشفت له عانتها وكانت تركتها سنة وقالت أجهاز عروس ترى فقال
بل جهاز أمة بظرا فأمرت الجواري أن يفرشن له نطعا وأجلسوه عليه
وفصدوه في جميع عروقه حتى فرغ دمه فمات ثم ان قصيرا سعى في اخذ ثاره
بحيلة جدع أنفه وأذنيه وذهب إليها مستجيرا من عمرو ابن أخت جذيمة
الابرش لانه تولى المملكة بعد خاله فقبلته واحبته وملكته ثم انها ارادت
غزو عمرو فقال لها عندي من السلاح والاموال شيء كثير فجهزته ليأتيها بذلك
فجاء لعمرو وقال له قد أصبت الفرصة وأعطاه ألفي رجل بسيوفهم في صناديق
مملوءة ذهبا وسبق قصير فأخبرها بذلك فجلست في محل عال تنظر
للجمال بأحمالها فلما دخلت الجمال فتح الصناديق وخرجت تلك الابطال
بسيوفهم وكان في يدها خاتم مسموم فلحسته وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو
فصارت مثلا وكان ذلك قبل مبعث عيسى عليه السلام فان قيل
لاي شيء أختار الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع أن النساء
لا يقدرن على دفع الاذى والضرر ولا منع من يؤخذ من بينهن لضعفهن
وعدم مقاتلتهن فما حكم ذلك قلنا الجواب من وجهين الأول
لما دهمه هذا الامر واتاه الديوان على حين غفلة وارتخت مفاصله وحصلت
له حالة المرتعي روحه كما تقدم ولم يستطع النهوض ولا المسير الى أحد من
الرجال يختفي عنده او الى محل بعيد عن القرية يتوارى فيه لشدة خوفه
وكثرة هراره على نفسه وضراطه عليها ايضا اذ هو من لوازمه كما سيأتي
ورأى هؤلاء النسوة قريبا منه او من محله فتوارى بينهن * الثاني
يفهم منه انه كان ضعيف القلب جبانا لا يقدر على المخاصمة ولا المضاربة
ولا على شيء من امور الرجال وخشي أن يمضي الى احد من الناس او من اقاربه
فيدل عليه النصراني فيأخذه ويشوش عليه وينتقم منه لان الفلاحين ليس لهم امان
ولا عشرة حسنة مع بعضهم خصوصا الاقارب كما تقدم فكل شيء له من
جنسه آفة كما قيل وكل شيء آفة من جنسه * حتى الحديد سطا عليه المبرد

وَايضًا النسَاء غير متهمين بهذا الأمر فاذا رآهن احد قد اجتمعن في محل
لا يشك ان بينهن رجل الا ان ظهرت له قرائن تدل عليه وربما منعه الحياء
منهن عن التفتيش وقد توارى سيدنا حسان رضي الله عنه عند النساء في بعض الغزوات
لجبنه وقلة شجاعته كما هو مذكور في السير فاتضح الجواب * ثم انه لما كان هروبه
عند النساء يحتاج لشئ يواريه من الاعداء ويستره عن الاعين قال (والتف
بالعبا) اى وقت جلوسي بين النساء او بجانبهن او قبالهن التف بالعباء
او ان قد يعد لي فيها الا طرد عن الوهم بالتفافي بها فان الخائف اى شئ رآه
توارى فيه سواء كان عباءة او ثوبا او شيئا يواريه عن الاعين بل ربما
تزيا بزي النساء واختفى من عدوه ونجاه الله تعالى منه كما اتفق
ان بعض الملوك كان كثير الطلب لرجل من العصاة ليقتله فقيل له هو
في القرية الفلانية فارسل له بعض الأمراء بطائفة من العسكر
فدخلوا القرية واحاطوا بها فلما عرف الرجل انهم يريدون اخذه للملك تزيا
بزي النساء وخرج في جمع منهن ينوح ويبكى ويصيح وهن يبكين معه
فقال الامير ما بال هؤلاء النسوة سلوهن عن حالهن فاقبل جماعة وسألوهن
فقلن مات لنا ميت في القرية الفلانية ونريد التوجه اليه فخلى سبيلهن
فذهبن والرجل المطلوب بينهن ولم يعرف الامير حاله الى ان جاوز العسكر
ومضى الى حال سبيله ونجاه الله تعالى من ذلك الملك * ومثل هذه الواقعة
ما اتفق لي اني كنت في سفينة مسافرا من بلدي شربين لمصر فلما جاوزنا
قرية تسمى مسيد الخضر واذا بغلام جميل الصورة عليه ملبوس حسن في زي
خدمة الامراء وهو يصيح على رئيس السفينة خذني ويتذلل له ويتداخل عليه
انه يأخذه وهو في كرب عظيم فامتنع رئيس السفينة من اخذه وخشي ان
يكون خلفه احد يفتش عليه او يأتي في اثره وكان في السفينة ثلاث من النساء
وفيهن امرأة كبيرة فقالت يا رئيس غلام مكروب يسألك في اخذه فلم لم تجب
دعوته ولا ترحمه ادخل البر وخذه وانا اصنع له حيلة تواريه عمن يطلبه واخفيه
بين بناتي ولا يعرفه احد فسمع الرئيس كلامها واخذ الغلام فلما صار في السفينة

اخبرانه كان فى خدمة بعض الامراء وانه استغفله وهرب ولا بد من مجيئه خلفه فقالت له هذه المرأة اقلع ثيابك فقلعها فاخذتها واخفتها فى حوائجها والبسته لبس النساء واجلسته بجانبها فبينما نحن فى هذه الحالة واذا بامير راكب على فرس وهو يركض بها ركضا شديدا وخلفه رجال ومماليك حتى صار قبالة السفينة وقال للريس ادخل البر حتى افتشك فانه هرب لى غلام فى هذه السنا ومعه الف دينار سرقها فقالت له المرأة ادخل ولا تخف فدخل البر وصار كل من فى السفينة فى خوف من هذا الحال فطلع الامير واعوانه وفتش السفينة والمرأة تقول هنا شئ ما رأيناه قط وانما رأينا غلاما يجرى من بعيد الى الجهة الفلانية فمنعه الحياء وعدم الشك فطلع من المركب ولم يظفر بشئ واما الغلام فانه مكث معنا فى المركب الى ان طلع مصر وذهب الى اهله سالما والناظم لما رأى هذه العباءة اندرج فيها والتف بها واللف هو الاندراج فى الشئ واللف به مرارا ويطلق على الاكل بلغة اهل الريف يقال فلان لف متردعدس او مترد بيسار بمعنى انه اكله ويقال داهية تلفك مثلا فالناظم اندرج فى العباءة المذكورة ليوهم من رآه ان هذه عباءة ملتفة ولا يشك ان داخلها احدا والعباءة كساء عريض طويل يعمل من الصوف له خطوط مختلفة الالوان يجعلها اهل الريف فراشا فى الصيف وغطاء فى الشتاء فهى مناسبة للفضلين وهى الفخر ما عندهم من الفراش والغطاء وقد ورد لفظ العباءة فى قول سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه نحن اصحاب العبا خمستنا * قد ملكنا شرقها والمغربين والعباءة مشتقة من عب الماء لانها تعبه اذا القيت فيه او من عبوب البحر ايام النيل او من ابو عبيه كنية لبعض الفراريج الصغار تكنيه نساء الارياف بها وصدره عت يعث عثا وقوله (ويبقى) اى عندهذه الحالة التى انا فيها وهى انسها الطبيعة وسيلا المرار على نفسى من عدم الامن وشدة الخوف وانا ملفوف فى هذه العباءة مندرج فيها (ضراطى) اى صوت الريح المتلاحم فى بطنى من اكل العدس والبيسار عند خروجه من ضربات الاعضاء ورجفان القلب (شبه) اى يشبه صوت قرع (طبل) وهو جلد مرتبة على خشب او نحاس تقرع عند المواكب والتمام الحرب له دوى شديد ورعب زائد

وكل حلال الا الكوبة وهي طبلة صغيرة محصورة الرقبة وتسمى ايضا
بالدرابكة وطبل الرق يستعمله ارباب الملاهي وكذلك الزمر كله حرام
الا النفير وقوله (عنيف) اى شديد الضرب يقال فلان عنف فلانا بمعنى
انه ضربه او ادبه والمعنى ان صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمى بالضراط
يشبه صوت طبل يضربه رجل بقوة وشدة فالصفة راجعة للضارب لا لنفس
المضروب او ان مراده بالطبل العنيف الكبير مثل النقارة ونحوها لكونه
لا يعرف غيرها والحاصل من هذه العبارة ان الضراط فيها على اربعة اقسام
الاول ضراط يخرج رقيقا ضعيف الصوت ممتدا بصوت ضعيف * الثاني
ضراط يجول في البطن بقرقرة ثم يخرج ريحا من غير صوت * الثالث ضراط يخرج
ممتزجا بالغائط وصوته يشبه [illegible] الرابع ضراط
يخرج بعنف وله صوت عال يفزع القلب وهو الذي نبه عليه الناظم [illegible] به
ولكل قسم من هذه الاقسام الاربعة سبب يتولد منه فالاول سببه ان ريح
لطيفة تتولد في بطن الانسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين
الاليتين بصوت رقيق بحسب لطفها ورقتها للطف المأكل قال الشاعر

خرج الضراط من الحبيب برقة * ولطافة لوجود لطف المأكل

وهذا ينشأ من اصحاب الاجسام اللطيفة وارباب المأكل الخفيفة والثاني
ضراط يجول في البطن بقرقرة وربما وقف في وسطها فلا يتحرك حتى يكاد
يهلك صاحبه ثم ينتقل الى اركان البطن بقوة انتفاخ وعلو قرقرة فيتولد
منه الضرر وهذا يسمى عند الاطباء ضراطا لا ينضج وسببه من المأكل
الغليظة واذا نضج اسرع في الخروج وقيل نضاجه اذا خرج منه شيء يكون فناء
وفي هذه الحالة يكون خروج الضراط نادرا قال الشاعر (يخلط في المأكول طول نهاره *
وفي الليل تلقى بطنه يتقرقر) كما اتفق ان رجلا اتى الى الطبيب فقال احس في بطني
معمعة وقرقرة فقال له اما المعمعة فلا اعرفها واما القرقرة فضراط لا ينضج
فاذا كان الريح يجول في البطن من غير قرقرة مع شدة ووجع يقال له مغص يعالج
باكل شيء من الشيح او الصعتر المغلي بالسكر فطورا وربما مكث يوما كاملا او ليلة كاملة

كما اتفق لابن الراوندي عفا الله عنه انه اصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات يسأل الله تعالى ان يفرج عنه بفسوة تخرج منه فلم يتيسر له ذلك فخرج من الصباح يتوكأ على عصا فسمع رجلاً يقول اللهم ارزقني الف دينار فقال له يا سقيع الذقن انا طول الليل اطلب منه فسوة فلم يعطها لي يعطيك الف دينار وتركه ومضى ولهذا يقال مغصة فليلة الفسا (قال المسعودي في مروج الذهب) في ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ونحو ذلك في مراتب الملوك وتشوق ما بقي من الممالك على البحر الحبشي الذي شرعنا في وصف من عليه الى ان قال في آخر ذلك وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح في اجوافهم لانه داء يؤذي ولا يحتشمون من اظهاره في سائر احوالهم وكذلك قال حكماؤهم ان حبسه داء يؤذي وان ارساله شفاء ينجي وان في ذلك العلاج الاكبر وان فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وان فيه داء للسقيم المطحول ولا يحتشمون الضرطة ولا يحضرون الفسوة ولا يرون ذلك عيباً وذكر هذا الخبر عن الهند ان السعال عندهم اقبح من الضراط وان الجشاء على وزن الفساء اقبح منه واستشهد هذا الخبر على صحة ما حكاه عن الهند باشتهار القول في ذلك بين كثير من الناس حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك قوله

قد قال ذو العلم الفصيح الهندي * مقالة ينتج منها قصدي
لا تحبس الضرطة مهما حضرت * وخلها وافتح لها ما استفتحت
فان ادى الداء في امساكها * والروح والراحة في اخراجها
والقبح في السعال والمخاط * والسوء في الفساء لا الضراط
اما الجشاء فنساء صاعد * وننته عن الفساء زائد

وان الريح واحد في الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب الى اسفل يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفقة في مؤخر الرأس والقفا واحد وانما اختلفت اسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين

وان الحيوان الناطق انما كثرت علله وتعددت امراضه كالقولنج واوجاع
المعدة وغير هذه العوارض بحبس الريح في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه
وتفرقه في الطبيعة لدفعه واخراجه وان سائر الحيوان غير الناطق انما سلم مما
ذكرنا من الامراض والمعترضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض من الارواح
في اجوافها وعدم احتباسها وان الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين
كدمقراطيس وفيثاغورس وبقراط وجاليانوس وغيرهم من حكماء الامم لم
يكونوا يرون حبس شيء من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته وان ذلك يعلم
بالطبيعة وتدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك اناس من اصحاب
الشرائع ومنعت منه الملوك ولم يجر ذلك في عاداتهم * وقال المسعودي
في مروج الذهب كان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الاسكافي وكان عجيب الصورة
لطيف الحديث فيه سلاسة اهل السواد فقال المعتصم لمحمد بن حماد اذهب
بالغداة الى علي بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملني فأتاه فقال ان امير المؤمنين
يأمرك ان تزامله فتهيأ لشرط مزاملة الخلفاء فقال علي بن الجنيد وكيف
آتهيأ أأهيئ رأسا غير رأسي ام اشتري لحية غير لحيتي ام ازيد في فمي انا متهيئ
قال لست تدري بعد ما شرط المزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال علي بن الجنيد
وما هي هات ما عندك يا من تدري قال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا شرط
المزاملة المؤانسة بالحديث والمذاكرة والمنادمة قلة وان لا تبصق ولا تمخط
ولا تسعل ولا تتنحنح وان لا تتقدم الرئيس في الركوب اشفاقا عليه من الميل
وان تتقدمه في النزول فمتى لم يفعل المزامل هذا كان كالمثقلة الرصاص التي
تعدل بها القبة وان لا ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة
حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا فما حال من لا يشعر بمثله
فلما اكثر عليه من هذه الشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول اهل السواد آ
واخراه اذهب فقل له ما يزاملك الا من امه زانية فرجع ابن حماد وقال
للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئني به فجاءه فقال يا علي ابعث اليك
تزاملني ولا تفعل فقال ان رسولك هذا الازعر جاء في بشر وطحنا الشاشي

فقال لا تبصق ولا تفعل كذا وكذا وجعل يشطط في كلامه ويفرقع في كتابته وبشير بيديه ولا تسعل ولا تعطس ولا ولا وهذا لا يتم لي ولا اقدر عليه فان رضيت ان ازاملك فاذا جاءني الفساء فسوت عليك وضرطت ايضا واذا جاءك انت فافس او اضرط علي ولا ليس بيني وبينك عمل فضحك المعتصم وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملني على هذه الشروط قال نعم حبا وكرامة فزامله على بغل فسارا ساعة وتوسطوا البر فقال علي يا امير المؤمنين حضر ذلك المشروط فما ترى قال ذلك اليك اذا شئت قال احضر ابن حماد فامر المعتصم باحضاره فلما حضر قال له علي اقبل حتى اساررك فلما قرب منه فسا وناوله فم كمه فقال ادخل رأسك في كمي فانظر ما هو فادخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال لم ار شيئا ولكني لو اعلم ان جوف ثيابك كنيف ما قربت منك والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فساء متصلا وقال لابن حماد قلت لي لا تسعل ولا تبصق ولا تمخط فلم افعل ولكني اخرا عليك قال فاتصل فساؤه بالمعتصم فصار يخرج رأسه من العمارية نحو الملمعتصم قد صحبت قذرا فيه خراء فقال المعتصم وقد رفع صوته حين كثر عليه الضحك ويلك يا غلام الساعة اموت من الضحك ثم انه اجازه بجائزة سنية والثالث ضراط يخرج ممتزجا مع الغائط وسببه ان الارياح عند خروج الخارج تمتزج به وتتلاءم معه وتخرج هي واياه عند قضاء الحاجة خصوصا مع لين الطبيعة فيظهر منها اصوات متقطعة غير ممتدة كبقبقة قلة الماء عند امتلائها وهذا يحصل مع نفخ البطن ولين الطبيعة من تناول المأكل المهضمة وكثرة نزولها بسرعة قال الشاعر

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط * فلا حث بلا شك تسابيح نفخته
فمن كان ذا عقل فيستر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته

وقد يخرج الضراط له صوت رقيق يشبه صوت دندنة المردن ورنته وقت غزل النساء وقد خرج من بعض الشعراء فلاموه فقال (ذي بنت بطني خرجت تعيط * تدندن كالمردن في برمته) ومن يقل لي اكتم ضراطك * اجعل خراي على لحيته)

فجعل البطن مثل الأم وجعل الضرطة فيها مثل البنت التي فارقت أمها وصارت
تعيط وتدندن كالمردن لمفارقتها اياها فمن هذا يعلم انه معذور ومن لم
يعذره يكون جاهلاً بحاله ويكون خراه في لحيته (ويحكى انه دخل ابو الاسود
على معاوية فضرط بين يديه فضحك معاوية فقال يا امير المؤمنين لا تخبر
بها احداً فلما خرج من عنده دخل عمرو بن العاص فاخبره معاوية بما كان
من ابي الاسود فلما رآه عمرو قال له يا ابا الاسود ضرطت بين يدي امير المؤمنين
فلما دخل على معاوية قال له ألم اسألك ان لا تخبر بها احداً فقال معاوية
ما علم بها احد غير عمرو فقال اياه الذي كنت احذر ولكن انت لا تصلح للخلافة
قال كيف فقال اذا لم تكن لك امانة على ضرطة فكيف تؤمن على دماء المسلمين
واموالهم فضحك معاوية ووصله * وقد يأتي الضراط على حين غفلة عند
حمل شيء ثقيل او وثبة فاحشة او تحرك للقيام بشدة ولكن لا يعتد له صوت
مثل غيره وهذا اخف ضرراً مما سبق * كما اتفق ان اعرابياً ضرط على حين غفلة فلاموه
فانشد يقول   ضرطت فما احدثت في الناس بدعة * ولم يأت استي منكراً فانوب
اذا كانت الاستات تضرط كلها * فليس علي في الضراط رقيب
وأتى رجلان الى قاض فتقدم احدهما فتظلم من صاحبه وشكى قصته
فبينما هو يتكلم اذ ضرط فالتفت الى استه وقال لها اما أن اتكلم انا او انت
وحكى نفطويه عن حكيم بن عياش الكلبي انه اجتمع عند عبد الملك وفود
الناس من قريش والعرب فبينما هو في المجلس اذ دخل عليهم اعرابي وكان عبد الملك
يعجب به فسر عبد الملك وقال هذا يوم مسرور واجلسه الى جانبه ودعى بقوس
رمى عنها واعطاها من على يمينه فرمى عنها حتى اذا صارت الى الاعرابي
فلما نزع فيها بقوة ضرط الاعرابي فرمى بها مستحياً فقال عبد الملك ذهبنا
في الاعرابي وكنا نطمع في انسه واني لأعلم انه لا يسكن ما به الا الطعام
فدعا بالمائدة وقال تقدم يا اعرابي لتضرط وانما اراد لتاكل فقال له الاعرابي
قد فعلت إنا لله وانا اليه راجعون لقد امتحنا هذا اليوم والله لاجعلنها مذكرة
يا غلام ائتني بعشرة آلاف درهم فجاءه بها فاعطاها للاعرابي فلما صارت له

تسلى وانبسط ونسي ما صدر منه فانشد حكيم بن عياش الكلبي يقول

ويضرط ضارط من عبد قيس * فيحبوه الامير بها ثدورا
فيا لك ضرطة جرت كثيرا * ويالك ضرطة اغنت فقيرا
يود القوم لو ضرطوا جميعا * وكان حباؤهم منها عشيرا
ايقبل ضارط الفا بالف * فاضرط اصلح الله الاميرا

قال فتبسم عبد الله واجاز حكيم بن عياش بمثلها * وقيل ان قبل الصغيري على مجلس بعض الامراء واراد ان يتكلم فضرط فولى خجلا فانشد بعض من سمعه يقول

قل للصغيري اذا ولى على خجل * من ضرطة اشبهت نايا على عود
فانما هي ريح لست تملكها * اذ انت لست سليمان بن داود

وهذا كله من باب الحلم والتستر وابداء العذر على المجالس في الحضرة اذا ضرط فيها فهم لا علينا بما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممن لا يعذره وقد ايلغز في الضرطة وقال

ومولودة لم تعرف الطمث امها * وليس لها روح ولا تتحرك
تقهقه منها القوم من غير نظرة * وصاحبها من عارها ليس يضحك

واما اذا كان الضراط باختيار الشخص لا لعلة ولا لمرض فانه يكون من القباحة وسوء الادب والازدراء بالجالس في الحضرة فلا يليق بالضارط فيها ان يفعل ذلك ولو اراد به المزح مثلا فذكر في كتاب نزهة الابصار في اخبار ملوك الامصار انه خرج الرشيد الى الصيد وانفرد من عسكره والفضل بن الربيع معه راكب خلفه فاذا هو بشيخ راكب على حمار فنظر اليه فاذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل اين تريد ايها الشيخ قال حائطا لي فقال اهل لك ان ادلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما احوجني الى ذلك فقال له الفضل خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكماة فصيره في قشر جوزة واكتحل به فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكا الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة مزعجة ثم قال هذه اجرة وصفك وان نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد ان يسقط من دابته (ويحكى ان هارون الرشيد وجعفر مرا ببغداد فوجدا رجلا بعينيه احمرار فقال الرشيد

جعفر ماهذا ياجعفر قال هذا رمال فقال لابد من اختباره فتوجه اليه
جعفر فقال ما صنعتك فقال ما ترى من الاصطلابات والادوية فقال
لم لا تداوى عينيك قال داويتهما فلم ينفذ فقال اصف لك دواء ينفعك
فقال قل قال خذ ثلاثة اواق من عروق الهواء وثلاثة اواق من منقوع
الماء ودقهما في هون من الثلج واكتحل بها فقال ذلك الرمال ما مر آنفا *
ثم اتى اليه الخليفة وقال له ماذا تصنع فقال ما ترى فقال بى امراض
اخبرك بها فقال له قل قال بشعر ذقنى مغص وما آكله من الطيبات ينزل من
اسفل خبيثا وبباطنى ظلمة فقال اما ما بلحيتك من المغص فعليك بالموسى
واما ما تاكله من الطيبات فينزل خبيثا فكله خبيثا ينزل خبيثا واما
ما تراه من الظلمة بباطنك فعلق على باب صرمك قنديلا لاجل ما ينور
على استك وبطنك * وقد شاهدنا فى بلاد الارياف ان الشخص
اذا ضرط فى مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الاذية والضرر
ويلزمونه بطعام يفعله لهم وربما جعلوا له علامة فى الحائط التى يجلس
بجانبها من جص او جير حتى يراها كل احد ويعرف انه ضرط بهذا المكان
وربما خرج من القرية بهذا السبب من كثرة ما يلومونه على ما فعل وكل هذا
من كثافة طباعهم وسوء اخلاقهم وقلة معذرتهم للضارط وعدم تسترهم
عليه فعلى كل حال ان الضارط من غير اختيار معذور وخصوصا اذا كان
كتم الريح يشوش عليه وكان فى مجلس فلا باس بضراطه فيه وينبغى مسامحته
لهذه العلة * ورأيت فى بعض الكتب ان سبب ما لقب حاتم نفعنا الله به
بالاصم ان امراة جاءت اليه تسأله عن حاجة فلما تكلمت خرج منها ريح
بصوت فخجلت وسكتت فقال لها حاتم اعلى صوتك بالكلام فانى رجل اصم
وكان كلامه لها من باب التستر عليها ففرحت المراة وظنت انه لم يسمع منها
الضراط فاشتهر بذلك رضى الله عنه * واتفق لى انى كنت اهوى غلاما جميل الذات
لطيف الصفات فصيح اللسان رطب البنان بديع الجمال رخيم الدلال وانا مشغوف
بجماله راغب فى وصاله وكنت اترقب ان اخلو به ساعة من الزمان وان يجمعنى السعد واياه فى مكان

الى ان صدفته فى روضة بالمشموم عابقه ونخيلها باسقه وطيورها بالنغم ناطقه يرفل فى ثياب العز والامداد وكل صدفة خير من ميعاد فبادئته بالسلام وابديت له الغرام وسألته الجلوس فاجاب وما احلى اجتماع الاحباب فلما استقر بنا الجلوس واردت ان اتملى بقده المأنوس بين هاتيك الرياض الزاهر والروائح العاطر واحظى بحديثه العذب الرائق ومنطقه الشهى الفائق اذا اقبل علينا جماعة من ارباب الذوات الكثيفه والطباع العنيفه وجلسوا من غير طلب وخاضوا فى الحديث من غير ادب فخجل الغلام منهم واطرق واعتراه الوهم والحنق واراد ان يتحرك للنفار فخرج منه صوت من غير اختيار فضحكوا عليه وقاموا منصرفين وعليه بالقول لائمين فنظر الى بطرف كحيل ووجه جميل وقال ما تقول فى لوم هؤلاء الارذال فانشدت اقول بارتجال (لاموا الحبيب وما دروا * قصد الحبيب بما فعل لما ازدرى جلاسه * ورأى بهم ذا الثقل) (ورأى التفوه معهم * بلطيف لفظ كالعسل فيه الخسارة ازهم * اهل الكثافة والملل) (نادا هم من استه * بلطيف صوت قد جعل كيما يناسب حالهم * ومقامهم ذاك الاقل) (فتفرقوا عن مجلس * حاوى الغزال مع الغزل يا حبذا من ضرطة * فيها ذهاب للعلل) (رقت وراق محلها * من العواذل والعذل والحمد لله على * ذهابهم قد رحل) (فاضرط وغنى وابسط * واشطح وطب يا ذا البطل فى روضة يا حسنها * بها السرور قد وصل) (فكلما ترضى به * فالعبد عنه ما عدل لكن بحق المصطفى * غيرى فلا تأخذ بدل) فتبسم من ثغر كانه عقود الجمان ومال على بقد كانه غصن البان وقال لا وحق من فلق الحبه وغرس فى فؤادك شجر المحبه لا اكونن فى يمينى حانث ولم يدخل بيننا مدى الدهر ثالث ولم ازل واياه على هذا الحال حتى لحق بذى الجلال * ومن اللطائف ان السلطان قانصوه الغورى مر يوما فى شوارع مصر مختفيا هو والوزير فسمع رجلا من ارباب الدخول يقول لآخر مثله تفتخر على يا فلان وانا اقدر اصور النعام من طيزى فقال الملك للوزير على بهذا الرجل فاحضره بين يديه فاخبره الملك بما سمع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لا بد من فعل ما التزمت به

فقال له تعفونى يا ملك فان الرجل فى المخاصمة يقول ما شاء قال لابد من
صدق مقالتك والا قتلتك فقال تعطينى الامان قال لك ذلك فقال
يكون فى محل خال قال نعم فتحول الملك الى قاعة الجلوس واحضره وطاب معه
فى الكلام وقال له افعل ما بدا لك وكان السلطان الغورى له دراية بهذا
الفن والف فيه بعض رسائل فقال له اى نغمة تريد فقال الحجاز مثلا
فحرك اليه وصنعها ولم يزل يفعل نغمة بعد اخرى حتى اتى على جميع النغمات
ونهاياتها ولم يترك شيأ يلام عليه فتعجب منه الملك وقال له مثلك لا يكون
الا رئيس مصر فى هذا الفن ثم انه اجازه بالف دينار وجعله رئيسا على
ارباب الدخول كلهم ويقال انه جد اولاد العتر المشهورين الآن * ومما يحكى
انه حضر بعض الخياطين عند بعض الامراء ليفصل له قباء فاخذ يفصل
والامير ينظر فلم يتهيأ له ان يسرق شيأ فضرط الخياط فضحك الامير حتى استلقى
على قفاه فسرق الخياط من الثوب ما اراد فجلس الامير وقال يا خياط اضرطة اخرى
فقال الخياط لا لئلا يضيق القباء * وقد اجتمعت برجل يقال له ماضى
الضراط كان على غاية من الدين والورع واللطافة والدخول وكان يحفظ
القرآن حفظا جيدا وكان ضراطه مصنوعا يفعله بابطه وكان يفعل به
اى نغمة كانت ويعمل منه اشغالا ونحو ذلك فكان بهذه المثابة اعجوبة لكل
من رآه وسمعه يضحك الجماد وكان مشهورا عند الامراء مقبولا عند العظماء
عفا الله عنه * (فائدة فشروية) سمعتها من بعض اهل الخلاعة وهو ان ابليس
لعنه الله يضرط فى كل يوم خمس ضرطات يفرقها على خمسة انفار اولهم من يركب
زوجته ويزورها اضرحة الاولياء والمقابر والثانى من راى اثنين يتسارا
وادخل نفسه بينهما وهذا يسمى عويل المصاحبة والثالث من راى اثنين يتضاربا
وادخل نفسه بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما فى المثل ما ينوب المخلص الا
تقطيع الثياب والرابع من يمشى فى الطريق ويلتفت من غير حاجة والخامس
مجبوس الزوجة وقس على امثالهم * ويحكى انه كان لفتى من قريش جارية
فى ايام ثروته فعلمها كل الفنون حتى صارت بارعة اهل زمانها

فقعد به الدهر فباعها الى الحجاج بالكوفة فوقعت منه بمنزلة عظيمة فقدم عليه فتى من اولاد عمه من ثقيف فانزله بمنزله فدخل عليه ذات يوم والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج لها فعلم انها شغفت به فوهبها له فاخذها ودعا له وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت وصار لا يدرى الى اين ذهبت وبلغ الخبر الحجاج فنادى برئت الذمة ممن رأى وصيفة صفتها كذا وكذا فلم يلبث قليلا حتى أوتى بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندى من احب الناس فاخترت ابن عمى شابا حسن الوجه نجدما رأيتك تسارقيه النظر فعلمت انك شغفت به حبا فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدى اسمع قصتى ثم اصنع ما انت صانع فقال تكلمى فقالت كنت للفتى القرشى فقعد به الدهر فاتى بى الى الكوفة قاصدا اليك لتشترينى حتى اذا قربنا منها دنى منى فواقعنى فسمع هدير الاسد فوثب قائما واتى الاسد وقتله ثم اتى الىّ وما برد ما عنده من الانعاظ وقضى حاجته وان ابن عمك هذا لما قام الىّ وواقعنى سقطت فأرة من السقف فضرط وغشى عليه فرشيت عليه الماء وهو لا يفيق فخفت موته فتتهمنى فهربت خوفا منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال ويحك اكتمى هذا ولا تعلمى به احدا فقالت على ان لا تهبنى اليه ثانيا * فان قيل ان الضراط صوت وقد عرفوا الصوت بانه هوى منضغط بين قالع ومقلوع اوقارع ومقروع وليس هنا قارع ولا مقروع انما هو يخرج من الاست عند انفتاح الاليتين وتحركهما فما الحكم قلنا الجواب ان يقال ان هذا لا يتأتى الا على التعريف الثانى وهو ان الصوت هواء يتموج بتصادم جسمين فاتضح الجواب * فان قيل ان فى قول الناظم ويبقى ضراطى شبه طبل عنيف اشكالا من حيث انه اذا كان ضراطه يشبه صوت الطبل الشديد يكون كل من سمعه اقبل عليه وعرفه وظهر حاله واستدل بهذه الحالة عليه النصرانى وغيره فلا فائدة فى اختفائه بين النساء ولا فى اندراجه فى العباءة فما الحكم قلنا الجواب ان الناظم ما ذكر حصول الضراط له بهذه الصفة الا بعد لفه فى العباءة

فهو وان كان قويا وله صوت عال فلقوة اندراجه ولفه فى العباءة لسمع منه الضراط كصوت الطبل وهذا مثل رجل محبوس فى جب عميق مثلا ومعه طبل يقرعه فلا يسمع منه الا القليل وان كان ضربه شديدا فيكون سماعه قاصرا على نفسه او على من يكونوا واقفا على باب الجب او قريبا منه فالعباءة حكم الجب وهى اضيق لاندراجها ولفها عليه ولوكان الضراط فيها قويا لايظهر حسه من الخارج الا ضعيفا او انه من باب الغلو فى الشئ كما قال الصفى الحلى فى بديعيته عز يجار لوالليل استجار به * من الصباح لعاش الناس فى الظلم او يقال ان هذا الضراط وان سمع منه بالصفة التى ذكرها لايتوهم انه رجل مختنف بل ربما يظن انه رجل او امراة يقضى حاجة فلا يكون فيه مظنة للتهمة فعلى كل حال لا اشكال فى كلامه فاتضح الجواب قلت ولم ار من صرح بهذه العبارة وجعل الضراط فيها على هذه الاقسام وعرفه بهذه التعاريف غيرى * ثم ان الناظم نبه على ان عمره قد انقضى وزما قد مضى فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه لشدة فقره وقلة كسبه فقال

ص * (ويا ذوب عمرى فى الخراج وهمه * تقضى ولالى فى الحصاد نصيف) *

ش قوله (ويا دوب) الواو عاطفة بحسب ما قبلها والياء للنداء ودوب هذه لفظة لها اشتقاقات قشرونية ومعانى مختلفة * فاما ان تكون مشتقة من دأب الانسان وهو شأنه وحاله الذى هو مهتم به والمعنى انكم تعلموا يا اخوان ان دأبى طول عمرى مع ما حصل لى من الهموم سابقا فى حسنا وفكر وتعب شديد مما على من الخراج وما ينشأ من همه اى خراج الارض وهو المال المكتتب على تحت زرع الارض وما يخرج منها فى كل عام فلا يفى بما على من المال لزيادته وقلة الزرع ولضعفى وشدة فقرى وقلة من يسعفنى فى الزرع والقلع فلهذا تقضى عمرى وانا فى هذا الحال الى آخره * او انه من الدب ليلا على الولد الامرد اذا ارقد بين جماعة ولم يتمكن منه الفاسق فيصبر عليه حتى ينام ويدب عليه على حين غفلة فما يشعر الا والاير قد دخل غالبه او كله فيخشع خوفا ان يتحرك او خشية الفتنة حتى يقضى الفاسق مراده ورغما عانبه الامرد عتابا

لطيفًا وشتمه شتمًا خفيفًا فيقول له قدّر الله وأنا عبدك مثلًا وإني هلكت
في حبك إلى أن تمضي القضية على أحسن حال قال بعضهم مواليا

بتّ ليلًا على من للملاحة حاز * بقيت راكب على ظهرو وشبه الباز
لما انتبه من منامو قال من ذا فاز * بوصلنا قلت أعمى جئت بالعكاز

وما ألطف قول بعضهم

وما حرّ قلبي ما اخفاه ريشا ما دري قدر ما قدرما * واضرم نار الأسى في الحشا ولم يشتكي ضرّ ما ضرّما
وسلّم قلبي إلى صدّه * فيا ليته سلّ ما سلّما * وقد كان قدّم إحسانه * ولكنه قدّر ما قدّما
وقد هدّ بنيان صبري به * وما واحد هدّ ما هدّما * وحرّم ما حلّ من وصله * وفي مهجتي حرّ ما حرّما
وقد عزّ ممن أحبّ الوفا * وما أحد عزّ ما عزّما * تعجّب لفيض دمعي به * إذا ما جرى أو همى أو هما
فسلّمت أمري به للقضا * وحرّث به أجرما أجرما * وقد رقم الحسن في خده * فلله رقّ ما رقما

وقال آخر
شكوت إلى الحبيب أنين قلبي * إذا جنّ الظلام فقال أنا
فقلت له أظنك غير راض * بما كابدت فيه فقال أنا
فقلت له أترضى أن قلبي * بأثقال الغرام فقال أنا
فقلت له أتحكم مثل هذا * على أهل الغرام فقال إنّا

إعلم أن الأولى فعل أمر من الأنين والثانية بمعنى نعم والثالثة مركبة من إن الشرطية وإمّا فعل ماض والرابعة إن واسمها وقال آخر

جلّ الذي أطلع شمس الضحى * مشرقة في جنح ليل بهيم
وقدّر الخال على خده * ذلك تقدير العزيز العليم * بدر ظننا وجهه جنة * فمسّنا منه عذاب أليم
ينفر كالريم إلا إذا نظروا * إلى البخيل وهو عند كريم * لما انحنى حاجبه وانثنى * يهز للعشاق قدا قويم
عجبت من فرط دلال وقد * بدا لي المعوج والمستقيم * داوى حنيني يا طبيب الهوى * وظني إني تجالى عليم
لخصره واه وأردافه * ثقيلة واللحظ منه سقيم

وقال آخر
صبري في كل واد أهيم * من خط قلبي منه هاء وميم * فتى يشبه ريم الفلا * يا طول شوقي من بخيل كريم
لم آنس من وحشته ليلة * خلتني أرعى دجاها البهيم * نظرت حتى بها نظرة * فقال حسبي إني سقيم
شوقا لمن لست على حبه * بصابر لكن قلبي كليم * لا أسمع اللوم على حبه * أعوذ بالله السميع العليم
في شرعه وحكم الهوى * دمع غزير وعذاب مقيم * ومابت الود لديغ الحشا * يأتي إلى بقلب سليم

يادوم همي يجي بالخاطر * فيجتني حلو الرضا للنعيم * لكن كيف شئت وعن مهجتي * فلا تسأل عن مصائب الجحيم
والمعنى اني اكون على حين غفلة فيدب على هم الخراج وتعبه ولحسابه فيمنعني
الراحة في معاشي والسرور في اوقاتي وهكذا طول زماني كما يدب الفاسق على
الامرد فما يشعر الا وقد علا فوق ظهره ونال مقصوده كما تقدم * او انه من دبيب
سم العقرب بمعنى ان الحساب في هذا الامر في الليل والنهار يتولد منه غم يسري
على القلب ويدب فيه دبيب سم العقرب في سائر الجسد * او انه مشتق من الدب
بضم الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس في الحيوان
ابلد طبعا منه الا ان عنده قوة ادراك من غيره كما في المثل بلادة الدب وطيب
فطانة القرد ومن عجيب منه انه اذا رأى جماعة يريدون صيده يلصق شعره على
صمغ الشجر فيمتزج الصمغ بشعره ثم يتمرغ على الرمل حتى يصير شعره يابسا
كالحجر فلا يؤثر فيه ضرب النشاب ولا غيره ويكون وقاية له ففي التبلد
في الامور ضرب من الراحة واختبار للعقول قال الشاعر

تبالد ترن عقل الرجال ويظهروا * اليك امورا انت منها مخابر

والمعنى ان كثرة الهم من حساب المال وهم الخراج صيرتني في حالة تشبه
بلادة الدب وعدم حركته في السعي لعدم المكاسب وقلة البركة في الزرع
وشدة الفقر وتواتر الطلب علي في كل ساعة فانا محروم من لذات الدنيا
ونزيدني ما انا فيه شيء قال بعضهم (اصبحت لا شغل ولا عطلة *
مزيدنا من صفقة خاسره) وحاصل الامر وغاياته * اني لا دنيا ولا آخره)
فلا ارى في الزرع بركة في ابتدائه لقلة التقاوي وضعفي عن اصلاح الارض
لان الارض لا يقوم بزرعها الا الفلاح القوي المتيسر خصوصا لما زاد
عليها الآن من المظالم وزيادة الخراج والعوائد المكتتبة على الفلاحين
والمغارم فالزرع وان ورد ان فيه تسعة اعشار البركة لا يفي بهذا القدر
من كثرة الظلم واما في الزمن المتقدم فلم يكن عليه عوائد ولا كلف ولا مغارم
ولا شيء مما هو موجود الآن بل كان الشخص يزرع الارض وكان خراجها
شيئا يسيرا ولا يعرف وجه ولا غرامة ولا شيئا من ذلك قط وكان البركة حاصلة بزيادة

والارض كلها عامرة بالزرع والناس في غاية الخير وسعة الرزق والكسب *
ومما روي انه اعترض رجل المأمون فقال انا رجل من العرب فقال له ليس
بعجيب فقال اريد الحج فقال الطريق امامك قال ليس لي نفقة قال قد سقط
عنك الفرض قال قد جئتك مستجدا لا مستفتيا فضحك وبره بجائزة *
ومن النوادر ان الاصمعي مر بحي من احياء العرب فوجد صبيا يلعب
مع الصبيان في الصحراء ويتكلم بالفصاحة فقال له الاصمعي اين اباك
فنظر الصبي اليه شذرا ولم يجبه فقال له اين ابيك فلم يجبه فقال له اين
ابوك فقال له فاء الى الفيفاء لطلب الفيء فاذا فاء الفيء فاء * ولما دخل
المأمون مصر وسار في قراها كان يبني له في كل قرية تكية يضرب عليها سرادق
والعساكر من حوله وكان يقيم يوما وليلة في بقرية يقال لها طا النمل فلم
يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه امرأة عجوز تعرف بمارية القبطية
صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وبين
يديها التراجمة من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت امير المؤمنين
نزل في كل ضيعة وترك ضيعتي ولم ينزل بها والقبط تعايرني بذلك وانا
اسأل امير المؤمنين ان يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف ولعقبي
ولا يشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه
اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وقال لكم تحتاج من الغنم والدجاج
والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه
والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة قال كذا وكذا فاحضرت امه
جميع ما ذكر وزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وولده العباس
واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي داود فاحضرت
لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ثم احضرت هي للمأمون من فاخر الطعام
ولذيذه شيئا كثيرا حتى انه تعجب من ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت
اليه ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق مغطى فلما عاين المأمون ذلك
ورآها قال قد جاءتكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه

وكشفت

وكشفت الاطباق فاذا هى ملأنة ذهبا فاستحسن ذلك وامرها باعادته الى بيتها فقالت لا والله هذا هدية لك يا امير المؤمنين فتأمل الذهب فاذا هو ضرب عام واحد كله فقال هذا عجيب ربما يعجز بيت مال الناعرض مثل ذلك فقالت يا امير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقرنا فقال ان فى بعض ما صنعته لكفاية ولا يجب التثقيل على احد فرد مالك عليك بارك الله لك فيه فاخذت قطعة من الارض وقالت يا امير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هنا واشارت الى الطينة التى تناولتها من الارض ثم من عدلك وانصافك يا امير المؤمنين وعندنا من هذا شئ كثير فامر به واخذه منها واعطاها عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل ما تأتى فدان بغير خراج وارتحل متعجبا من كبر مروءتها وسعة حالها فانظر الى كثرة ما كانت الارض فى الزمن الماضى تعطى زراعها من الخير والبركة وسعة الرزق وكله من عدم المظالم وكثرة العدل وقلة الحوادث * واول من احدث بمصر مالا سوى الخراج احمد بن المدبر لما ولى خراج مصر فانه كان من دهاة الناس ابتدع بدعا كثيرة منها انه حجر على الاطرون بعدما كان مباحا لجميع الناس وقرر على البهائم مالا وسماه المراعى وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصائد فانقسم من حينئذ مال مصر الى خراجى وهلالى وعرف المال الهلالى بالجديد * وقال سيدى ابو بكر الطرطوسى دخلت على الافضل بن امير الجيوش وهو ملك مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد على السلام نحو ما سلمت ردا جميلا واكرمنى اكراما جزيلا وامرنى بالدخول الى مجلسه والجلوس فيه فحدثته طويلا وابتدرت قائلا ايها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد احلك محلا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه واشركك فى حكمه ولم يرض ان يكون امر احد فوق امرك فلا ترضى ان يكون احد اولى بالشكر منك وان الله تعالى قد الزم الورى طاعتك فلا يكون احد اطوع لله منك وليس الشكر باللسان انما هو بالفعال والاحسان * واعلم ان هذا الذى اصبحت فيه من الملك

انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق
الله فيما خولك من هذه النعم فان الله سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير *
واعلم ايها الملك ان الله تعالى اتى الدنيا بحذافيرها سليمان عليه الصلاة والسلام
فسخر له الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والبهائم وسخر الريح
تجري بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا
عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها
ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به
فقال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب
وانصر المظلوم واغث الملهوف اعانك الله على نصر المظلوم وجعلك غوثا
للملهوف وامانا للخائف * قال رضي الله عنه ثم اتممت المجلس بان قلت قد
رحت شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لي الاقامة فيها غير هذه
المملكة اي مصر ثم انشد بقول (الناس اكيس من يحمدوا رجلا * حتى يروا آثار احسان)
وقوله (ولا لي في الحصاد سعيف) اي ولا ارى من يسعفني في حصاد الزرع عند انتهائه
ولا من يعاونني على تحميله على الجمال ونزوله في الجرن ودرسه ودراوته وحصاد
الزرع هو ضمه بآلة من حديد او قلعه من اصله اذا ابلغ الاستواء ويبس حبه
وطاب سنبله ونشف وآل الى السقوط فيعملون عليه بالحصاد وقد شبه الادمي
بالزرع فانه في ابتدائه يكون خضرا نضرا زاهيا كذلك الشخص في حال نشأته
وصباه اذا كبر وترعرع يكون على هذه الصفة فاذا طاب وآن اوان حصاده
انتهى زمانه وكذلك الادمي اذا صار كهلا ودهمه الشيب آن اوان
انقضاء عمره فان الشيب نذير الموت ولهذا يقال للرجل اذا دهمه الشيب
طاب الزرع اي قرب موته ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسي والمعنوي
فالحسي ما تقدم ذكره والمعنوي مثل فعل الخير مثلا يقال زرع فلان الجميل
اي فعله مع غيره قال الشاعر (ازرع جميلا ولو في غير موضعه * ما خاب قط جميل اينما زرعا
ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذي زرعا) ومن الحكم
من فرش رقد ومن زرع حصد وكل زارع يحصد ما زرعه من خير او شر قال الشا

غدا توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا ان احسنوا احسنوا لانفسهم وان اساؤا فبئسما صنعوا
قيل لما ظلم احمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة
رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها وببركاتها يشكون اليها من ظلمه وجوره قالت متى يركب
قالوا فى غد فكتبت له رقعة ووقفت فى طريقه وقالت يا احمد يا ابن طولون
فلما رآها ترجل فناولته الرقعة من يدها فقرأها واذا فيها مكتوب ملكتم
فاسرتم وحكمتم فقهرتم وخولتم فعسفتم ودرت اليكم الارزاق فقطعتم
هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب اوجعتموها
وكبود جوعتموها واجساد اعريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم
اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا
الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فعدل لوقته رحمه الله
ثم ان الناظم نبه على مصيبة اخرى من انواع الظلم ابتلى بها هو وغيره
من اخوانه الفلاحين والبطالين وغيرهم فقال

ص (ويوم يجى العونة على الناس فى البلد ❊ تخبينى فى الفرن ام وطيف)

ش قوله (ويوم) بالتنوين وعدمه فى هذا البيت (يجى العونه) وهو اوان حفر
السواقى وضم الزرع وحفر القنى مما يحتاج اليه فى هذا المعنى والعونة انما
تكون فى بلاد الملتزمين التى فيها الاوسية وهو ان غالب الملتزمين اذا
اخذ قرية او كفرا من كفور الريف يزرع فيها او فى الكفر جانبا من الارض
والبقية يعطيها للفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب الذى يزرعه
زرع الاوسية فيرسل تيرانا واخشابا ومحاريث وما يحتاج اليه ويجعل له
على ذلك وكيلا ومحلا معدا لاخشابه وبهائمه ويقال لها دار الاوسية
ويوكل من يصرف على البهائم وغيرها بحسب وضبط فاذا احتاج الامر لشيل
الطين من الابيار او لحفر القنى او ضم الزرع امر المشد بالقرية او الكفر رجلا
يقال له الخفير فينادى العونه يا فلاحين العونه يا بطالين فيخرجون عند
صبيحة النهار جميعهم ويسرحون للحفر او لكل ما يامرهم به كل يوم من غير اجرة الى
ان يفرغ الحفر والضم وكل من تراخى او تكاسل عن السروح اخذه المشد وعاقبه وغرمه

دراهم معلومة وبعض البلاد تكون العونة فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا فلا ينفك من عليه العونة منها وان مات جعلوها على ولده وهكذا فهي داهية كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين * والله للهمّ اراح الله قريتنا منها انما هي فراديط معلومة على الفلاحين لا يعرف الملتزم الآخر احيانا يأخذ في كل سنة على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوائد ومظالم فليست كبلاد الاوسية لانهم دائما في تعب وكدر وغرامة وسخرة وهم زائد والناظم كان مقيما ببلاد الاوسية فلهذا ذكر انه اذا حضر العونة (على الناس في البلد) اى بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها لا كل سكان القرية ولعل الناظم كان ممن يسرح للعونة لقلة زرعه وشدة فقره وانه متى غاب ساعة عن صالحه من غير كسب احتاجوا الى ذلك فلا يقدر ان يترك العونة ويذهب لشغل يكتسب منه فلهذا قال (تخبيني) اى تخفيني عن اعين الناس حتى لا يراني احد ولا يسمع بي (في القرن) اى قرنة الكائن في دار المعد لخبز العيش ودمس القطاير وطبخ البيسار والفول المدمس ونحو ذلك (ام وطيف) اصله وطفه وذكره بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف وهو الخيال السارى مناما قال الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزني * سحيرا وصحبي بالفلاة رقود

فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * ارى الدار قفرى والمزار بعيد

او من الطوفان او من اطواف الجلة التي تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة الشغل في لزق الجلة وعملها اطوافا فمن هذا كنوها ام وطيف * واما اسمها على ما قيل زويعة وقيل خطيطة او معيكة وهي ام الناظم او زوجته او اخته وسميت العونة عونة لاشتقاقها من المعاونة لانها جماعة تخرج للمعاونة بعضها بعضا في شغل الملتزم ونحوه او انها اسم للجماعة المتعاونين على الشيء ولهذا يقال ناكوا فلانا الليلة عونة اى تعاونوا كلهم على نيكه دفعة واحدة في الزريبة او الشونة ويعايرون بها الامرد ويقولون له انت

يا خوريا بقرة عونتك منه اى مائة نفس أو انها من الماعون اسم للزلعة الكبيرة ومصدرها عوّن يعوّن تعوينا او عان يعين اعانة قال الشاعر

فعوّن تعوينا وعان اعانة ✽ وكل له معنى صحيحا وقد ورد

فان قيل ان كلام الناظم يشعر انه اذا اختفى في الفرن يتركونه ولم يشعر به احد وهذا بخلاف ما تقدم من ان العونة لابد من الشروح اليها وخصوصا اذا كانت مقررة على الشخص من قديم الزمان ومن زمن اجداده كما تقدم فما الجواب قلنا الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقي من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يفتكر احد وانما اراد الاختفاء خوفا من اقاربه ان يسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه او يشوشون عليه وهذا القول يدل على ان العونة لم تكن مقررة عليه لانه كان في ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرفا فيه او انه اعتراه الكبر وصار شيخا عاجزا فاذا حضر وقت العونة اختفى في الفرن تسترا على نفسه حتى لا يراه احد كما يقال في المثل

البعد عن الشر غنيمة او وعين لا تنظر قلب لا يحزن فاتضح الجواب عن هذا الاشكال

ولما فرغ الناظم من شكواه من الفقر والعترة والقمل والصيبان وعداوة اقاربه وما ناله منهم من الوجبة والخراج والعونة ونحو ذلك شرع في تمني جملة من الماكل اورؤيتها لشدة ما هو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لا يعرف هذا الطعام ولا يراه الا عند الناس فتمنى ان الدهر يغلط معه ويرى ذلك او يملكه ولو نسيئا قبل انقضاء ... م وابتدا بالكشك لانه اغزر ما كول اهل الريف فقال

ص ✽ (ولا هدفي من بعد هاده وهاده ✽ سوى الكشك لما يستحي غريض) ✽

ش قوله (ولاهدفي) اى هدجيلي وقوتي ما خوذ من هد الحائط واصله انهدم بزيادة الميم حذفت منه جريا على اللغة الريفية او انه من الاكتفاء كقول الشاعر

مليكة الحسن جودي بالتفاكهة ✽ لمغرم قلبه قد ذاب فيك اذى

افسدت قلبي فقالت تلك عادتنا ✽ قد قال سبحانه ان الملوك اذا

وقيل هد وهد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسما ركب من فعلين والهدهد طائر معروف ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام

وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد أم كان من الغائبين لانه كان رسول الطير وكان يدله على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله فيه وسئل ابن عباس رضي الله عنهما ما الحكمة في ان الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ ويقع فيه فقال رضي الله عنه اذا جاء القضاء عمي البصر * أو أنه مشتق من الهدية لمقاربة اللفظ وفي الحديث تهادوا تحابوا * ويقال اصل المحبة الهدية واصل العداوة الشكية واصل البغضة الاسية فالهدية لها موقع في النفس ولو كانت شيئاً يسيراً * وفي المثل هدية الاحباب على ورق السداب وقال بعضهم

جاءت سليمان يوم العرض قنبرة * تهدي اليه جراداً كان في فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار مهاديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

أو أنه من الهذيان بالذال المعجمة وهو الصحيح ومصدرها هذ يهذ هذاً او هدم يهدم هدماً على اللغتين من قولهم هدك الله هداً او هدمك هدماً بمعنى أنه يضعف قواك ويبطل حركتك كما يبطل نفع الحائط اذا هدم ونحوه قوله (من بعد هاده وهاده) بالهاء والالف والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محركة الطرفين اولها مثل آخرها اذا وقفت عليها واصلها هذا اسم الاشارة الا ان السنة اهل الريف غيرتها والمعنى ان هذا هدّ حيلي واضعف قواي من بعد ما تقدم اولاً وهو اكل النمل والصيبان والقمل والحيرة ونحو والذي اتى عقبه وهو الضرر من الاقارب وهم الفلاح والوجبة والخوف من نزول الكشاف والعونة وطلب مال السلطان والطرد في الغيطان وغير ذلك مما تقدم ذكره على حل قول بعضهم (هم الفلاح في وكل سنا في نقصانه ما انفك من هم الوجبة * لما يجي مال السلطان)

فالفلاح اذا كان فقيراً تجده دائماً معرضاً للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذة المأكل والمشارب ولا راحة له ابداً الا ان غلق مال السلطان واما اذا بقي عليه شيء يسير فانه دائماً في افكار آناء الليل واطراف النهار وطرد وتعب وهم ونصب الا ان اعطاه الله تعالى البركة في الزرع فانه يأتي من القليل كثير بحسب نيته وقت البذر في الارض وقصده ذلك الوقت انه ينتفع به هو وغيره

كأكل الطيور والدواب ونحو ذلك مع الاتكال على الله عز وجل في طلوعه وحفظه من الآفات فإن الله يبارك له فيه مع مزيد الثواب لما روي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مر بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب يسألون الناس فقال من أنتم قالوا نحن المتوكلون فقال لستم كذلك إنما المتوكل من وضع الحبة بين الماء والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزارع أقوى توكلا من غيره إن لاحظ ما تقدم ذكره وقت البذر (فائدة) يستحب عند بذر الحب في الأرض أن يصلي ركعتين ثم يقول اللهم أنا عبد ضعيف إليك سلمت هذا البذر فبارك لي فيه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره الإمام الزاهد قال بعضهم أربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جلس في بيته ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالسعي * ورجل أنفق ماله في معصية الله تعالى أو بناء فافتقر ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالاقتصاد ألم تسمع قوله والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * ورجل دفع ماله لرجل بغير بينة ثم طالبه فأنكر يقول يا رب خلصني منه يقول الله له ألم آمرك بالاستشهاد عليه * ورجل له امرأة سيئة الخلق يقول يا رب خلصني منها يقول الله له ألم أجعل أمرها بيدك أما سمعت كلامي الطلاق مرتان انتهى * ولكن بحمد الله أدار حنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لآبائنا ولا أجدادنا فنحن على حد قول البهلول رحمه الله تعالى

اذا ركب الملوك على الجياد * وقد شدوا البنود على القصاد
ركبت قصيبتي ولبست مشحي * وسرت كسايرهم في كل وادي
فلا الأجناد تطلبني بمال * ولا الديوان يغلط في عدادي

فالفلاحة على كل حال بلية أعاذنا الله والمحبين منها * وقوله (سوى الكشك) وهو في أصله مركب من البر واللبن غليظ محرك للأمراض قال الشاعر

الكشك ريح غليظ * محرك للسواكن ۞ الأصل دربرت * نعم الجدود ولكن

أي ولكن بئسما خلفوا ففيه اكتفاء وصفته أن يؤخذ البر وهو القمح ويغسل غسلا جيدا ويغمر بالماء ويوضع على النار ويقاد عليه حتى يلين ويغلظ الحب ويصير مصلوقا ثم يجفف في الشمس ويدش ويوضع في إناء

ويصب عليه اللبن والمش المصير ويحرك ثم يترك اياما ثم يحرك ويوضع
عليه اللبن وهكذا حتى يتخمر ويأخذ قوامه وتفوح له رائحة للحموضة ويصير
على غاية من جودة الطعم ثم يزاد من اللبن لأجل خفة حموضته ثم يقرص اقراصا
صغارا او يوضع فى الشمس الى ان يجف فيؤخذ ويخزن لوقت الطبخ وهذه
صفة كشك بلاد البحر وهو الاجود والاحسن فى المأكول * واما كشك
الكفور وبلاد الملق الذى ذكره الناظم فلا اراك الله مكروها فانهم يصنعونه
بالمش المصير وقليل من اللبن ولهذا يوجد كثير الحموضة حريف الطعم غليظ
الطبع من غير تحريك للضرورات وهو الذى يضرب لونه الى سمرة وكلما
كان ابيض نقيا قليل الحموضة كان جيدا وكذلك كشك الصعيد فانه يشبه
كشك الكفور فى عدم الجودة الا انهم يجعلونه مثل البنادق الكبار وفيه نوع
جيد لكن قليل وحسن نظافته * واما كيفية طبخه فعلى اقسام
بحسب البلاد التى يعمل فيها فاهل بلاد البحر يطبخونه بالارز واللحم السمين تارة
وبالدجاج او بشئ من اصناف الطيور المأكولة أخرى او يجعلونه بالارز فقط
ويصيرونه ثخينا واما اهالى المنزلة ودمياط يطبخونه بالسمك البورى السمان
واكلته بدمياط مرارا وابناء الترك يجعلونه رقيقا مائعا بقليل من الارز
بحيث يشرب بالملعقة ويقلون له بالخضرة والادهان والسمن ويطبخونه
باللحم الضان السمين فيكون له لذة عظيمة فى المأكل وتعتدل طبيعته خصوصا
مع لحوم الضان والدجاج والارز ونحوه * واما القسم الردئ المحرك للسوداء
المذكور فى الشعر المتقدم فهو كشك اهل الكفور وبلاد الملق فانهم يتساهلون
عند الطبخ فى غسله وتصفيته ويضعونه فى بوشة او قدرة او دست على النار
ويضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش ويوقدون عليه بالنار الى ان
يأخذ قوامه ويتغير لونه ويحرطون له بصلة ويضعون عليه قليلا من الشيرج
ويقلون له بذلك ويغرفونه فى مثارد او شوالى فخار ويفتون فيه خبز
الاذرة او الشعير ويأكل الشخص منهم مثردا او مثردين بالمضغ والملط
ويشرع الى الغيط الى وقت المساء فيجد ما بقى منه قد جمد وظهرت فيه

فصوص الفول فيلط منه الى ان يـ ـة وهذا يسمى عندهم هراش العجائز وهو أعز المأكول عندهم وغالبهم يصنعونه في اعراسهم كما سبق بيانه في الجزء الاول من هذا الشرح ولا يعرفون طبخه بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم الا نادرا واللحم لا يأكلونه الا من العام الى العام كما سيأتي بيانه * ونوع آخر من هذا القسم يطبخونه من غير فول بل مجرد كشك من غير وضع شيء من التقالي عليه يسمى عندهم بيرب وهذا وما قبله يولد الارياح ويحرك السواكن ويضر بالمعدة لزيادة الفول فيه لانه غليظ الطبع وكذلك القمح لانه حار رطب والمشش الصبير بارد رطب والفول غليظ ثقيل فيتولد الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة * وللكشك منافع قبل طبخه منها انه اذا أذيب بالماء وشربه المحرور نفعه وسكن التهاب معدته واذا توعك الجمل من ألم الحر يسقى منه بزول ما به ولهذا يستعمله المسافرون اذا آذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم وينفع من الوضر بالسياط طلاء وله منافع أخرى مذكورة في كتب الطب * واما أهل الصعيد فانهم يطبخونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل لا غير فهذا لا فائدة فيه وليس له طعم ولا لذة لان نفعه لا يكون الا بعد تصفيته لكن غالب مأكولهم الويكة والملوخية كما شاهدناه في بلادهم * قيل اتى رجل من اهل الصعيد من نواحي قنا وقوص الى مصر ليشتري له جارية للخدمة فرأى جارية تباع بأعلى ثمن لمعرفتها بأنواع الطعام فوقف عليها وسألها هل تحسني الطعام مثل ما يقولون فنظرت اليه وقالت له من اي البلاد انت قال من الصعيد فقالت انت لا تحتاج الى طعام فاخر فان مأكول اهل الصعيد في كل سنة ستة اشهر ويكه وستة اشهر ملوخيه فلا تحتاجون الى طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضى متعجبا (مسئلة هبالية) ما معنى اسم الكشك وما اشتقاقه وما معنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع الآخر المسمى بالبيرب وما معنى قول الناظم انه هد حيله عند مشاهدته وفرغ فرحه وشم رائحته (الجواب المقشرى) ان لفظة كشك هو من الالفاظ المقلوبة التي تقرأ طردا وعكسا ومثلها كعك وشاش وباب ومثلها سر فلا كبا بك الفرس

وقلع مركب ببكر معلق * وحشك تتزوج بعجوز شكشع * وقد ورد ذلك في
القرآن العظيم في قوله تعالى وربك فكبر كل في فلك * وغير القرآن
مثل كمالك تحت كلامك وعلق تحت قلع * ومن النظم قول الحريري

اس ارملا اذا عرا * وارع اذا المرء آسا * اسل جناب غاشم * مشاغب ان جلسا

وايضا ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره واول الكشكة مثل آخرها
فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى * او انه عند وضعه يكش ويضم
من حرارتها * او انه من قول بعضهم اكل فلان الكشك عند فلان بمعنى
انه اكل اكلا كثيرا حتى انتفخت بطنه وصارت مثل ماجور الكشك *
او من الكشك بضم الكاف والشين وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب
على الاخشاب تجعله الاكابر للجلوس او ان الكشكة لما صارت مدورة
كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين المهملة
بالشين المعجمة لقبح اللفظ واضافوا الى الكلمة كافا وقالوا كشك
ومصدره كشك يكشك تكشيكا * واما تسمية النوع منه بهراش العجائز
فالمراش في الاصل النطاح يقال مهارشة التيوس ونقاد الديوك ونسب
الى العجائز لانهن في الغالب يطبخنه بشهوة ويتهارشن عنده مهارشة تضيق
منها النفوس ويظهر منها الهم والعكوس وناهيك بعجائز اهل هذه البلدة
اى مصر فانهن قسم من غيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا الماكول سمى
بهذا الاسم او انه من باب هرش المعدة * واما تسمية النوع الآخر نيرب
فلعله من النيروب على وزن الدبلوب او انه منسوب الى رجل اسمه نيرب على
وزن ارنب حيوان يحل اكله فخشوا الالتباس في اللفظ فقالوا نيرب او انه
فعل في زمن النيروز فقالوا لا نيروز فالتبس الامر في اسمه واسم الزمن
فابدلوا الزاى الذى في آخره بالباء الموحدة وقالوا نيرب * وقول الناظم
انه هد حيله وقد شاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه له وقلة
طبخه عنده وانما كان رؤيته له عند الجيران فمن هذا اذا رآه قد قرب للاكل تحسر وتأسف
وخصوصا (اذا استحق غرفه) اى لما ينتهى طبخه ويريدون غرفه وتفوح رائحته عند غرفه

في ديوانه

واصلها يستحق العرف بآلة التعريف لكن حذفها وزاد الياء المثناة من تحت لاجل النظم وعريف على وزن كنيف وهي نقرة معدة للخراء فيها فعند مشاهدة هذه الحالة وشم الرائحة ينهد حيله لان همة الشخص طول عمره بطنه وفرجه كما قال ابن الناس في ديوانه
والاجواد شاعت ثناها ماضرتني غير بطني والتي مدانى حداها
(وفي بعضهم مواليا) يا دنية الشوم طول عمري وانا اشتد
في هم ذي البطن التي ما ترتجع حدا اضنا ابي واجي بجد العشا اتعدا اقوم في الصبح الـقى ما بنيتو انهد
فمن هذا لم يقنع الناظم لانه لا يقضي مراده ولا هو من قسم النحل يعيش بالشم بل من الادميين وخصوصا من اهالي كفور اهل الريف يفطر الشخص منهم على مدرد او مدين من الكشك او البيسار او الفول المدمس كما سياتي فلا لوم عليه في هد حيله (يحكى) انه ركب المامون وخرج الى البر وكان راكبا خلفه بختيشوع الحكيم فقابله عليان المجنون فقال له يا بختيشوع جس بطني فجس بطنه وقال له ما تشتكي يا عليان فقال اشتكي استي فقال له بختيشوع خذ لك عود اراك ودسه وراك فهو صالح لذاك فرفع عليان يده وضرطه ضرطة مزعجة وقال له خذ ذا بذاك ونحن نجرب دواك فان عافانا الله بذاك حمدناه وزدناك فخجل بختيشوع وضحك المامون حتى استلقى على قربوص سرجه
*وبذكر هذا المعنى تذكرت ما اتفق لبعض الاطباء انه جلس في بعض الاسواق ينظر في امراض الناس فاتى اليه رجل لطيف الذات من ابناء النعم وذوي الرفاهية وجلس بين يديه ومد يده اليه وقال له انظر ما بي فجس نبضه وقال له ما اكلت اليوم فقال شيئا من الفول الحار على الفطور فقال له خذ لك شيئا من الزبيب والشامكي وشيئا من السكر واستعمل ذلك فان فيه الشفاء ثم قام من عنده واذا برجل من اهل الريف كانه في الشكل جمل او سارية فوق الجبل اقبل على ذلك الطبيب وهو ينفخ نفخ الدبيب وقال له انظر ما بي من المرض بلطف فانا احس في بطني بضعف وقدم له يدا كانها خشبة وساعدا كانه حطبة فجس الطبيب يده وقال له ما الذي اكلت اليوم في فطورك وغذاك فقال له انا احكي لك وحق تربة ابو طله

وتربة معيكه بن ابو جعفر ام أنا لما قمت من النوم لقيتا فراقى ام معيكه
ساطا بوشه بيساكين وكنت اسحب العيش ولهطت منها مترد مترد ين
قل ثلاثه فقال الطبيب وغير ذلك فقال ورحت لجارتنا ام دعموم لقيت
عندها فول مدمس كلت منه مترد مترد ين قل ثلاثه قال الطبيب نعم وغير ذلك
فقال وسرحت الغيط وعند الحاج عنطوز غيط فول كلت شمال شمالين
قل ثلاثه ورحت من الغيط عند مشد الكفر فلقيت عنده كشك لهطت
منه مترد مترد ين قل ثلاثه ورأيت عند نا عرس فى الحاره وعزمو فى فرحلت
عندهم طبخو الطبيخ كثير كلت من داك الطعام مترد مترد ين قل ثلاثه
ورأيت عند تاجيار اصفر كلت كوم كومين قل ثلاثه وجيتك تنصر حالى
فانى باحس فى بطنى ضعف * فقال له الطبيب خذ لك من الزبيب
قنطار قنطارين قل ثلاثه ومن السنامكى قنطار قنطارين قل ثلاثه ومن
السكر قنطار قنطارين قل ثلاثه فقال له انا سمعتك بتوصف لحى جالك
قبلى شئ قليل من السنامكى والسكر والزبيب وبتوصف لى قناطير فقال له
يا اخس الفلاحين وهل يلحى عن الاكلات الا هذه القناطير وهذه الشر
ثم اخذ خرجه على كتفه وحلف انه لا يجلس بقية يومه فى السوق من اجل هذا
انفلاح فاتجه المقال عن معنى هذه الاحوال واتضحت العبارات عن
هذه الخرافات * ثم ان الناظم لما فرغ من ذكر هذا الطعام تشوق الى
شئ اغلظ منه لانه مستعمل عند اهل الريف فى غالب ماكولهم فقال

ص (ولا شاقنى الا المدمس ورحتو * على من جتو جفنه بنص رغيف)

ش قوله (ولا شاقنى) من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال
سيدى عمر بن الفارض (ولولاكم ما شاقنى ذكر منزلى) وشاق على وزن قاق وهو
صوت الاوز ومصدره شاق يشوق شوقا مثل فاق يفوق فوقا والمعنى
انه يقول ما اكثر شوقى وزاد هيامى الى شئ من جميع الماكولات (الا المدمس)
مأخوذ من المدمس لكونه يدمس فى النار كما سيأتى ومصدره دمس يدمس
تدميسا فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفى وحضرى وان كان

الاصل واحدًا وهو الفول لان الشئ يشرف بشرف الاماكن تارة وبالصناعة الجيدة اخرى * فاما الحضرى وهو ما يباع فى مصر وغيرها من المدن فانهم يأخذون الفول النقى الابيض ويتركون منه الردئ ويضعونه فى قدر كبار واسعة البطون ضيقة الافواه بقدر ما تسع يد الرجل عند ما يتناول منها ثم يصبون عليه ما يغمره من الماء الحلو الرائق ويسدون فم القدر بشئ من الليف لنظيف او اناء طاهر سدًّا محكمًا ويدمسونه فى نار قوية خالية عن الادخنة والروائح الكريهة مثل جورة الفرن ونحوها ويتعهدونه بالسقى كلما نشف ليلة كاملة حتى يطيب ويعتدل ويتركونه ويصير فى غاية من حسن الاستواء يشبه فى لونه الذهب وفى استوائه العجوة مثلًا بحيث كل من رآه يشتهيه فاذا ارادوا اكله اشترى الشخص ما يكفيه واضاف اليه السمن البقرى او الزيت الطيب او قشطة اللبن واحضر الخبز الابيض النظيف وربما كان مصحوبًا بالكراث الاخضر والليمون او الخل فمن هذا يصير غذاءً جيدًا تكتسب عنه الاعضاء وتمتلئ به المعدة ويحصل قليل من الضعف خصوصًا اذا شرب القهوة بعد ذلك فيكتفى الشخص به عن غيره من الصباح الى المساء * واما النوع الريفى وهو مثل اهل الريف الذى اشتاقه الناظم فلا اراك الله مكروهًا ان كنت ما ذقت الخرا فكل منه فانهم يأخذون الفول ان كان جيدًا او رديئًا على سائر اوصافه وربما اخذته زوجة الفلاح من مدود البقرة او التبن ونفضت ما عليه من آثار التبن ووضعته فى اناء يقال له البوشة وغمرته بماء كدر متغير الرائحة من ماء البرك او من مقاطع النيل التى تبقى ببلادهم وتسد فم البوشة بشئ من الكتان او بخرقة فيها الدناسة وتضعها فى محماة الفرن الملآنة من الدمس والجلة وربما وضعت ذلك عليها ايضًا وتسد عليها باب المحماة المذكورة الى الصباح ثم انها تخرجها وقد امتزج الفول بروائح الزبل والجلة وذلك الماء المتغير واسود وصار مثل زبل الغنم وظهرت له رائحة كريهة ثم تأتى بالمترد وتحرك البوشة وتفرغ الفول فيه فيجئ الشخص منهم مثل الكلب الكاسر

وتأتيه بخبز الأذرة اليابس أو خبز الشعير ويقطع ويبلع حتى تمتلئ بطنه فاذا اكلت منه فكأنك تاكل من زبل الغنم مثلاً ومنهم من يأكله بالكراث او البصل وربما اضنا فواعليه شيئاً من القمح او الحمص والاكابر منهم يجعلون عليه شيئاً يسيراً من الزيت الحار ومنهم من لا يكون عنده خبز فيستف منه عند الصباح من غير صلاة ولا غسل وجه الى ان يكتفي ثم يشرب فوقه الماء حتى يصير كالزق المنفوخ وينحب البوت ويخرج مثل النعوت فهذا مذمتهم وصفة ماكولهم اراحنا الله من ذلك وقوله (وريحتو) اصله ورائحته حذفت الهمزة للضرورة او جرياً على اللغة الريفية اى شاقني رائحته الممتزجة بالزوايد المتقدمة للذتها عندي اذا اشتهيتها فاشتاق اليها والى الاكل من الفول ولكن لا اجد ذلك لشدة فقري والريحة مشتقة من الريح او من الروائح او من ابو رياح الذى تلعب به الصبيان او من الراح وهو من اسماء الخمرة قال الشاعر

فالراح كالريح ان مرت على عطر * تزكو وتخبث ان مرت على الجيف

او من قولهم مواليا (ابن قلت ياصاحبي في رايحيه * من تحت حيطا وهيا ميتة حيه * وقاعده واقفه على الارض مرميه * وجائره راقده فوق حيط مبنيه) وهي المعدنية على حد قول بعضهم (المعدنيه رايحيه * تنسحب بالخيط * يا ابو جبه * الا انا زليبت)

ثم ان الناظم لما ذكر اشتياقه الى المدمس ورائحته وان من لازم ذلك الاكل منه لان النظر والشم لا يقوم مقام الاكل والمضغ فتمنى ذلك وقال (على) هذا من حروف الجر الا انه وقع هنا فعلاً والمعنى علا وارتفع قدر (من جتو جفنه) او على جسمه وقوى جنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوة بعد الجوع قال الشاعر * علا زيدنا يوم اللقا رأس زيدكم * بابيض ماضي الشفرتين يماني او يكون حرف الجر على بابه ويكون المعنى على كل حال ان من جاءته اى حصلت له جفنة ملآنة من هذا الفول المدمس ولو كانت هدية او صدقة وحصل له معها (نص رغيف) حذفت الفاء من نصف جرياً على اللغة الريفية كقولهم نص فضه او من قبيل الاكتفاء او من جهة الترخيم كقوله (افاطم مهلاً بعد هذا التدلل) فيكون يومه ابرك الايام واسرها ان حصل له هذا الامر وطلبه نصف رغيف

ولم يطلب رغيفا كاملا فيه اشارة الى ان الفول المدمس حامي الطبيعة فلا يحتاج الى خبز كثير فيكون نصف رغيف كاف له مع كثرة الاكل من نفس الفول من غير خبز مثلا او من باب سد الجوع * والجفنة اناء كبير معد لوضع الطعام * قال بعضهم يصف قوما بكثرة الاكل واتساع البطن (كل جلف بطنه خابيه * واذا صحفته كانت خابيه) وفي نسخة اخرى بالحاء المهملة اي حفنة من الفول المدمس والحفنة ملء كف الانسان مع انضمام الاصابع بعضها لبعض لكنها بالجيم المعجمة اولى وبين جفنة وحفنة الجناس المصحف وهي مشتقة من جفن العين لكونها حافظة للطعام كما ان الجفن حافظ للعين ولما وضع فيها من الكحل وغيره فيستر في اجفانها وتطبق عليه وتحفظه حتى تؤثر في قوة النظر وكمال حسن الخلقة بذلك * قال الشاعر * اقول للمغلبية حين نامت * وكحل العين في الاجفان سار تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار) ومصدره جفن يجفن جفنة ثم ان الناظم تمنى مأكولا آخر من غالب مأكول قريته اغلظ طعاما من المدمس فقال

من * (على من راى البيسار في الجرن جالوه * ويدعس ولو كان بالقلع ضعيف)

ش قوله (على) تقدم معناه في البيت الذي قبله (من راى) رؤية بصرية (البيسار) وهو نوعين ريفي وحضري كما تقدم في غيره فالريفي مركب من شيئين الملوخية الناشفة والفول المدشوش لا غيره وكيفية طبخه عند اهل الريف انهم يضعوا في البوشة الملوخية الناشفة وشيئا من الفول المدشوش ويغمرونه بالماء ويضعون البوشة في الفرن الى قرب الاستواء فيخرجونها ويفركونها بالمغراك الى ان يأخذ ما فيها قوامه وينهري الفول وتفوح رائحته فيعيدونها في الفرن يسيرا اذا احتاج الحال الى ذلك ويزيدونها ماء اذا لزمها حتى يستوي ثم يقلون له بشيء يسير من الشيرج او الزيت الحار بالبصل ويغرفونه في شالية او مترد ويفتون فيه الخبز الشعير او فطير الاذرة حتى يصير مثل الكرس ويأكلونه بالبصل الاخضر او الناشف فيأكل الشخص منهم المترد الفت او المتردين في الغداء والمتردين في العشاء

ويسحب بنوبته وحدونه خلف قفاه ويسرح بالبهائم اوللضيم اوللمحرث
وهذا غالب ماكولهم خصوصاً فى رمضان وقت الفطور والسحور حتى يصير
الشخص منهم كانه زق منفوخ كما تقدم ثم ينام على الفرن بالجلة والوحل طه وعليه
هو وزوجته وهما من غير صلاة ولا عبادة فتخرج الروائح فى بطونهما وتخرج من
بينهما مثل الزوابع فيكون هذا بخورهما طول ليلتهما فلا يقوم الشخص منهم
الا وجبته قد فاحت راءحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وان جامع
زوجته تلك الليلة فيكون حظهم ضراط وعياط وفساء وشياط فهذا
حالهم فى الاكل والنكاح نعوذ بالله من طباع الفلاح * واما النوع الحضرى
فما الذه واشهاه وما اطيبه واهناه وهو ان الشخص من اكابر مصر اوغيرها
من المدن التى تجلب اليها الملوخية او تزرع فيها اذا اشتهى فعلها فعلى اصناف
منهم من يأخذها ناشفة نقية من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها
اوربما انشفها فى بيته ويسلمها لمن يتعاطى طبخها من زوجة اوخادم فتضعها
فى دست نحاس مبيض اوطنجرة رومية عليها غطاء محكم وتضع عليها الماء
العذب الزلال الرائق ويوقد عليها بالحطب الرومى حتى تأخذ قوامها فى
الاستواء ثم تفركها فركاً لطيفاً ثم تقلى لها بالثوم الشامى اوالبلدى ممزوجاً
بالسمن البقرى وتضيف اليه دهن الالية وتلقى عليها شيأ من البهارات كالفلفل
وما اشبهه وشيأ من الكمون لدفع ضررها ومنهم من يضيف اليها شيأ يسيراً
من الفول المدشوش ولكن يزيد فى الدهن والسمن حتى يستهلك طعم الفول
ويغلب طعم الدهن والسمن والبهارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان
الفول صغار الكباب من لحم الضان ويسمى هذا النوع بجمع الحبائب والاصحاب
ونوع آخر وهو انها اى الملوخية تؤخذ وهى خضراء نضرة بنت يومها وتخرط
خرطاً جيداً وبعض ابناء الترك يفعلها من غير خرط فيصير لها لذة عظيمة
وبعضهم يحشيها باللحم ويسمى هذا النوع ملين الطبائع لما فيه من البرودة
ولطافة الماكل وسرعة الانهضام وحصول الخفة فى الجسد * ونوع آخر
وهو الذ واشهى مما تقدم واقوى نفعاً واعظم ماكولاً وهو اخذ الملوخية

وهي صغيرة في ابتداء طلوعها وخرطها جيداً و... ما بالفراريج والأرز
مع كثرة الأدهان أو باللحم الضان وأهل مصر يرغبون في هذا النوع ويفعلونه
كثيراً حتى أن الشخص منهم ينفق على طعام الملوخية في ابتداء أمرها جملة
من الدراهم ويدعو أعز أصحابه يأكل منها وتكون عندهم الذ من طعام الأعياد
ويتحدثون بهذه النعمة ويقولون عزمني فلان وأطعمني الليلة ملوخية الجديد
بركة السنة وربما أكلوها بالخبز النظيف المقطف المقمر المخبوز بالحبة السوداء
أو الشمر فيفتون فيها حتى تنشرب بتلك الدسومات العظيمة وروائح تلك اللحوم
السمينة وهذا من جودة رأيهم وزكاء عقولهم وحبهم في الشيء عند ابتداء طلوعه
كما يقال (كل جديد له لذة وكل قديم له هجران) ويقرب من هذا المعنى قول ابن عروس دوا
اول زمانك يعزوك * غالي وقع في يد غالي * وان دبت باشاشن بورك * والي تجري لكبري لي
فان الشيء في ابتداء طلوعه له لذة عظيمة وفرحة عند العيال * ونوع آخر
يسمى بوراني وهو أنه تقطف أوراق الملوخية ثم يقلونها بالسمن ثم تفعلون
بها كما مر ولهذا ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به أنه ينبغي
الأكل من الشيء عند ابتدائه أي ابتداء طلوعه مثل الخضراوات وغيرها من الفواكه
فان نفعه في ابتدائه أكثر من نفعه في انتهائه وأهل مصر على هذا القدم
يسعون في أخذ الشيء في ابتدائه ولا يكترثون به في انتهائه بجزاهم الله خيراً
عن مروءتهم وأدام سرورهم بنسائهم وطيب معاشرتهم وأعاذنا الله من
الريف وجهله وغلظ ما كوله وطباع أهله (سؤال) ما الحكمة في تسمية
الملوخية بالفول بيساراً وما الحكمة في تسميتها ملوخية وما اشتقاقهما في
معنى ذلك (الجواب الفشروي) على وجهين الأول ان الذي اخترع البيسار
في الأصل كان أبوه فلاحاً يزرع الملوخيا وكان بينه وبين ولده مشاحنة
فذهب ذلك الرجل الى غيط أبيه المذكور وسرق شيئاً من تلك الملوخية
وأتى به الى زوجته فقالت ما تريد بهذا فقال لها قصدي أصنعه طعاماً
ثم أخذ ورقها ووضعه في بوشة وجعلها على النار فجاء ولده الصغير
وألقى في البوشة شيئاً من الفول المدشوش أخذه من مدود الحمارة

فامتزجت الملوخية بالفول ثم اخذ البوشة بعدما استواء ما فيها وغرف في
مترد وجلس ياكل منها فدخل ابوه وقال له ما هذا الشيء الاخضر فدلس عليه
القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثم بان الامر انه سرق الملوخية
من غيط ابيه فتضارب هو واياه وحلف ابوه انه لا يمكث في البلد وركب
حماره وسار الى بلد اخرى فصار ابنه ينادى ابى سار ابى سار فحذفوا الالف
من ابى وجعلوا هذا اللفظ المركب من اسم وفعل علماً على هذا الطعام وقالوا
بيسار * وافادني بعض اخواننا رحمه الله تعالى وجهاً آخر وهو انه لما وضع فيها
الفول نادى لسان حاله بيسار اى سار طبخي بهذا الفول طيباً والوجه الثاني انه مركب
من البسر ومن البيسار من قولهم في معنى ذلك (سعيده كامزاره * وتحب طبيخ البيسار) *
واما الملوخيا فقد عرفها ابن سودون رحمه الله تعالى بهذا اللفظ الموضوع عليها
في ديوانه بقوله في هذا المعنى (ابو قردان زرع فدان ملوخيا وباذنجان) ان
هذا الاسم نبات اخضر نضر واصله يا ملوخي فأخروا حرف النداء وابو قردان
اول من سماها بذلك على ما قيل وسبب ذلك انه لما زرعها في فدانه وصلح
للطبخ ملخ منه شيئاً وتركه في مكانه وذهب لبعض شانه فجاء بعض اولاده
واخذه فلما رجع لم يجده فناداه بحذف حرف النداء لظن قربه منه وقال
ملوخي فلم يجبه بشيء فاتى بحرف النداء وقبل ان يقول ملوخي اتاه ولده واعلمه
باخذه فادخل على قوله ملوخي ياء وادغمت الياء في الياء فصار ملوخيا انتهى
وتلقب بالخضيرة وتكنى بام الادهان وام الافراح وليس في الاطعمة
الطف منها ولا اكثر نفعاً وقد صنف بعض العلماء في منافعها كتاباً جليلاً
* واما نهي الحاكم بامر الله عنها فقيل لنسبة معاوية رضي الله عنه اليها لانها كانت احب
الاطعمة اليه خصوصاً عند ابتداء طلوعها * وقوله (في الجرن) وهو محل درس
الفول والقمح ويطلق على الحجر المنقور الذي يدق فيه البن القهوة يقال جرن
اليوم فلان زرعه بمعنى انه نقله من الغيط ووضعه في هذا المحل على بعضه
كالكوم وصار ياخذ من حواليه شيئاً بعد شيء ويدرسه بالنورج وهذا المأخوذ
يقال له عند الفلاح رمية * وقيل اصل الجرن الجرم بالميم بدل النون *

مأخوذ

مأخوذ من جرم اللحم وهو لنبذه بالسكين من على العظم ابدلت الميم نونا لقربها
في المخرج والمناسبة لهذا المعنى ان النورج يجرها القمح او الفول او ما القي اليه
من الحبوب ويخلصه مثل ما تخلص السكين اللحم من عظمه ويطلق هذا اللفظ
على الجرم الذي يعمل من الخوص * وقوله (جالو) بالتخفيف اي جاء اليه والضمير
راجع للبيسار اي على من راى البيسار جا ماليه وهو في الجرن يدرس القمح وهو
راكب النورج او وهو يحرث مثلا لانه يكون في هذه الحالة في غاية التعب
والجوع ولهذا قال (ويدعس) اي ياكل بحرقة وعجلة من غير تأنٍ في المضغ
والبلع والدعس لفظة ريفية استعملت لهذا المعنى ومصدرها
دعس يدعس دعسا فهو داعس لان الاكل المطلوب تصغير اللقمة وتطويل
المضغة وفي المثل صغر لقمتك وطول مضغتك يبارك الله لك في
اكلتك * (مسئلة هبالية) وهي ان الناظم نسب المجيء للبيسار وهو طعام
والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتأتى ذلك فما الحكم (الجواب العشرى)
ان هذا على تقدير حذف مضاف اي جاء به رجل حامله حتى اوصله كما يقال
جلبت السفينة مثلا اي جاء بها الملاح وكما تقول جاءني جرة لبن وطاجن
محشي او صحن عدس او كشك مثلا فعلى هذا لا اشكال في كلام الناظم وقوله
(ولو كان) اي هذا المتمني لهذا الطعام الذي هو الناظم يمرض (القلنج ضعيف)
واصله قولنج بضم القاف وجزم الواو اي سقيم والقولنج ريح يابسة تمنع
الغازات تجري في الاعضاء فتكتب الانفاس عند هيجانها وتمنعه النوم حتى
تكاد تخرج روحه فمنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلة عند ملاقاة
الحرارة الشديدة والانتباه من النوم وعلاجه اكل الصبر الاخضر على الريق
دائما فانه يقطع هذه العلة من الجوف ويحللها وعلامة البارد هيجان العلة
عند ملاقاة البرد الشديد والغيم والامطار والارياح الباردة ونحو ذلك
وعلاجها ان يأخذ صبر سقطرى وحب الرشاد وفلفل وزنجبيل يابس اجزاء
متساوية وقدر الجميع سكرا ابيض ويدقه دقا جيدا حتى يصير ناعما
ويجعله سفوفا يفطر عليه على الريق وعند هيجان العلة فهو نافع

ويجتنب صاحب هذه العلة الحارة اكل الاشياء الحارة وصاحب العلة الباردة اكل الاشياء الباردة وخصوصا عند هيجان العلة فانه نافع ان شاء الله تعالى والمعنى ان الناظم لشدة فقره وجوعه وعدم شئ يصنع به هذا الطعام تمنى مجيئه اليه ويشبع منه ولوكان مبتليا بمرض القولنج ولوكان فى اكله زيادة ضرر عليه اذ هو من الاطعمة الرديئة الغليظة خصوصا اذا استعمله صاحب هذا المرض فانه يؤذيه اذية بالغة * فان قيل لاى شئ ذكر الناظم هذا المرض دون غيره وما سبب معرفته له مع انه من اهل الريف وما اشتقاق اسمه لهواب الغشروى انه انما ذكر هذا المرض لكونه ارياحا منعقدة فيكون من باب المبالغة فى الشئ والبيسار يضر صاحب الارياح ضررا بالغا خصوصا اذا اكل بالبصل الاخضر او الناشف فيمتلئ البطن ارياحا ويكثر فيها الفساء والضراط فيكون مرضا على مرض فتمنى ذلك لشدة جوعه ولوكان يحصل له هذا الامر او يموت فى الحال واما سبب معرفته له فلعله سمعه من بعض الاطباء وهو يصفه او سمعه من غيرهم واما اشتقاق اسمه فلعله من القوق او القويقة وهى طائر قدر الحمامة كبير الراس ويقال لها البومة تاوى الى الخراب وفى المثل اتبع البوم يؤديك الخراب وقد يشبه الشيب بياضها كما يشبه سواد الشعر بالغراب الاسود ومن هذا المعنى قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

ايا بومة قد عششت فوق هامتى * على الراس منى حين طار غرابها
رايت ذهاب العمر منى فزرتنى * وماواك من كل الديار خرابها

ويذكر البومة التى تاوى الخراب تذكرت ما اتفق لبعض الملوك انه ظلم رعيته ظلما فاحشا وكان له وزير فشكى الناس اليه وتضرروا من ظلمه فاراد ان يحتال عليه ويمنعه من الظلم ويرشده الى العدل فخرج هو واياه يوما يريد التنزه خارج المدينة الى ان مرا على اماكن خربة فسمع الملك ذكر بومة يصيح على بومة فقال للوزير ما احسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك انا ادرى ما يقول لها فقال لا وهل تعرف يا وزير لغة الطيور قال نعم فقال الملك ما يقول لها فقال يا ملك هذا عاشق لها ومشغوف بحبها

ويقول لها يا سيدة الطيور وبهجة الاحباب مرادى وصالك والنقرب اليك في الحلال فقالت له لاتقدر على صداقي ولو اشغلك حبي واشتياقي * فقال لها وما صداقك فقالت عشر مدائن خراب فقال لها ابشرى فان دام ملكنا هذا على حالته مع الرعية الى آخر العام خذى لك مائة مدينة خراب ففطن الملك لكلام الوزير وعلم انه فى غفلة عن الرعية وانهم فى ظلم وبليه وانه نصحه وارشده للعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله خيرا ثم انه اظهر العدل فى الرعية وازال عنهم ما هم فيه من المظالم وعدل من وقته وساعته وارتاح الناس من تغيير حالته * ثم ان الناظم اشار الى ما كولا آخر يصنع فى الريف فقال

ص * (على من قشع جفنه بليله ملانه * ... نت بلا قلقاس يا دندنيه) *

ش قوله (على من قشع) اى نظر بلغة الرياف يقال قشعتك اى رايتك وقشعت المحل الفلانى اى رايته ويطلق على ميل الشئ يقال قشع السحاب اى مال وانكشف الى محل آخر * ومن العجائب ان شخصا سمع هذه اللفظة من طائر فى بعض البساتين نواحى الشام وذلك انه دخل يوما يتفرج فى بستان ويأكل مما اسقطته الاشجار من الفواكه فسمع قائلا يقول شفتك قشعتك روح فزج هاربا وظن ان صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل وهو خارج من البستان فقال له ما اعجلك فقال سمعت انسانا يقول لى كذا وكذا قال فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما تشتهيه ولا تخش من احد هذا طائر وليس بانسان وهذه لغته يخوف بها من يدخل البستان فعجب الرجل ودخل واكل حتى اكتفى ومضى الى حال سبيله * وقد سمعت وانا متوجه الى الحج فى البحر من الصعيد على بندر القصير سنة خمس وسبعين والف طائرا فى غيطانه يقول طاب دقيق البر سبحان القديم الازل وسمعه كل من فى السفينة وذكر الحلبى فى السيرة النبوية ان غرابا كان يحفظ سورة السجدة فاذا سجد قال سجد لك سوادى وامن بك فؤادى * ومن العجائب انه اهدى لبعض الملوك طائر له اربعة اجنحة على شكل ظريف فاذا جاء وقت صلاة الفجر ذكر الله بلسان فصيح ثم يقف على راس الملك ويقول الصلاة خير من النوم مرتين ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وينكت

ومثل هذا كثير فسبحان الله القادر على كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله (جفنه) تقدم معناها (بليله) اسم للقمح المسلوق المضاف اليه بعض الحمص وهذا يباع ايضا ببلاد المدن ولم لذة ولذته من اضافة الملح والحمص عليه فانه يعدل طبعه والحمص ازكى الطعام كما ذكره بعض المفسرين فى تفسير سورة الكهف وأما البليلة المذكورة فى النظم فان أهل الريف يصنعونها طعاما وهو انهم يصنعوا القمح فى البوشة الفخار وربما اضافوا عليه ما تيسر من الحمص ويغمرونه بالماء ويجعلونه فى النار الى ان يستوى فيأخذونه ويأكلونه بخبز الاذرة او الشعير ويأكلون منه من غير خبز لانهم يجعلونه يابسا يقطع منه الشخص بالكف ويبلع ويقلون له بالبصل وشئ من الشيرج والاكابر منهم يجعلون فيه بعض قلقاس وسمى بليلة لبلها بالماء فى حال سلقها اولرخاوتها وطراوتها ولهذا يقال للرجل الهائف المرتخى الاكمام البارد القلب بليلة لعدم اكتسابه وقلة بركته وبليلة على وزن هبيلة او عويلة ومصدرها بل يبل بليلا وقوله (ملانه) راجع للجفنة (ولو كانت) البليلة التى هى الجفنة (بلا قلقاس) اى فلا حاجة له به انما مراده شئ يسد الجوعة يقال له طعام والقلقاس من مأكولات فصل الشتاء وهو الذى يؤكل فى هذا الفصل لانه حار يابس مناسب لبرودة الزمن خصوصا فى ابتداء ظهوره اذا اكل باللحم الضانى واضيف اليه السمن مع الخضراوات ونحو ذلك فانه يعتدل ويصير له لذة عظيمة فى المأكل وتذهب حرارته ويعتدل طبعه واجوده الرؤس الاتانى وكذلك الصوابع وهى الرفيعة التى تشبه اصابع الآدمى لان ذلك كله سريع الاستواء وارداه الاحمر لكونه بطئ الهضم بطئ الاستواء واذا اكل القلقاس مشويا منع ألم الكبد وسكن ضربان البواسير واكله نيئا ليس فيه فائدة ولا منفعة (فائدة) اربع قافات تستعمل فى فصل الشتاء وهى القلقاس والقشطة والقصب والقسطل وسمى قلقاسا لاشتقاقه من القلقسة لانه يشبه الطين المقلقس اى اليابس لانه اذا قلع من ارضه يكون مثل قطع الطين المقلقسة وهو كبير من فعلين

ماضٍ وأمر قال بعضهم (فان سألوك عن قلبي وما قاسى * فقل قاسا وقل قاسا وقل قاسا)
(قاسٍ في اخرى) قيل لما ادّعى فرعون الالوهية لا موه وقالوا له الاله لا يبول
ولا يتغوط فاصطنع الموز وصار يأكله فصار لا يتغوط الا نادرا وما ذاك
الا انه اخذ القلقاس وهو صغير من ارضه فصار يفلق القلقاسة ويملاها
سكرا ويعيدها في الطين بحكمة دبرها فامتزجت الحلاوة بالقلقاس
فنشأ منه الموز وصار على هذا الشكل ولهذا ترى اوراقه قريبة الشبه من
ورق القلقاس في العرض الا انه طويل الشكل عنه هكذا في بعض كتب الحكمة
وقوله (يا دنديف) اصله يا دندوف على وزن يا بعبوص قلبت الواو ياء
لضرورة النظم والدندوف هو الذي يدندف من غير فائدة يقال فلان
يدندف اي فلا فائدة في ذهابه وايابه ولا بركة في سعيه وكسبه او انه علم
على شخص من اهل قرية الناظم كما هو معهود من اسمائهم وهو مشتق من الدندفة
او من اخماد الدنف او من ندف القطن * ثم ان الناظم تشوق الى قصعة ملآنة من اي طعام كان فقال

ص * (على من جتو قصعه وهوّ يحرث * ويقعد يجرف للحنك تجريف) *

ش قوله (على من جتو) اصله جاءته (قصعه) اي جاءه بها واحد من الناس
لا هي بنفسها كما تقدم فالضمير راجع الى المحذوف والقصعة اناء من الخشب
مدوّر معدّ للطعام وغيره واما الذي على شكل الحوض فيقال له منسف وسميت
قصعة لان الشخص اذا جلس يأكل منها يقصع ظهره اي ينحني ويأكل فيكون
من باب تسمية الشيء باسم صفة الآكل منه او من قصع القمل والبراغيث
وقوله (وهوّ) بضم الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم او جريا على لغة الريف
وقوله (يحرث) على وزن يضرط فيها سابقا اي في وقت الحرث من اي طعام كان
من عدس او بيسار وغير ذلك (ويقعد) فعله جميعا تعبا مما قاسى من مشقة
الحرث وغيره (ويجرف) على وزن يحرف او يغرف اي يكون كفه حكم المجرفة التي
تجرف الشيء (للحنك) من التحنيك على وزن التحكيك او التدكيك ويطلق
على الفك الاعلى والفك الاسفل من الانسان ويطلق على الفم والفك ايضا يقال فتح فمه او فتح
حنكه قال صاحب البديعية رحمه الله تعالى (فمي يحدث عن سرّي فما نطقت * سرائر القلب الا من حديث فمي)

وقوله (تحريف) أصله بالألف لانه مصدر وسكن لاجل الروى اى تحريف ذلك
الذى هو فيه تحريفا زائدا متنابعا بسرعة وعجلة حتى يكتفى ويشبع الشبع المفرط
لما ناله من الم الجوع الشديد وشدة التعب المزيد وكثرة المشقة فيقضى
مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره * ثم ان الناظم اشتهى
مأكولا آخر خارجا عن الطعام المطبوخ من مأكول اهل الريف فقال

ص * (على من دعس بالعزم فى المش بالبصل ❊ ولو كان بالكراث ان ضر بيف) *

ش قوله (على من دعس) تقدم معناه (بالعزم) اى بالقوة والشدة لان
العزم على الشئ هو الاقدام عليه بجراءة وشدة يقال فلان صاحب عزم شديد
اى قوة زائدة (فى المش) اى مش الجبن القريش الازرق الذى مضى عليه زمان
مستطيل حتى صار يقطع ذنب الفار من شدة حرارته وقوة ملوحته لان هذا
غالب مأكول اهل الريف فى الغداء وربما اكلوه فى العشاء ايضا فيأتى
الشخص منهم بالمترد المش والخبز الشعير اليابس والبصل الاخضر
او الناشف ويأكل حتى تدمع عيناه من حرارة ذلك المش ورائحة ذلك
البصل ويشرب عليه الماء وينشرح الخيط او يحرث او يدرس والاكابر منهم
تضع عليه شيئا يسيرا من الزيت الحار وتعصر عليه الليمون خصوصا (بالبصل
المخروط فانه الذى اكله بغيره وبعضهم يأكله بالكرات ابو شوشه فيكون
اقوى فى جمع الارياح خصوصا اذا كان فى دوير ضيقة فان الفساء
يتراكم فيها حتى يملأها من اولها الى آخرها * والمش على اقسام مش حصير
وتقدم معناه ومش بخيره وهو المستعمل فى بلاد المدن وله فكاهة ولذة
ويقال له مش جبن حصير ومش جبن قريش وهو مش الريافة المتقدم ذكره
ويقال مش جبن النور والمش على وزن الوش بلغة الريافة فان الشخص
اذا شتم آخر يقول له (دم اهدم وشك) مثلا وهو مشتق من المشش وهو داء
يعترى الخيل والحمير يقال (جاك المشش) اى ابلاك الله به * والاول الذى هو
المش الحصير ينفع من الجرب شرعا والثانى ينفع من السدد ويقوى المعدة والثالث
ليس به نفع بل هو محض ضرر لا غير * او انه مشتق من المشى لانه اذا صب على الارض صار عليها يمشى

اى يسيح فيها * والبصل حار يابس وقيل رطب يقطع البلغم الا انه يضر
الشقيقة وصداع الرأس ويولد ارياحا ويظلم البصر وكثرة اكله تورث النسيان
وتفسد العقل * واما منافعه فانه يطرد الوباء وينفع من تغيير المياه
ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد فى المنى ويحسن اللون واذا سحق وعجن
بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والفوابى والبهق الاسود نفع من ذلك
واذا دق ناعما وطلى به موضع الشعر نفع داء الثعلب وهو معط شعر الرأس
والاكتحال بمائه يذهب الغشاوة ويصلحه الخل واللبن اذا اكل به (ولو كان
بالكراث كان ضريف) اى لانه حار لين يهيج المعدة والدم الا انه مثل البصل
فى ظلمة البصر وتولد الارياح كما تقدم لكنه يشد العصب وينفع البواسير
ويصلحه الاكل بالشيرج واكل البصل والثوم والكراث نيئا مكروه لداخل
المسجد ان لم تزل رائحته * (فائدة) رأيت فى بعض الكتب ان جميع البقول
نزلت فى مائدة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الا الكراث * واما بصل العنصل
فله خواص جيدة مذكورة فى الطب ومن العجائب ان الذئب اذا وطئه مات
ولهذا ان الثعلب اذا خاف على نفسه من الذئب يأتى بالبصلة منه ويضعها
على باب جحره فاذا رآها الذئب او شمها هرب ولم يأت اليه فتكون وقاية له
فسبحان من الهمه هذه الحكمة وقوله (ضريف) اصله ظريف بالظاء المشالة
لا بالضاد المعجمة اتى بهذا اللفظ جريا على اللغة الريفية اى كان فيه الظرافة
بمعنى انه يكون اخف ضررا من البصل وان كان اقوى ارياحا فانه اعظم
شهوة والذ اكلا فلا بأس به اذا حضر فيكون هو المراد تم ان الناظم انتهى شيا الى المائش

فقال ص * (على من شرب منزد ملآن مطنبر ۞ من اللبن الحامض يرخ رفيف) *
ش قوله (على من شرب) الشرب هو مجاوزة الماء وغيره من المائعات الفم الى ذلك
الجوف فهو كالاكل قال الله تعالى فكلوا واشربوا وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم
لا ما وضعه الانسان فى فمه واخرجه كالدخان المستعمل الآن فلا يسمى شربا حقيقة
بل من باب المجاز وقوله (منزد) وهو اناء من فخار احمر اصغر من الشالية
وهو غالبا اوانى الريافة خصوصا فى اعراسهم واصله مركب من فعلين عما ورد

لانه لما عمل في ابتدائه وكثر علوا ابدله فقالوا ارد بعد ما مات ثم حذفوا الالف
وجعلوها علما وقالوا مترد وهو على وزن مفعل لا مسند فمعنى اللبن الذي
داخله لا نفس المترد لانه ظرف لما حواه فلا يتصور شرب المترد بعينه
وقيل سمي بهذا الاسم لتردد الخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب
تسمية الظرف بمعنى المظروف او انه عمل في بلدة تسمى ماتريدا التي ينسب
اليها الشيخ الماتريدي نفعنا الله به وقوله (ملآن) اي غير ناقص حتى يكون فم
القناعة من جهة الشبع والرؤية لان الناقص ربما استقله الانسان ولم
يقنع برؤيته فمعنى ان يكون ملآنا وقوله (مطنبر) على وزن مزنبر او مطرطر
يقال كش مزنبر وزنب مطرطر اي عالي عن حوافيه لشدة حموضته ويبسه
يقال فلان بطنه مطنبر اي منفوخ وما واطنبر اي انتفخ كما يقال ادم تطنبر
بطنك مثلا اي تموت وتنتفخ ويقال الشد الحجازي المحمول بالحبر الاصفر
والابيض شد مطنبر وعلى قياسه الشد البلدي ولعله وصف بهذا اللفظ
لكونه اذا لفه الانسان على رأسه صار كبيرا عليا مطنبرا كما يعلو اللبن
الحامض عن حوافي المترد وهو مشتق من الطنبرة وهي التحنيك بلا وبلا الصفا
قال الشاعر اذ كنت ليلى وطبعك رقى * طنبر برقة يا اعتبر بالمشنوق
واصل هذا الكلام ان شخصا من الفساق اخذ ولدا واراد ان يعمل له
فرتق الصار فذكه فمات الولد وشنق الرجل فقيل له كلام كثير لم يحضرني منه
غير هذا المطلع او انه من الطنبوت على وزن العصفوت قال الشاعر
ايا عصفورة البستان كم ذا تبتشي * بابيك ورجلك ما في الارض شيء
وقوله (من اللبن الحامض) قيده بالحموضة لعدم توقه الى اللبن الحليب
فلاجل هذا لو اشتهيه ولو كان حامضا لان غيره بعيد على وخصوصا اذا
كان في شدة الحر فان شربه يسكن عطشه ويروي فؤاده اذا كانت حموضته
معتدلة فانه بارد رطب واما اذا خرج عن الحد في الحموضة فيضر وكلام
الناظم يدل على انه انما اشتهى ما خرج عن حد الحموضة بدليل قوله الآتي
برفت رفيف واجود الالبان لبن البقر لانه موافق لسائر الطبائع والادواء

وقوله (يرف رفيف) اى صار من الحموضة الشديدة يرف كما يرف جناح الطائر بمعنى انه تسمع له غليان وبقبقة تحاكى رفة الجناح ويرف على وزن يسف اويلف ورفيف مصدر حذفت منه الالف كما سبق فى نظائره وهو مشتق من رف الخشب الذى يعمل فى البيوت او من الرفرافة التى يعملونها قبل بيضا اواخر شعبا من الدجاج او من الاوز وغير ذلك * ثم ان الناظم تمنى شيأ آخر تستعمله اهل القرى القريبة من البحر الملح او من البحائر المالحة ونحوها فقال

ص * (على من جتو ام الخلول لدارو * ويعزم على اهل البلد ويضيف) *

ش قوله (على من جتو) اى من جاءته بواسطة وحضرت اليه ام الخلول وهي حيوان يتكون من داخل المحار الصغير الذى يشبه اللؤلؤ يوجد على ساحل البحر الملح او جوانب البحائر المالحة وله سرعة الحركة فاذا مسه انسان سكن وصار كالحجر حتى يفارقه وهذا الحيوان منطبق عليه محارتان صغيرتان ولونه ابيض ثخين يشبه لون المني او المخاط فيأخذونه وينزعونه من المحار او القوقع ويضعون عليه الملح والخل او الليمون وياكلونه وربما اخرجوه وهو طرى ولوثوه بالملح واكلوه وهذا اقبح انواع اكله واردأها واخبثها نعوذ بالله منه ولله الحمد والمنة على عدم الاكل منها والطبائع السليمة تمجه وتأباه وتعافه الانفس واما طبائع اهل الريف فلا تطالبها فانها خبيثة ولا تطلب الا الخبيث وله عندهم لذة عظيمة وموقع فى نفوسهم الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن ان ياكل منه ولا يراه لان رؤيته تورث القرف فضلا عن اكله وكنيته بام الخلول لتواتر الملح والخل والليمون عليه عند الاكل وقوله (لدارو) اى دار الناظم بمعنى انه لا يتعب فى مجيئها بصيد ولا شراء بل يصبح يراها فى داره اتى بها على سبيل الهدية او الصدقة وقوله (ويعزم على اهل البلد) اى يجمعهم لهذا الماكول النفيس الذى يشبه عفا لكلا ويضيفهم فى داره اى يكرمهم به يقال فلان عزم على فلان اى عزم فى نيته وجزم فى يقينه انه يأخذه ويكرمه او عزمه بمعنى اذن له ان يأتى الى داره ويكرمه بطعام او غيره (ويضيف) معطوف على يعزم وهل هو مغاير له

لأن العزم خلاف الضيافة فيكون قد عزم بالنية؛ ولا على أن هذا الشخص لابد من حضوره وانه ينضاف اليه اى يتبعه الى المحل الذى يريد اكرامه فيه او المعنى واحد فيكون من اضافة الشئ الى مرادفه ومصدر يضاف يضيف ضيافة اوضيوفا وسمى الضيف ضيفا لانه ينضاف الى من يكرمه بمعنى انه يكون تبعا واياه حكم الكلام المضاف لاينفك عنه حتى يدخل عليه الشئ فيفصله عن الانباء قال الشاعر كانى تنوين وانت اضافة * فحيث ترانى لاتحل مكانيا فابحث المعنى العشرون من البحث المباح * ثم ان الناظم انتقل من تمنيه الى شئ آخر نفرت فى الحياة من اهم الحلو

(انا ان شفت عند يوم طاجن مشكشك * فهذا كيوم البسط والتفصيف) *

قوله (انا) يعنى يوسف الشربينى لا غيرى (ان شفت) الشوف ضد العمى الضيافة بمعنى رأيت (عند يوم) فى المنزل او فى المحل الذى انا فيه او الغيط مثلا (طاجن) اسم لاناء فخار مدور واسع الجوف يطبخ فيه السمك والارز واللحم والطير وغير ذلك ويستعمل فى سائر البلاد لكن لايكون اشتهار الطعام فيه الا فى الارياف وهو مشتق من انطجن او من الطجانة اوذى وضع الجن لان لفظ طاجن من الالفاظ المعميات بمعنى ان انسانا وطئ جنا اى داس جماعة من الجن فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل ومفعول والفاعل محذوف تقديره انت اى طا انت جنا ومثله طافية اى طائفة من الناس وقسم آخر من المعميات غير ما تقدم كقول بعضهم فى اسم حماد خذ فارغ واملاه ماء * ومن النظم قول فى اسم شحاته (سلب الناس دلالا * والف من بعد ذلك تدرى ته كمالا * تم معناك بشرح) ولم ار فى المعميات ارق من قول بعضهم فى اسم احمد وراكعة فى ظل بان تعلقت * بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وقوله (مشكشك) على وزن محكحك اسم للطعام الذى تمنى رؤيته والاكل منه وهو جلود الفسيخ ياكلون لحمه ويأخذون جلوده فيغسلونها بالماء ويضعونها فى طاجن ويخرطون عليها بصلا ويضيفون عليها شيأ يسيرا من الزيت الحار ويدخلونها الفرن حتى تستوى وياكلونها بالخبز وربما وضعوا عليها شيأ من الكسب المذاب بالماء يجعلونه بدل الطحينة وهذا له موقع عظيم عندهم وعند نسائهم

كانه

كأنه خاروف شوى ولهذا قال (فهذاك) بالذال المعجمة جريا على اللغة الريفية
كقول بعضهم فى هذا المعنى مواليا * لك وزدتين على الخدين يا هاذاك
واللى بلانى بعشقك آه لو ابلاك * وحق من سبحت لو فى السما الاملاك * لو ما اكل ثوم اخين ما اسلاك
وقوله (يوم) اى هذا اليوم الذى يأتينى فيه الطاجن المشكشك هو يوم (البسط)
ضد القبض اى بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المنى وتيسير المطلوب وحضور
المرغوب فيه وسد الجوعة وسرور اهل المنزل او الجماعة الحاضرين معى وقت مجيئه الخ
قال الشاعر ان من اطيب اوقاتى * حين اكون مبسوطا بذاتى
(والتقصيف) عطف على البسط مشتق من القصافة يقال فلان ابو قصيف
بتشديد الصاد المهملة اى مسرور فرح ماش مشية الخيلاء متحزم بسير
وسكين راخى اطراف البردة تنجر على الارض او انه لبس اليوم قميصا جديدا
او ارخى فوقه البردة وهو اليوم قصيف الكفر بمعنى ان ما هناك احد
فى الكفر اشلب منه ولا اعيق او انه مشتق من قصف العود وهو كسره
او من قولهم قصفه تحبك او فلان جو قصفه مثلا * (مسئلة هبالية) *
لاى شئ سمى هذا الطعام مشكشكا وما معنى هذا الكلام وهذا اللفظ
وما مناسبته لجلود الفسيخ (الجواب الغشروى) ان يقال ان هذا الطعام لما كان
يشبه فى طعمه المش والكشك اذا خلطا معا ركبوا اسمه من مجموع الاسمين
مع تغيير الحركات وقالوا مشكشك او انه مأخوذ من شكشكة المرأة له بعود
او بالملعقة عند قرب استوائه لتختبر حاله او من قولهم شكشكه بالابرة او انه
من اللفظ المقلوب وهو شم كشك فيكون الذى اصطنعه اولا لما طبخه شمه
فقال ما شم هذا فقال بعضهم شم كشكا اى شم طعاما رائحته فى الحموضة
كرائحة الكشك ثم انهم قدموا الميم على الشين المعجمة وجعلوه علما وقالوا مشكشك
بفتح الشين الاولى وكسر الثانية وجزم الكافين فاتجه المقال عن هذا الهبال ثم ان الناظم
اشتهى شيئا اخر من الخضرا يطبخ ويؤكل عندنا وانه هو اطيب مأكول اهل الريف فقال
ص * متى انضر للخبيز فى الدار عندنا * واندف منها بالعويش نديف *
ش قوله (متى) اى اجزم وانوى انى متى (انضر) بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية

وبالظاء المشالة على اللغة الفصحى اى انظر بعينى لا باذنى ولا بفمى لان النظر
خاص بالعين قال الشاعر (عينى نظرت وآفتى من عينى * ما يقتلنى الا سواد العين)
(الخبيز) بضم الخاء المعجمة وتشديد الموحدة ويجمع الخبيز على خبوز وخبابيز
وخبازى وخبازات وهكذا من هذه الجموع القشروبية وثانيه خبيزة
وهى المرادة بقول الناظم لرجوع الضمير اليها كما سيأتى فى قوله واندف منها
وهى مشتقة من الخبز لان ورقها فى التدوير يشبه اقراص الخبز وهى
تنبت فى اطراف الزرع من كثرة الامطار وفى الاراضى المنخفضة وغيرها
واجودها ما كان ساقه طويلا وورقه عريضا شديد الخضرة وهو النابت
فى جوانب الزرع او النابت بالبزر واردأها القصيرة الساق المائل
ورقها الى الزرقة وهى البعيدة عن الزرع والماء وهى التى تطلع وتنبت فى
المقابر وفى منخفض الارض المسبخة وهى باردة رطبة تلين الطبيعة
وتفتح السدد وتسكن الحرارات وهى قريبة فى اللطف من طعام الملوخية
اذا عملت بالشروط الآتية ثم ان اهل الريف يأخذون ورقها ويخرطونه
مثل الملوخية ويضعون عليه الكزبرة الخضراء ويقلون لها بالبصل
والشيرج ويفتون فيها الخبز الشعير ويأكلونها وهى غالب طعامهم مدة
اقامتها عندهم ولا يكلفونها شيأ ما عدا البصل والشيرج وشئ يسير من
الكزبرة كما تقدم فهى غالب مأكولهم فى زمن الشتاء كما تقدم واهل بلاد البحر
يطبخونها بالارز والدجاج وغيره واهل المدن يطبخونها بلحم الضأن والدجاج
ويضيفون عليها الادهان والسمن البقرى والحرارات ونحو ذلك فلا تؤكل
الا بهذه الكيفية فتكون بهذا الحكم خفيفة لذيذة الطعم واما فعل اهل الريافة
لها كما تقدم فوجوده كالعدم وكذلك اهل بلاد البحر فانهم ولو عملوها
بالدجاج لا يضيفون لها سمنا ولا دسما الا الارز والشيرج لا غيره وعلى
كل حال فهى ارق من طعام الريافة المتقدم ذكره والذى اكلها فى بلاد المدن
لانهم يكلفونها فيصير لها فى المأكل لذة ولها خفة فى الهضم ومنفعة عظيمة
ووافى الطعام كله (كلف تجد) * قيل لما نزل السلطان قايتباى بدمياط

وجئ

واجتمع بالعينى الذى بنى العينية وهو مسجد على سمة مساجد المملوك
فعمل للسلطان ضيافة عظيمة وخصه بصحن من الذهب فيه دجاجتان
ووضعهما بين يديه فاكل السلطان منهما فلم ير طول عمره الذ طعاما منهما
فقال له من صنع لك هاتين الدجاجتين فقال له جارية عندى فقال له
هل من سلو عنها فقال هى ومولاها فى خدمة الملك فاهداها له فلما اتى بها
الى مصر امرها ان تصنع له دجاجتين ففعلت فلم يقعا الموقع ولم يجد
لهما لذة مثل اللتين اكلهما فى دمياط فعاتبها الملك فقالت له يا سيدى
الذى صنع لك الدجاجتين طبخهما فى اناء من ذهب وكان ماؤهما ماء الورد
والخلاف والحطب من العود القمارى وحشاهما بجرارات كثيرة مع المسك
والعنبر الخام وغرفهما فى صحن من الذهب فمن هذا حصل هذا فتعجب الملك
رحمه الله تعالى وقوله (فى الدار عندنا) اى فى دار الناظم لا غيره لانه هو الذى قمنا
ولهذا قال عندنا اى فى محلنا لا محل غيرنا لاجل ان تاكل منه العيال ويسروا
بوجوده وسميت الدار دارا لتدويرها بالطوب الاحمر والحجر النحت وغيره
وهذه صفة دور المدن واما دور بلاد الارياف فانها تبنى بالكرس
وربما يكون فيها الوحل والجلة ايضا اولان الشخص يدور ويرجع اليها
او انها مشتقة من لعب الدارة التى يلعبها اولاد الريافة بعد الغروب
يقعد ولد منهم على قرافيصه ويقعد ولد آخر يجعل ظهره فى ظهره وتدور
الاولاد حولهما يضربونهما فاذا امسك واحد منهما ولدا اجلسه مكانه
فيتعلمون من ذلك خفة الايدى وسرعة الضرب والمشى ونحوه وقوله
(واندف منها) اى من الخبيز ومعناه يأخذ منها بسرعة ويحشى فى بطنه
فصار يشبه نداف القطن اذا اخذه بالقوس وحشاه فى الطراحة ومن
هذا يقال فلان الليلة ندف متردين من العدس او من البيسار اى اكلهما
بسرعة او انه مشتق من احمد الدنف من شطار مصر الذين تقدموا وسيرته
مشهورة عند المخرفين وقوله (بالعويش) تصغير عيش سمى بذلك لان به
قيام المعيشة كما قال الشاعر لا تركنن الى الثياب الفاخره * واذكر عظامك حين تمسى ناخره

وإذا رأيت زخارف الدنيا فقل * لهم إن العيش عيش الآخره) ولذلك قال الامام الشافعي
رضي الله عنه فيما حكاه الذهبي في ميزانه والدميري في حياة حيوانه

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة * وليتنا لا نرى ممن نرى احدا
ان الكلاب لتهدى في مرابضها * والناس ليس بهاد شرهم ابدا
فانجو بنفسك واستأنس بوحدتها * تبقى سعيدا اذا ما عشت منفردا

وقال آخر يبكي الذين تقدموا شرفا على * من بعدهم يمشي على الغبراء
انى لاحيى اذا امر بذكرهم * واموت من نظري الى الاحياء

او انه مشتق من عش الطائر لتدويره مثل تدوير العيش * واما تسميته خبزا فهو من التخبيز وهو التنضيج بالنار يقال فلان ضرب فلانا حتى خبز اضلاعه اى صار الضرب فوقها مثل نضج للخبز او كسرها كما ان الخبز آيل للتكسير فلا او يكون خبز اضلاعه بمعنى فتح منها من بعضها البعض وقوله (نديف) على وزن نتيف وهو الذي ينتف ذقنه لاجل الخنات او كان به مرض الابنة اعاذنا الله منها فانها داء يغلي في الدبر بحرقة كغلي الدود في العفن قال الشاعر

فانه مرض كالنار مشعلة * يغلي كغلي كبار الدود في العفن

واكبر دوائها ما ذكره الشعراني نفعنا الله به ان يحتقن بماء الفسيخ السائل منه مرارا فانه يبرأ باذن الله تعالى واصله ندفا فصغر لاجل الروي اي ادخل فى الخبز فاكل منه حتى اشبع شبعا مفرطا يعين جوع بقية اليوم او بقية الليلة * ثم انتقل من الخبز الى اللباقة الخضر فقال ص * (متى انصر الفول المشيوي بفرننا * ولفو بقشرو والعروق لفيف) *
ش قوله (متى انصر) بمعنى كما تقدم في البيت الذي قبله (الفول) الاخضر اذا اتى به من الغيط ووضع في الفرن وصار مشويا والمطلوب ان يكون هذا الفول (المشيوي) تصغير مشوي على وزن عطيوي او خريوي وخريوي فيما يقتضي التصغير والوزن (بفرننا) لا بفرن غيرنا (ولفو) اصله والفه بالهمز تركه لضرورة النظم من اللف وهو حشو الفم وسرعة البلع والمضغ من غير تأمل ولا تفتيش في المأكول ولهذا قال (بقشرو) اى اكله من غير نزع قشره من فرحي به ومن شدة الجوع (والعروق) معطوف على القشر اى والف عروقه ايضا (لفيف) اى لفا زائدا بحرقة قوية وشهوة بهيمية حتى اكتفى منه

[illegible] الاخضر ... بالتشر والمرق على حالته ولا الفول كما يفعله
غيري من انه يخرجه من القرن ويضع عليه الملح ويبقيه حتى يبرد ويقشر منه
ويأكل فأنا لشدة اشتياقي اليه وكثرة الجوع والقل والعترة الفه بجميع ما عليه
(فائدة) الفول الاخضر قيل شبيه بارد رطب وقيل بارد يابس ويعدله الاكل
بالملح والصعتر وانفع اكله حارا او مشويا نزعه من قشوره جميعها واكله
بالسكر وفي بعض كتب الطب من اكل الباقلا اربعين يوما واصابه مرض
الجذام فلا يلومن الا نفسه ومتى اكلت المرأة الباقلا اربعين يوما لم تحبل ابدا
وقد عدوه من موانع الحمل* ثم انه اشتهى شيئا مما يخبز وتمنى حصوله فقال

ص *(متى انضر ان طحن الطحين وجتو * ويبطط لى عنو فطير رهيف)*
ش قوله (متى انضر) تقدم معناه (ان طحن) احد الطحانين (الطحين) الذي
وضعته في الطاحون ورحت اليه ورأيته (وجتو) اي جبتو بعد ان اعطيت
الطحان اجرته الى عندي (ويبطط) على وزن وضرط ويربط فيها بيقين للمناسبة
وهو مشتق من البط وهو طير يربى في الدور يشبه الاوز الا انه اصغير منه
وارجله قصيرة جدا او من البطبطة او من البطة التي يوضع فيها السمن
وغيره او هو من الملفقة لا كلام (مسئلة هبالية)* لاي شيء سمي مجموع القمح طحين
وهل هذا اللفظ صفة او علم عليه (قلنا الجواب الفشروي) انه كان اولا قمحا الا كلام
ثم طرأ عليه الطحن فنقله من حالة الى حالة اخرى فيكون من تسمية الشيء بما
طرأ عليه من الوصف الذي قام به ونقله من حال الى حال فكان اولا معروفا
بالقمح فلما دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس اسمه الاول وصار طحينا
وكذلك الانسان لما دارت عليه المنية خفي اسمه وصار ميتا وطحنته الارض
ومضى امره الى ان يبعث فاتجه الجواب عن هذه الابحاث الفشروية وفي
بعض نسخ المتن ان طحنت الطحين باثبات التاء المثناة من فوق فيكون هو
الذي طحنه بنفسه وهذا هو الاولى لان اهل الريف يجعلون في الدار
او الكفر طاحونة مشتركة بينهم وان كان عند الرجل منهم طحين يأخذ ثوره
ويعلقه ويطحن عليه واما بلاد البحر فانهم يطحنون بالاجرة وطواحينهم كلها بالخيل

حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدم الا بلاد الكفور والقرى الصغيرة ولا شك
ان الناظم منهم كما تقدم فى ذكر قريته فلهذا قال ان طحنت الطحين وجبسو
وبطط اى عجن بالماء او شئ من اللبن ويأخذ القطعة العجين ويضعها على
خرقة او ردة النخال او قرص جلة مثلا ويخبطها بالكف حتى ترق ويأخذ غيرها
فيتحصل لى (منو) اى من هذا العجين (فطير) مشتق من الفطور لكونهم يفطرون
به او من الفطرة او من عيد الفطر (رهيف) صفة للفطير اى طرى رقيق
وفى كلامه اكتفاء فانه ذكر الفطير وكيفية عمله ولم يذكر اكله فيفهم من الكلام
انه لما بطط الفطير خبزه فى الفرن او فى الجورة التى يصنعونها فى الزريبة ويطمو
عليها الزبل وفى بعض الاحيان بالجلة ايضا ويأكل منه حتى اكتفى ثم ان الناظم انتهى اكله

فقال ص * (ابا ما طيب الجلبان والعدس اذ استوى ❁ وشرشر بصل خولو وميت رغيف)

ش قوله (ابا ما طيب) فى الطعم واللذة (الجلبان) على وزن الجديان او الغزلان مشتق
من جلبة النبوت او ان الذى زرعه سقاه فى الاصل على ثور جلبا او من جلبة الصيد
والجلبان نبات يزرع حبه يشبه حب الملوخية وله قرون صغار مثل قرون اللوبية
مشتبك فى بعضه البعض مثل البرسيم يزرعه اهل الريف ويأكلونه مثل الفول
الاخضر وربما طبخوه بالعدس واكلوه كما قال الناظم ويزرعونه كثيرا
وتأكل منه البهائم ايضا وقوله (والعدس) معطوف عليه اى وما اطيب العدس معه
والعدس معروف لا يحتاج الى بيان (اذا استوى) فانه لا يؤكل نيئا بخلاف
الجلبان بل يؤكل مطبوخا وهو بارد يابس ثقيل يشبه الدخن فى فعله وعدمه
اطلاق البطن ومرقه انفع من حبه واكله يرق القلب * وفى زهر الاكمام
ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله تعالى قسوة قلوب قومه فاوحى الله
اليه ان مرهم يأكلوا العدس فانه يرقق قلوبهم * وفى الحديث عليكم بالعدس
فانه يرق القلب ويكثر الدمعة وقد بارك فيه سبعون نبيا * والاكثار
من اكله يخاف منه الضرر وفى القاموس الاكثار منه يورث الجذام ويضر بالعصب
ويولد الاخلاط السوداوية * وقال بعض الاطباء يعدله السلق الاخضر
وطعاما على نوعين مدشوش وهو اخف من غيره وغير مدشوش ويسمى عدسا بجبته

واهل الريف يصنعونه في البوشة الفخار ويحطونه في محماة الفرن او في الفرن ويغمرونه بالماء حتى يستوى ويفركونه بالمزازك ويقلونه له بما تيسر من الشيرج او الزيت الحار والبصل مثل البيسار* واما اهل المدن فانهم يطبخونه طبخا جيدا ويضعون عليه دهن الليه والسمن الخالص والحوارات خصوصا ابناء الترك فانهم يكثرون فيه الادهان وربما فعلوه باللحم الضهان ولهذا يأتون به في رأس السماط فهو عندهم له موقع عظيم وربما عملوه بالقلقاس اذا كان مدشوشا وهو الذ واطيب* وبلاد البحر يطبخونه بالارز ثخينا يدشونه ويضيفون عليه الارز ويسمونه بغليه بفتح الموحدة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء المثناة تحت وسكون الهاء المربوطة في آخره وهذا النوع ثقيل جدا يشبه البسلة في ثقلها وربما اكلوه بالعسل من غير خبز وكذلك البسلة يصنعونها ايضا بالارز وكل هذا يولد الارياح ويضر بالمعدة خصوصا البسلة فانها اشد في الضرر وبعضهم استطرد حرف الياء في اسمها وفي وصفين منها فقال* بسلة باردة يابسة ثم استطرد حرف التاء في مضرتها فقال* تعشي تفسي تنسي* فيكون لف ونشر مرتب ومعناه بسلة تعشي باردة تفسي يابسة ثم قال (وشرش بصل) اسم للحزمة المربوطة منه التي تملأ الكف فانه يقال لها شرش بصل ويطلق على اول خروج الفساء ايضا فهو لفظ مشترك بين الفساء وشرش البصل ولهذا يقال في الجنك شرش مثلا وهو من الالفاظ التي تقرأ طردا وعكسا اولها مثل آخرها وقوله (حولو) اي حول العدس بعد وضعه مغروفا في الترد او الشالية ويكون البصل موضوعا حوله كما جرت به العادة في بلاد الارياف وغيرها انهم يضعوا البصل حول العدس والبيسار والمش وغير ذلك ويأخذ الرجل منهم بصلة يقطع منها مثل الخيارة واما اهل المدن فيقشرونه ويفلقون البصلة اربع فلقات ويضعونها حول السفرة ولكل شئ مناسبة واذا عصر ماء البصل ذهبت حرارته واعتدل في الاكل وقوله (وميت رغيف) اصله مائة سهله لضرورة النظم اي من خبز الشعير وذكر هذا العدد لاجل ما يشق غليله من الاكل او ربما يعز

على احد بالأكل مثلاً أو يأتيه احد ضيف على غفلة فتكون المائدة رغيف فيها المحتمل للأكل منها كما تقدم والتفرقة وكذلك الشرش البصل وهي الحزمة التي تملأ الكف تكون الأخرى تكفيه للاكل منها ولتفرقتها ان شاركه احد * ثم ان الناظم اشترط شيئاً آخر واشتهى حبه له فقال

ص * (يا محسن الخبز المقمر على الندى ❁ وفوقه من الشرشوب خلب نضيف) *

ش قوله (يا) ناس ما (احسن) اى ما اظرف والطف والذ ماكول (الخبز) الظيف الابيض (المقمر) بالنار لا بالشمس (على الندى) اى على الفطور عند نزول الندى وهو الماء اللطيف الذى ينزل وقت الصبح الى نزول الشمس سمي بذلك لانه يندى الارض اى يبلها بللاً خفيفاً وفيه منافع كثيرة للزرع وغيره وفيه بركة عميمة ويشبه به السخاء والكرم يقال فلان كفه ندى ويقال فلان ما عنده ندى مثلاً والندى قرين الجود قال بعضهم يمدح السلطان زيداً والي مكة المشرفة رحمه الله تعالى

سألت الندى والجود من عهد آدم * لقد عشتما دهراً وقد متما أحيانا
فقالا نعم متنا زماناً وعندما * أتى زيد والي كعبة الله أحيانا

قال بعضهم واختلفوا في الماء النازل وقت السحر على الزرع فقال قوم لا تجوز الطهارة منه لانه ليس من جنس المياه بل هو نفس دابة في البحر تتنفس وقت السحر فهو ملحق بالعرق حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفية ويشهد لهذا القول ان المجرب بين ذكر وان هذا الماء اذا اجتمع في وقت السحر وملئت منه بيضة وقد فرغ ما فيها وسدت بشمعة او غيرها ووضعت في الحمام متى احست بالحرارة صعدت الى السماء وهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض في الارض ويشهد لهذا ايضاً ان الندى ليس بماء ثلج ولا برد ولا مطر والله تعالى اعلم * قال صاحب كتاب الملتقطات ومنهم من جوز الطهارة به لانه ماء وانه لم يتحقق مجيئه من نفس تلك الدابة انتهى * وكان من جملة محاظي الرشيد جارية فصيحة تقرأ القرآن وكان له خادم اسمه طل وكانت تألفه فامتحنها الرشيد بان قال لها والله لم تذكري هذا الخادم قط

فكانت اذا قرأت الآية الشريفة لم تذكر الطل امتثالاً للامر فلما تحقق منها
ذلك فسح لها فى مخاطبته والآية الشريفة قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل
انتهى * فالفطور فى هذا الوقت على الخبز المقمر فيه منفعة عظيمة * وفى كلام الحكماء
الكسرة اليابسة مرهم البدن * ورأيت فى بعض كتب الطب ان المعدة
يعلوها شئ يشبه الشعر فاذا فطر الانسان على الكسرة اليابسة نزلت على
هذا الشعر حكم الموسى فتحلقه فعلى كل حال الفطور على الخبز اليابس المقمر انفع
من غيره (و) خصوصًا اذا كان (فوقو) اى فوق الخبز المقمر بعد تكسيره ووضعه
فى الاناء (من الشرشوب) على وزن الجعبوب وهو اللبن يوضع فيه شئ يسير
من اللبن الذى ينزل عقب ولادة البهيمة ويسمونه مسمارًا يأخذونه ويضعونه
فى طاجن فخار احمر ويضعون عليه شيئًا من الملح لاصلاحه وتمكنه لحاجتهم فاذا
ارادوا الشرشوب يضعون اللبن فى الدست ويصبون عليه من هذا اللبن
الذى يسمونه المسمار ويفورونه على النار فيقال له المفور ويقال له شرشوب
ويفتون فيه الخبز المقمر مع العجوة ويأكلونه وله لذة عظيمة ويجعلونه ايضًا
فى طاجن ويضعونه فى الفرن بعد وضع المسمار فيجمد ويسمونه لبة بخفض اللام
والباء الموحدة ويأكلونه وله لذة عظيمة وافضل الالبان لبن النعاج واجودها
لبن البقر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالبان البقر فان لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها
داء واجودها ما شرب من تحت الضرع كما حلب واذا خلط بالسكر خصب
البدن وصفى اللون ولين الطبيعة وزاد قوة فى الباه وسمى اللباء لباء لانه
مشتق من اللب او من اللبوة او من قولهم (لبيك واحد بعد واحد) مثلاً او من
لب الجدى الصغير امه اذا اراد شربها قال الشاعر

فانت كالجدى لما ان يلب وكالـ ـبحر المطوق اسراعًا الى اللبن

قوله (حلب) اى قدر حلب وهو اسم لما يملأ المحلاة والمحلبة او انه مشتق
من حلب الرجل بيده فيكون اسمًا لما حلب من البهيمة والمعنى ان يكون فوق
هذا الخبز ما يعمه من لبن الشرشوب المحلوب حلبًا (نضيف) اصله نظيفًا
ذكره بالضاد المعجمة جريًا على اللغة الريفية وسكنه لضرورة النظم اى ليس فيه شئ

يدنسه من اثر جلة او غبار يلحقه ونحو ذلك كما انهم اذا تعاطوا الحلب
لا يتحاشون عن مسك جلة وغيرها من انواع النجاسات بل ربما لطخوا درة
البقرة او الجاموسة بجلة فتحلب اللبن سريعا فطلب الناظم ان يكون هذا
الشرسوب نظيفا خاليا من هذه الامور وان كان معفوا عنها ثم بين كيفية الاكل منه فقال

ص * (واقعد على ركبه ونص وشمر * عن ا.. بايدي ما أخاف مخنف) *

ش قوله (واقعد) متأهبا للاكل من هذا الخبز بالشرسوب تأهب الجيعان
الشديد الشهوة لهذا المأكول (على ركبة ونص) وهي قعدة القوي الشديد
الذي يريد دائما الاكل الكثير او الذي عنده شره في الطعام مثلا واما
جلسة الادب فانها بخلاف ذلك بان يجلس الانسان على الركبتين ولا يلتفت
يمينا ولا يسارا ويأكل مما يليه ولا يمد يده الى طعام بعيد عنه مدا عنيفا
كما اتفق ان شخصا قال لآخر وهما في وليمة يا كلان يا فلان اقدم لك
هذا الصحن فقال انا ايدي تجيب من مكة ومد يده بعنف فضرط فقال
له الرجل بلغ البياض في مكة كام الكورجة فخجل وقام من غير اكل وللاكل
آداب مذكورة في بعض الكتب وقوله (وشمر) من التشمير وهو رفع كمه
(عن الكف) اي كفه يقال شمر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمر عن ذكره
اي اراد عطفة يبول فيها والتشمير المعنوي هو الكف عن الذنوب قال الشاعر

شمر فانك ماضي العزم شمير * ولا يهولك اهوال وتكدير

لكن مراد الناظم التشمير الحسي وهو رفع الاكمام ووضع الشمار الذي تصنعه
اولاد الارياف من الصوف ويضعونه في اكتافهم يرفعون به اكمامهم وله
هداب مائل على كفل الولد الامرد وفيه لهم نوع من الجمال وهو عندهم امر عظيم
حتى ان بعض الاولاد يعمله ويجعل فيه من الحرير الاصفر والاحمر والاخضر
والاسود حتى يرغب العاشق فيه وغالب اولاد البطالة يجعلونه حكم
اعقصة النساء ويجعلون له عقدا اصغانا في رؤس الهداديب ويزينوه
بها وقوله (بايدي) اصلها بيدي لا بيد غيري فلا احتاج الى احد غيري يشمر لي
بل انا اتعاطى تشميره بنفسي لاجل خلو يدي عن شيء يمنعها من تناول الطعام

وهذا يدل على ان كمته كان طويلا حتى احتاج لتشميره او ان مراده بالتشمير رفع يده وخفضها في حالة الاكل بسرعة وقوة من غير التفات لاحد ولهذا قال (ما اخاف) اى واكل من هذا المشروب ما اخاف من احد يأتيني او يمنعني عنه (مخيف) اصله مخيفا اى مخوفا يمنعني عن شهوتي بل لا ابالي اذا حصل لي وظفرت به من احد ابدا ولا يعتريني خوف ولا فزع حتى اكتفي واشبع منه الشبع المفرط ولا اخشى من تهمة ولا غيرها * ثم انه اشتاق الى اخر الذي ماكول اهل الريف

فقال ص * (على من قشع روحو حذا الرز باللبن * ويقطع ويبلع من ثقيل وخفيف) *

ش قوله (على من قشع روحو) اى على من نظر بروحه اى ذاته لا ذات غيره (حذا الرز باللبن) اى حذاء بالذال المعجمة اى محاذيه بمعنى انه جالس بجانبه والارز باللبن طعام لذيذ وهو غالب ماكول بلاد البحر لكثرته عندهم وكثرة الارز ايضا وهو حار رطب ينفع من احتراق المعدة وما الذ واطيبه اذا وضع عليه السمن البقري في وقت نزوله من على النار ويؤكل بالعجوة الا انه بالسمن اطيب واشهى للاكل وكلما كان لبنه كثيرا كان جيدا وكلما قل ارزه كان اجود وارداه الكثير من خلط الماء والارز كما تفعله اهل الارياف فانهم يجعلونه ثخينا جدا يقطعون منه اللقمة مثل ما يقطع الشخص من الطين اليابس * واما ابناء الترك فانهم يصنعون اللبن الخالص من غير ماء ويجعلون فيه شيأ يسيرا من الارز بحكم الشرب ولهذا يشربونه بالملاعق فيصير حلوا لذيذا وهذا النوع اجود طعامه واطيبه * وطبيخ اللبن على كل حال اطيب من العدس والبيسار وما شابههما قال الشاعر

طبيخ اللبن احسن من الحبكرك * والعدس والبيسار بجيبوا المحوادر

(واما النوع الذى تمناه الناظم فهو الذى تقدم ذكره وهو الثخين الذى يشبه الطين في يبسه لانه المشهور عنده وفي بلاده * واما بلاد البحر فيفعلونه حالة وسطى لا ثخين ولا مائع الا انهم في الغالب يصنعون عليه شيأ من الماء واما الناظم فلا يعرف الا الذى في بلده ولهذا قال (ويقطع) والقطع لا يكون الا من الطعام اليابس اى يقطع بكفه وقوله (ويبلع)

من البلع وهو مجاوزة الاكل من الحلق يقال فلان بلع الحوت بمعنى انه دخل جوفه ووصل الى بطنه ومنه سميت البلاعة لانها تبلع الماء فى جوفها والقطع هو فصل الشئ من الشئ وبعده عنه يقال فلان قطع فلانا مدة بمعنى انه هجره او بعد عنه وقوله (من ثقيل) اى من قطع واقية عن اللقمة المعتادة بحيث تكون اللقمة ملء الكف وتدمع العين من كبرها * كما ذكرت ذلك فى خطبة كتب الفشها سابقا فى المأكولات وهى هذه

الحمد لله مستحق الحمد على التحقيق الذى وفق بين الفرج والضيق وامر بالحج الى بيته العتيق وجعل السمن البقرى للعسل النحل رفيق * احمده حمد من عنده من الجوع دسيسه واغاثه الله بقصعة من البسيسه بالفطير الرقيق فملا بطنه واحس بالله طنه ونام على راحة من الله وتوفيق واشكره شكر عبد تقلع عن الحوامض والمش العتيق * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها من الضيق واشهد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الناطق بالصدق والموصوف بالحق والتحقيق * اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اهل الكشف والتحقيق وسلم تسليما كثيرا * ايها الناس مالى اراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون وعن الارز المفلفل باللحم الضانى تاركون وعن المقلاوة فى الصوانى معرضون وعن الاوز السمين والدجاج المحمر لاهون فما هذا يا اخوانى الا حال المفلسون وافعال الفقراء المقلوت فجدوا وارحمكم الله فى تحصيل الدراهم لتغتنموا الاكل النفيسه والمطاعم اللذيذه وقد قال الامام على رضى الله عنه لذة الدنيا ثلاث اكل اللحم وركوب اللحم وادخال اللحم فى اللحم فمن انعم الله عليه فليشكر ومن حرمه فليصبر وعليكم بالارز باللبن فانه طعام جيد حسن وصباحه ابرك الصباح خصوصا عند الفلاح اذا جاء وحلب بقرته واتت زوجته بالاست وعلقته وصبت فيه اللبن وقادت عليه وحركته بالارز الابيض وطبخته وفى الصحون غرفته فجاء الشيخ الكبير وقعد وثنى ركبته * فعند ذلك يا اخوانى صفت الاوانى ولا ذكل ايه نتن باوانينا فلا ترى الا الايدى تقطع والحنكة تبلع وزراديم تفرقع وحلوق تفرقع

والعين من كبر اللقمة تدمع والبطن لا تشبع بل تزيد اتساعا الا وهي تقول جل ربنا وتعالى فاذا سبقك اخوك باللقمة فبادر بجدع رقبته بلكمة واغتنموا رحمكم الله تعالى هذه الموعظه ودعوا اكل المغلظه كالعدس والبيسار والمدمس والفول الحار والبسلة والكشك بالفول وجبن النور المعمول فانها تورث الارياح وليس في اكلها صلاح وعليكم بالاطعمة الفاخره كاللحم الضاني فانه سيد طعام الدنيا والاخره وعليكم بالشراب البارد ففيه حديث وارد واحمدوا الله انما الاغنياء المتنعمون واصبروا انما الفقراء المقلون نسأل الله ان يمن علينا وعليكم بالاطعمة الفاخره ويرزقنا واياكم الراحة في الدنيا والاخره وان يجعلنا واياكم من الاكلين المتنعمين وينجينا واياكم من موارد الجيعانين المقلين وان يغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين آمين * فاستغفروه يستغفر لكم يا فوز المستغفرين * روى عن مهلب بن مهلب عن زنطاح بن النطاح بن فليل الافراح انه قال كان رجل من العرب قام من منامه ولذيذ احلامه واكل في فطوره فصيلا ابن عامين وصبر الى ضحوة النهار فاكل اربعين دجاجة محشية باللحم الضاني فحمرة بالسمن البقري وشرب زقين من خمر ونام في الشمس فمات ولقي الله سبحانه سكران ريان * الحمد لله مزيل الحزن ومزين الارز باللبن واشهد ان اللحم الضاني سيد الاطعمة ومصلح للبدن واعلموا ان القشطة لا تترك وان المهلبية احسن وابرك فهنيئا للاكلكم وشربكم واعلموا انكم غدا بين يدي الله موقوفون وباعمالكم محاسبون وعلى رب العزة تعرضون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون * اللهم وارض عن الاربعة الاعيان الذين ذكرهم الله في القرآن التين والزيتون والخوخ والرمان وارض اللهم عن الستة الباقين من العشره الاطعمة المفتخره الماوردية والمهلبية والشعرية بالزغاليل المرتبة والارز المفلفل باللحم الضاني المحشي المحمر والكنافة المسلية بالسمن والعسل النحل واللوز والسكر والقطايف الغارقة بالسمن والعسل والقرع المحشي باللحم والبصل والبقلاوة المحشوه وخرفان الغنم المغلوه والقرمزية والبخني السمين متعنا واياكم بهم اجمعين *

اللهم وأدم النصر والتأييد والثبات واجمع الشمل بعد الشتات بيقاء السلطان السكر النبات ابن القناني من أصله القصب الملواني اللهم وأيده بأرماح القصب وبسباط الرطب وبعناقيد العنب وأجمعنا عليه من أول النهار وفي وسطه وآخره وانصره وانصر عساكره في الدنيا ننتفع به يارب العالمين اللهم وأهلك الثلاثة الفجار العدس والبسلة والبسار * عباد الله من أراد خلع القبول أن تفاض عليه فليأكل الموز بالسكرين والدبه وتفكهوا قبل الطعام واقتدوا بسنة خير الانام ولا تضاربوا ولا تخابطوا وكونوا عباد الله اخوانا * ان الله يأمركم بأكل الحلال مما تشتهي العقول وينهاكم عن أكل الحرام ولو من أطيب المأكول والبغلة ترفصكم لعلكم تنقلبون أو تشد قلبجون وقوله (وخفيف) اى وبأكل اللقمة أو اللقم من صغيرها وكبيرها ليحصل التعاذل ولا يغتر بقول القائل كلوا اكلة من عاش عاش بخيره * ومن مات يلقى الله وهو بطين فينبغي للانسان أن يجعل البطن ثلاثة أثلاث ثلث للأكل وثلث للشرب وثلث للنفس فلا يفرط في الأكل ولا يفرط في الجوع قال صاحب البردة رحمه الله تعالى

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

وما أحسن ما جمعه بعضهم في قوله

ارطاب توت لقد طابت رطوبتها	كبرق ثغر حبيب وهو مخمور
في بابنه اقبل الرمان منعقدا	مثل اليواقيت منظوم ومنثور
مئزر بعقلك تلقى الموز في خجل	مصفر الوجه لما جاءها نور
سل من كبيهك عن الأسماهل صلحت	تنبيك عن حوتها بالشح مبزور
هل ماء طوبة لم أروت لواقحه	مثل الزلال فلا تحتاج تأخير
كل اللحوم اذا طابت رعيتها	وهل يطيب سوى في الرعي امشير
في برمهات ترى الألبان نافعة	سمن الكادين في ذا الشهر مشهور
برمودة الزهر قد جاءت مبشرة	سلطانه الورد كل منه مأمور
بشنس تشهد أن النحل جانبه	والشهد يقضي وما في أمره زور
هشمش بؤنة لم يلق الهوا أبدا	مسكين ذاك قليل الجهد معذور

وأصبح التين فوق الغصن ناعيه * كأنه في أبيب جاء مشهور
عنقود مشرى نعم فاغنم فكاهته * فعن قليل تراه وهو معصور
هذى مطايب ما فيها مرتبة * والشكل في هذه الابيات مذكور
ثم ان الناظم انتقل الى نوع من الادم قد قدمناه فقال

ص * (على من ملا لحفه جبينه طرية * وراح ورد البجامورس برعي النيف) *
ش قوله (على من ملا لحفه) اللحف شيء طويل يعمل من الصوف او الشعر يلبس على الرأس له زى وله هندام تستعمله الفقراء وغالب الخلابيص ويلبسون شيئا يقال له الطرطور ويلقون عليه اللحف لكونه واسعا من جهة الرأس وضيقا من اعلاه قصيرا عن الطرطور وكان استعمال ذلك في سابق الزمان كثيرا واستعمال اللبد على اصناف شيء يشبه اللحف وشيء يشبه البرانيط والذين يلبسونه يقال لهم صلحاء متصوفون ثم ظهرت القواويق اللطيفة وصار لها بهجة ورونق وانس وظرف فبطل لبس اللبد وغيرها وصار لا يلبسها الا بعض الفقراء المتصوفين المتقشفين ولهذا يقال اخفايا فلان خفوة اللبد ومن هذا قيل في تركها كلام كثير مثل قولهم (يا لبدى مالك في السوق يا لبدى قلة خازوق) وسمى لحفا لجافته ويبسه ولهذا يشبه به الرجل السيء الخلق فيقال هذا لحف اى سيء الطبائع قال الشاعر في المعنى (ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه
فهل رأيتم في الورى * لحفا رقيق الحاشيه) وهو مشتق من لحف الحوش او ان الرجل الذى صنعه اولا كان من لحافة قرية معروفة موقوفة على سيدى احمد البدوى نفعنا الله به دنيا واخرى وقوله (جبينه) تصغير جبنه على وزن أبنه وهى واحدة للجبن (طرية) اى عملت في وقتها اى وقت نزولها من على الحصير التى يعملون فيها الجبن فاشتهى ان الله تعالى يمن عليه بملء لحفه جبنا طريا ولو كان هدية او صدقة تصدق به عليه احدا وسرقة فان الرزق فيما ينتفع به ولو حراما قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى (الرزق ما ينفع ولو محرما) وقال ابو نواس رحمه الله تعالى (يقول لى العذول ولو لبس * دعا اللهاى الحرام وكن قنوعا * اذا انا لم اجد ما لا حلالا * ولم آكل حراما مت جوعا)

فان قيل لاى شئ تمنى الناظم ملء قحفه من الجبن مع ان القحف لا يعد
لشيل الجبن فيه خصوصا وقد قال جبينه طرية فاذا وضعه فى قحفه
يحصل له ضرر من وجهين الاول ان يصير لقحفه التقذير من جهة الجبن
والثانى ماء الجبن يبل قحفه ويشوش عليه قلنا الجواب القشرى من وجوه
اما انه تمنى شيأ من الجبن بحيث لو وضع فى قحفه لملاه لكون قحفه طويلا
كبيرا حتى يكفيه للادم بقية الجمعة او الشهر لكونه مفتقرا لذلك ومحتاجا
اليه بخلاف ما اذا اتاه شئ يسير لا يكفيه ولا يقوم باولاده واما ان الكلام
على حقيقته لان اهل الريف اذا اعطاهم احد شيأ من ماكول او غيره
ياخذونه فى اطراف بردهم وارديتهم وفى اكمامهم وعلى شد ودهم التى
على روسهم وكانوا فى الزمان السابق يضعون الشئ فى قحوفهم فانهم
فى الغالب كانوا يضعونها على روسهم من غير شئ يلفونه حولها فكان
الشخص منهم اذا اخذ شيأ من السوق ولم يكن معه مقطف او صحن مثلا
يضعه فى قحفه * واما تلويث القحف وتقذيره فالناظم لا يبالى بهذا الامر
فان قحفه كان يساوى نصفا او نصفين ومن كثرة استعماله وتداول
الايام عليه وطرو العرق والحال الذى هو فيه يبس وصار مثل الخشب
فصار لا تؤثر فيه رطوبة الجبن ولا غيرها فينزل الكلام على حقيقته
فاتضح الاشكال عن هذا المثال وقوله (وراح) اى وسار وهو مشتق من
الروحاء مكان بارض الحجاز او من الراحة او من الريح او من ابى رياح
الذى يصنع على غاية طويلة وهو اربع ورقات ملصوقات على اربع قطع
من الغاب تلعب به الاولاد الصغار وهو مشهور فى بلاد المدن وغيرها
وقوله (ورا) اى خلف (الجاموس) نوع من البقر فان اسم البقر يشمل الجاموس
وغيره وهو ضخم كبير غليظ الجلد اسود وسمى البقر بقرا لانه يبقر الارض اى
يشقها وواحدته بقرة واهل الريف يعايرون الولد الامرد بذلك ويقولون
له انت بقرة مثلا يعنى يا كثير الخناء (مسئلة هبالية) لاى شئ لم يقولوا
للولد الامرد يا جاموسى مع انها فى حكم البقرة والعجل يطلع عليها ويضربها

ففى

فهي في هذا الامر مثل البقرة فلا خصوصية لاحداهما (قلنا الجواب الفشروي) من وجوه الاول ان الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدم بيانه فصار شاملاً للنوعين * الثاني ان لفظة جاموس مركبة من اسم وفعل فاذا قال الشخص للولد الامرد انت يا جاموس ربما يفهم منه انت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلاً فكأنه يخبره بذلك فتندفع المعيرة عن الولد الامرد ولا نتوهم ويقال امرأة ولدت جاموسى اي وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى * الوجه الثالث ان اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التحسير يقال فلان يتجمس في الظلام بمعنى انه يتحسس على شيء يأخذه واسم البقر مشتق من بقر الارض اي شقها بالمحراث فكان مثل وضع (الزب في الكس) مثلاً لانه يشقه اي يدخل فيه ومثلها الامرد فانه يدخل الزب في استه مثلاً فكان مشبهاً بالفعل * واما التجميس فهو مشبه بمقدماته والفعل اقوى من الاسم لان التجميس زرع والنيك حصاده فكان النيك ابلغ من التجميس فلهذا صار يعاير بذلك الامرد ويقال له يا بقرة فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (يرعى النيف) اي يسوق الجاموس لاجل ما يرعى لانه هو الذي يرعى بنفسه فالرعي راجع للجاموس اي انه يسوق الجاموس الى المحل الذي ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف وهو يرعى اي يأكل يقال الجاموس او البقر يرعى في المحل الفلاني بمعنى انه يأكل منه واما قولهم للذي يسوقه ويتعهد مصالحه من حلبه وعلفه وربطه في الغيط ومباشرة حراسته ونحو ذلك راعي فلكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعلته ان يراعيه بالشفقة عليه والرحمة به * والنيف حشيش ينبت في الارض بنفسه من آثار نزول المياه على الارض واكثره في الاراضي البحالا تزرع وهو مشتق من النيفة التي تعمل في بلاد المدن وهي لحم تشوى في التنور ويؤكل وله لذة عظيمة او من النوف التي توضع على رقاب التيران وقت استعمالها في الساقية او المحراث وذكر الجبن ولم يذكر الخبز والظاهر انه كان موجوداً عنده ومضى عليه مدة وهو يأكل منه من غير أدم

فأشتهي على تحفه جبنا لأجل ما يكفيه مدة (وحكى) من أشياخ عن عمنا
ان رجلا نشأ له ولد من امرأة ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة ابيه
من كراهتها له تنم عليه حتى كرهه والده ثم انها تذكرت من قتله فالت
يا انا يا ولدك هذا فقال لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له
فسمع كلامها وأتى بالسم وسلمه اليها فقالت له هات لنا لحما نضعه فيه
فلما ذبح الجزار أتاها باللحم فعملت للولد طاجن لحم وطيبته بالأبزار ووضعت
فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان الوقت قد أمسى فقالت
له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها اني لم أصل العصر لأن الوقت
راح لما اصلي وأجي ناكله فتوجه الى المسجد وكان بعيدا من دارهم فلما
صلى العصر أذن المغرب ففتحت ابواب السماء بماء منهمر كأفواه القرب
فجلس الولد بالمسجد الى أن صلى العشاء فعزم عليه شاب من خدمة المسجد
ودعاه الى داره فنام عنده فلما أصبح صلى الصبح وحضر الى المسجد
وجلس فيه حتى صلى الضحى ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة أبيه تسخنت
له الطاجن فقالت له لاي شيء لم تجئ فأخبرها بأن فلانا عزم علي
فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم فاني سخنته لك فقال

ان جاك بدر الطعام اصطبر بو ❀ كما جاك بدري من الزرع ناجب

وأبوه يسمع ثم قال لها اعلف البهائم لاجل فطورهم بدري وذهب يعلف البهائم
فببركة الصلاة التي صلاها وأفنه على البهائم ألقى الله تعالى في قلب والده
أن الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره وألقى
اللحم على الارض وداسه برجليه فجاء الولد ونظر ذلك فعسر عليه أخذ
معرفته بما هنالك ولا يدري بما جرى له ونادى والده لزوجته هاته
قسطة وقال له كل وأسرع فلما اكل وشرع قال لها توجهي الى بيت أهلك
بالستر وان جئت لك بأحد كأنثى من كان سياق فلا تقبليه وان
قبلت السياق وجئت فقبرك في محل الطاجن تعلمي ذلك وتعتقديه
ولا تبديه والسلام فانظر يا أخي الى من قدم علف الحيوان قبل أن يأكل

وواظب على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية * ثم ان
الناظم انتقل لتمني شيئاً آخر من الاطعمة التي يفعلها اهل الريف فقال

ص * (على من قشع لقانة امو ملانه * من الهيطليه اللي لها ترصيف) *

ش قوله (على من قشع) اى نظر نظراً حقيقياً (لقانة امو) او زوجة ابيه ايضاً
واللقانة تأنيث لقان على وزن خرفان ويقال لها القصرية ايضاً وهي اناء
من الفخار متسع دون الماجور وفوق الشالية سميت لقانة لان الشخص
اذا اراد ان يشرب منها يلقي بلسانه او بفمه الماء لانه لا يقدر على حملها
او ان الذي صنعها في الاصل من لقانة قرية مشهورة خرج منها علماء اجلاء
وفضلهم مشهور ينتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله ببركاتهم
واضاف اللقانة الى امه لكونها كانت تشيلها ولم يعرف غيرها ولا له شيء سواها
فتمنى رؤيتها بحشائها لانه (ملانه) لانا قصة وسهل الهمزة لضرورة
النظم ثم بين الشيء الذي تمناه فقال (من الهيطليه) وهي طعام يعمل من
نشا القمح واللبن وللمائدة عظيمة بعد الاكل وهي اخف من الارز باللبن خصوصاً
اذا اضيف اليها العسل لان النشا بارد يابس ويعدله الحلو واللبن
تقدم انه رطب وقيل معتدل للحرارة والرطوبة والارز حار يابس
فيكون النشا اقل درجة منه وان كان الارز موافقاً لكل طعام وفي
كلام بعضهم لو كان الارز رجلاً لكان حليماً لانه موافق للطبائع وسميت
هيطلية من هطل ... وهو المطر لكونها تشبهه ببياضه او من عطل الشيا
وهو طولها وجرها على الارض ولمعانها ولهذا قال الناظم (اللي) بتشديد اللام
يعني التي وهي لغة ريفية (لها ترصيف) اى من جنسها وشدة بياضها ولمعانها
اى تضيء ويشتهى اكلها ويلتذ بها يقال فلان عليه ملوطة بيضاء ترصف
اى تلمع وتضيء وهي مشتقة من الرصافة بنواحي الشام (ومن اللطائف)
ان رجلاً مر بين الجسر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال
وهي تمشي فقال صدق ابو العتاهيه ولم يذكر ما قال فهزت رأسها وقالت بل
صدق ابو العلاء المعري ولم تذكر هي ايضاً ما قال فاعترى الرجل الخجل وتركها ومضى

وكان بالقرب منهما رجل سمع ما قالاه فلحق المرأة وقال لها اخبريني بما اردت
وما اراد والا اعلمت بكما امير المؤمنين فقالت له انه عنى بقوله صدق ابو العتاهية
قوله عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري
وانا عنيت بقول ابي العلاء المعري قوله
ايا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال
فتركها وسأل الرجل كما سألها فاجابه بما اجابته به وافهمته ان الدار قريبة
ولكنها بجوار امير المؤمنين فلا تقدر على الوصول للمطلوب فانظر الى قوة
حذق الجارية ومعرفتها المقصود وشدة فصاحة الرجل وفهمه المقصود
ايضا * ثم ان الناظم بين كيفية الاكل من الهيطلية فقال

ص * (واقعد لها بالعزم في رايق الضحى * واسحب لها مصبوبة ام وطيف) *

ش قوله (واقعد) اي واجلس من غير استعجال بل اقعد قعود متمكن
من غير خوف ولا فزع ولا احد يشوش على (لها) اما ان الضمير راجع للقانة
التي فيها الهيطلية ويكون قوله واقعد لها بمعنى انك كل منها وهي فيها
فيكون اكله من الهيطلية لا لنفس اللقانة واما ان كان الضمير راجعا
لنفس الهيطلية فلا اشكال ورجوعها اصوب وقوله (بالعزم) اي بالقوة
والشدة او انه يقعد لها عازما على الاكل منها مثلا (في رايق الضحى)
اي وقت ارتفاع الشمس وهو وقت جواز صلاة الضحى ويقال ضحوة النهار
وهو وقت الغداء وخلو الباطن واشتداد الجوع (واسحب) اي ناخذ
اخذا سريعا مرة بعد اخرى لان السحب هو جر الشي بحبل او غيره جرا سريعا
فيكون سحبه يطلق على الاخذ من غير علد وقوله (لها مصبوبة ام وطيف)
اي من الصبوبة التي تعملها زوجته ام وطيف ووطيف ولدها سمي بهذا
اللفظ لكونه كان يصنع الجلة اطواقا وقيل كان له دوبرة يحط فيها الجلة
طوقا بعد طوق وقيل من طوافه حول البقرة في صغره واما اسمه الذي
سمي به عند ولادته على ما قيل فهو دعموم لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه
فصار علما واشتهرت امه به فصار يقال لها ام وطيف * واما المصبوبة

فإنها تعمل من نوعين من دقيق الحنطة ومن دقيق الارز فأهل الكفور
والبلاد التي لم تزرع الارز يصنعونها من الحنطة واهل بلاد الارز يصنعونها
من دشيش الارز ويقال للتي تصنع من القمح قطايف وربما صنعوها
من الارز خالصا والفقراء يصنعونها من الدنيبة التي تخرج من الارز
عند نبيا منه مع خلط شئ عليها من دشيش الارز وسميت مصنوبة لانهم
يجعلون عجينها ماشا مثل عجين الكنافة ويحمون الفرن ويأخذون نصف
قرعة ناشفة او جوزة هند فارغة ويثقبونها ويجعلونها في عصا طويلة
ويغرفون من هذا العجين ويصبونه في الفرن اقراصا على ارغفة الخبز
وعندها رخاوة وطراوة فسميت بذلك لكونها تصبت على هذا الحال *
وأما القطايف فانها تعمل في بلاد المدن من الدقيق الابيض الخاص
المقطف وتصب على صواني صغار يقال لها الرقع من حديد او من نحاس
الا انها صغيرة مثل القرصة وهي الذهن الانواع واطيبها خصوصا
اذا قليت بالسمن وصبّ عليها العسل النحل ولله الحمد اكلنا منها مرارا
وتلذذنا بها ونسأل الله تعالى أن يطعمها لاخواننا الفقراء ويعمهم باكلها
لكن هذه بعيدة عن مقصد الناظم ولا يعرفها بالكلية وانما اشتهرت
في بلده مصنوبة ام وطيف هذه قيل انها زوجته على ما تقدم وقيل
كانت امرأة تصنعها في قريته مشهورة بذلك وسميت قطايف لان
الدقيق الذي تعمل منه مقطف اي منخول من المنخل الرفيع فيكون من باب
تسمية الشئ باسم الصفة التي تطرأ عليه وتمام الكلام انه اذا سمع بالصبونة
ورأى الهيطلية فيقعد ويأكل منها حتى يكتفي لئلا يفهم احد ان مراده الا النظر وهذا محال
كما قال بعضهم النظر بالعين لا يقضي ملامه * غير مص الريق ولثم الخال شامه حزامه
النظر بالعين ما يشفي عليلك * الا ان واصلت في بتنك خليلك * وجعل الغصة بحبوك سبيلك * وادخل القبة برنج
الى آخر ما قال ويجري هذا المعنى في جميع الابيات التي صرح فيها بالرؤية جميعا فان مراده الرؤية
مع الاكل وليس المراد النظر الى الطعام لانه ما يكفيه ذلك خصوصا مع كثرة شهوته له وشدة جوعه
ثم انه تمم النفس المأكول آخر فقال ص * (الا اترى اشجا اللبن يعجلوه * ولوكا بالخبز السخين رديفه) *

ش قوله (الايا ترى) يريد ان يستفهم ويخبر ويسال ويتحقق عن شيء غاب عنه ولم يره ولم يشاهده مثل ما يسال الانسان من صديقه الغائب عنه مدة طويلة ولهذا قال (اشحال) يعني ما حال هذا الغائب كما يقول الرجل اذا قابل صديقه بعد مدة واوحشه ايش حالك اليوم مثلا (اللبن) الحليب بعد وضعه في الدست و(غلوه) اصله وغليه ابدلت الياء المثناة من تحت واوا جريا على اللغة الريفية اي غليه بالنار يعني هل له لذة في المذاق وحلاوة في الطعم ام كيف حاله (و) خصوصا (لو كان) اي هذا اللبن الحليب المغلي (بالخبز) تقدم تعريفه في الطعام (السخين) تصغير سخن وسخن تصغير تحلاوة كما فظ مثل قول بعضهم ما قلت حبيبي من التحقير * بل يعذب اسم الشيء بالتصغير فلهذا قال السخين على وزن الطنين اي المسخن بالنار وقوله (رديف) على وزن كثيف مشتق من الردف وهو ركوب الشخص على الدابة خلف اخر والسخين مشتق من السخونة وهي الحمى لحرارتها وسخونة الجسد بالحرارة اعاذنا الله منها * وجعل الخبز رديفا للبن بمعنى انه لا يفارقه ولا ينفك عنه حتى يؤكل معه فهو مثل الرجل الرديف خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابة فهو واياه على ظهرها لا يفترقان ولا ينزلان الا سوية ولا يفارق احدهما صاحبه وقوله هذا من باب تلذذ احدى الحواس الخمس يعني السمع فكانه يقول لهم اخبروني عن حال اللبن وعن اكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة لذيذ المأكل ولذذوا سمعي بذكره فلعلي ان اراه حقيقة واكل منه يقينا كما قال ابو نواس الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر فان الشاهد في قوله وقل لي هي الخمر اي لاجل ما التذ بسماع اسمها وتلذذ اذناي بذكرها فان الحواس الاربع قد التذت وبقي حاسة السمع وكقول ابن الفارض نفعنا الله به ادر ذكر من اهوى ولو بملام * فان احاديث الحبيب مدامي ليشهد سمعي الى آخر ما قال * ثم انه لما اراد ان يلتذ سمعه باللبن المغلي مع الخبز المسخن اراد ان يلتذ سمعه ايضا بمعروكة اللبن حتى يرزقه الله له بالاكل من الجميع ويقضي مراده وما ذلك على الله بعزيز فان الله سبحانه وتعالى جابر المنكسرة قلوبهم فقال

ص *(ألا ترى أشكال مفروكة اللبن * على زلطها قلبي يرف رفيف)

ش قوله (ألا ترى) أي يا ترى أحداً يخبرني خبراً شافياً (أشكال) أي أسأله عن حال (مفروكة اللبن) أي الفطير الذي يفرك باللبن بمعنى أنه يعمل من الدقيق الأبيض الناعم ويخبز في الفرن أو الجوزة ويفرك أي يكسر بالأيدي وهو حار ويوضع في زبدية أو مترد ويصب عليه الحليب حتى يغمره ويمتزج به ويصير مثل الثريد لينا ناعماً في البلع والزلط لأن الثريد فيه اللذة وهو أفضل الطعام وفي الحديث الشريف فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على نساء العالمين وورد أيضاً أثردوا فإن في الثريد بركة ثم قال الناظم (على زلطها) وكثرة شوقي إليها وحسرتي على بعدها (قلبي يرف رفيف) أصله رفيفاً لأنه مصدر حذفت الفه للضرورة أي يخفق خفقاناً زائداً يشبه في خفقانه رف جناح الطائر من شدة الوجد على زلط هذه المفروكة والزلط مشتق من الزلط بفتح اللام جمع زلطة وهي حجارة صغيرة ملساء تتكون في الرمال وسواحل البحر وسمي زلط الطعام به لملوسته واندفاعه من غير مضغ أو لأن اللقمة تحاكي الزلطة الكبيرة لأن الزلطة لها قوة وسرعة في رميها من اليد كما يقال زلطة في راسك مثلاً يعني جاءك ضربة زلطة في راسك بسرعة حتى يؤثر ضربها في رأسك فشبهت بذلك لأنه يأخذ اللقمة منها بسرعة ويحذفها في حلقه ويزلطها كما يحذف الرجل الزلطة بشدة وقوة وأيضاً الفطير لين واللبن رطب فلا يحتاج إلى مضغ اشتاق ولهذا تأسف على فراق هذا المأكول وصار من شدة وجده عليه يرف قلبه ويخفق كالغصن الذي عليه طائر يتحرك ويرفرف بجناحيه وهذا من كثرة الشوق ودواعي الشهوة وانتظار حصول المقصود والمطلوب فإنك تجد العاشق دائماً قلبه يخفق على فراق محبوبه

فلا يسكن الا اذا اجتمع به وتحدث معه ولاطفه في الحديث وآنسه بالمسامرة فهنالك يزول ما به وتسكن حواسه بأنسه بحبيبه واجتماعه به قال سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته

ومشبه بالغصن قلبي * لا يزال عليه طائر

حلو الحديث وانها * لحلاوة شقت مرائر

اشكو واشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

الا ان كلام الاستاذ نفعنا الله به ومشربه ليس مما نحن بصدده ثم انه آلى على نفسه انه متى رأى لقانة ابن عمه الآتي ذكره ملآنة مرة اذ يأكله كله لشدة شهوته وكثرة جوعه فقال

ص * (انا ان شفت لقانة ابن عمي مخيمر * ملآنة من الفتيت ملو طفيف)

ش قوله (انا) يعني ابو شادوف لا احدا غيري (ان شفت) اي رايت بعيني لا بأذني كما تقدم تعريفه (لقانة) تقدم بيانها واشتقاقها وتعريفها (ابن عمي) اخو والدي (مخيمر) سمي بذلك لانه كان له نقرة كبيرة يخمر فيها الجلة وربما بال فيها ايضا اولاتيانه بخميرة العيش لوالدته قبل خبزه اولاكله من العجين المخمر قبل تقريصه اولان وجهه يشبه الخميرة المشققة لبشاعته فانهم يعايرون بذلك ويقولون يا وجه الخميرة المشققة وقوله (ملآنة) اي اللقانة (من الفتيت) جمع فتة وهو تكسير الخبز لقما صغارا اوكبارا واحسنها الصغار ويصب عليه العدس والبيسار حتى ييبس ويصير كقطع الحجارة (ملو طفيف) اي ملوا كاملا مطففا بمعنى انه زائد على حوافي الاناء وهو مشتق من تطفيف الكيل او من طف الماء على الجروف اذا نبع عليها او من الطف محل بنواحي العراق من نواحي كربلاء التي استشهد فيها سيدنا ومولانا الامام الحسين رضي الله تعالى عنه وملخص قصته رضي الله عنه قيل ان معاوية لما مات ارسل يزيد لعامله بالمدينة ان يأخذ البيعة من سيد شباب اهل الجنة سيدنا الامام الحسين

فامتنع وخرج الى مكة المكرمة فأتت كتب العراق بانهم بايعوه
بعد موت معاوية فاشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس
وابن عمر وجماعة من الصحابة اشاروا بعدمه وبينوا له غدر اهل
العراق وما فعلوه بأبيه واخيه رضى الله عنهم وقالوا له ان كان
ولابد فلا تأخذ اهلك معك فلم يفد ذلك فبكى ابن عباس وقال
واحسيناه وارسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى اهل العراق يأخذ
بيعتهم فأخذها وارسل اليه يستقدمه فخرج سيدنا الحسين
من مكة قاصدا للعراق فعلم يزيد بخروجه فارسل الى واليه على
على الكوفة وهو عبيد الله بن زياد يأمره بطلب مسلم وقتله ولم
يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة اميال
فلقيه جرير بن زيد التيمي فقال له ارجع فانى لم ادع لك خلفى خيرا
واخبره الخبر ولقيه الفرزدق فسأله فقال له قلوب الناس معك
وسيوفهم مع بنى امية والقضاء ينزل من السماء فهم ان يرجع
وكان معه اخو مسلم فقال له لا نرجع حتى نأخذ بثاره او نقتل
وكان ابن زياد جهز اربعة آلاف وقيل عشرين الفا لملاقاته
فوافاه بكربلاء فنزل ومعه خمسة واربعون فارسا ونحو مائة
راجل فلقيه الجيش والتمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته
ليزيد بن معاوية فأبى فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه الكاتبين اليه
والمبايعين له فلما ايقن انهم مقاتلوه قام فى اصحابه خطيبا فحمد الله
واثنى عليه وقال قد ترون من الامر ما ترون وان الدنيا تغيرت
وتلونت وادبر معروفها واستمرت حتى لا يبقى منها الا صبابة الاناء
والا خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل
لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى فانى لا ارى الموت
الا سعادة والحياة مع الظالمين الا جرما فقاتلوه فكان آخر الامر
ان استشهد واستشهد معه سبعة عشر شابا من اهل بيته

وكانت هذه الواقعة بكربلاء كما رواه الطبراني قال العلامة
سيدي عبد الرؤف المناوي نفعنا الله به في طبقاته فان قلت
ينافيه ما ورد عن الطبراني ايضا عن عائشة رضي الله تعالى عنها
انه عليه الصلاة والسلام قال اخبرني جبريل ان الحسين رضي الله عنه
يقتل بعدي بارض الطف وجاءني جبريل بتربة منها واعلمني
ان فيها مضجعه (وما رواه سعد عن امير المؤمنين الامام علي
رضي الله تعالى عنه قال دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه
تفيضان فسألته فقال اخبرني جبريل ان حسينا يقتل بشاطئ
الفرات قلت لا تعارض لان الفرات يخرج من آخر حدود
الروم ثم يمر بارض الطف وهي من بلاد كربلاء فاندفع التعارض
والتأم الكلام واستقام على احسن نظام هذا كلامه نفعنا الله به
(ولما فعلوا به ما فعلوا اخذوا رأسه واتوا به الى ابن زياد فارسله
ومن معه من اهل بيته الى يزيد ومنهم علي بن الحسين وكان مريضا
وعمته زينب فلما قدموا على يزيد سر سرورا كثيرا واوقفهم
موقف السبي بباب المسجد واهانهم وبالغ في اهانتهم ولما وضعوا
الرأس الشريف بين يديه صار يضرب ثناياه بقضيب كان معه*
(وقد اخرج ابو يعلى عن ابي عبيدة مرفوعا لا يزال امر امتي قائما
بالقسط حتى يكون اول من يثلمه رجل من بني امية يقال له يزيد*
(وصح عن ابراهيم النخعي انه كان يقول لو كنت ممن قاتل الحسين ثم ادخل
الجنة لاستحييت ان انظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم
(وسمعت الجن تنوح عليه كما اخرجه به ابو نعيم وغيره (استشهد)
يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة احدى وستين وكسفت الشمس وقت
استشهاده كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار واحمرت
آفاق السماء مدة ستة اشهر واشتد الظلام حتى ظن الناس ان
القيامة قامت الكواكب ترى فيها كالدم ومكثت الدنيا سبعة ايام

كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة تضرب بعضها بعضها بعضاً ولم يقلب حجر في بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم غبيط وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً ونحروا ناقة في عسكرهم فصاروا يرون في لحمها نيران وطبخوها فصارت كالعلقم ولما ساروا برأسه الى ابن معاوية قعدوا في اول مرحلة يشربون الخمر فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطراً بدم وهو اترجو أمة قتلت حسيناً * شفاعة جده يوم الحساب ولما وصلوا الى يزيد بن معاوية امر برد اهله الى المدينة وان يطاف بالرأس الشريف البلاد (وروى ابن خالويه عن الاعمش عن منهال ابن عمرو الاسدي قال والله رأيت رأس الحسين حين حمل وانا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ في سورة الكهف حتى بلغ الى قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجباً فنطق الرأس الشريف بلسان عربي فصيح وقال جهاراً اعجب من اصحاب الكهف قتلي وحملي * وقال ابن حجر ورد من طريق عن علي كرم الله وجهه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب اهل الدنيا * واختلفوا في رأس الحسين بعد مصيره الى الشام الى اين صار وفي اي موضع استقر فذهبت طائفة الى انه طيف به حتى انتهى الى عسقلان فلاقاه اميرها فدفنه بها فلما غلبت الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه من عدة مراحل ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة وذكر آخرون انه حمل الى المدينة مع اهله ودفن بالبقيع * والذي عليه طائفة من الصوفية انه في المشهد القاهري رضي الله عنهم اجمعين وقد تقدم ان الطف محل بالعراق من نواحي كربلاء واما الفرات فمبدؤه من بلاد قالي قلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى ابو زحس على نحو يوم من قالي قلا وهو يجري في ارض الروم

الى ان يأتي بلاد ملطية ومقدار جريانه على وجه الارض نحو
خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك والاكثر من مائة ينتهي الى بلاد
الحيرة وهو نهر يبتي الى هذا الوقت يعرف بالعتيق وعليه كانت وقعة
المسلمين مع رستم وهي وقعة القادسية فيصب في البحر الحبشي
وكان البحر يومئذ في الموضع المعروف بالنجف وكان يقدم عليه
سفن الصين والهند وترد الى ملوك الحيرة وقد ذكر ان خالد
ابن الوليد المخزومي لما اقبل يريد الحيرة في خلافة ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما وذلك بعد فتح اليمامة ورآه اهل الحيرة فتحصنوا منه
في القصر الابيض وقصر القادسية وقصر بني نفيلة وهذه القصور
كانت بالحيرة وهي الآن خراب لا انيس بها وبينها وبين الكوفة ثلاثة
اميال فلما نظر خالد بن الوليد الى أهل الحيرة وقد تحصنوا منه
امر العساكر ان تنزل بالنجف واقبل خالد على فرسه هو وضرار بن
الازور الاسدي وكان من فرسان العرب فوقفا قبال قصر بني
نفيلة فجعل العباديون يرمونهما بالخزف فصار فرسه ينفر فقال
له ضرار اصلحك الله ليس لهم مكيدة اعظم مما نرى فمضى خالد فنزل
في عسكره وبعث اليهم ان يبعثوا اليه رجلا من عقلائهم وذوي
انسابهم يسأله عن امرهم فبعثوا اليه عبد بن عمرو بن قيس بن حيان
ابن نفيلة وهو الذي بنى القصر الابيض فاتى خالدا وله يومئذ
ثلثمائة وخمسون سنة فاقبل يمشي فنظر اليه خالد وهو مقبل فقال
من اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من صلب ابي قال فمن اين جئت
قال من بطن امي قال فعلام انت ويحك قال على الارض قال فيم انت
لا كنت قال في ثيابي قال اتعقل لا عقلت قال اي والله وامي قال
ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال اخزه من اهل بلد كلما اريد
ان اسأله عن الشيء يحيد عن غرضه قال والله ما اجبتك الا بما سألتني
قال اعرب انتم ام نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا

قال احرب انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما بال هذه الحصون قال
بنيناها للسفيه نحبسه حتى يأتي الحكيم فينهاه قال كم لك من السنين
قال خمسون وثلثمائة سنة ادركت سفن البحر تأتي الينا في هذا النجف
بمتاع السند والهند وامواج البحر تضرب ما تحت قدميك وانظر
كم بينها اليوم وبين البحر ورأيت المرأة تأخذ مكتلها فتضعه
على رأسها لا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة
وعمائر متصلة واشجار مثمرة وانهار جارية وغدران متدفقة حتى
ترد الشام وتراها اليوم قد اصبحت خرابا وذلك دأب الله في البلاد
والعباد فعجب خالد ومن حضره لما سمعوه منه وعرفوه وكان
مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل وكان معه
سم ساعة فقال له خالد ما تصنع به قال اتيتك فان يكن عندك
ما يسرني ويوافق اهل بلدي قبلته وحمدت الله عليه وان يكن غيره
لم اكن اول من ساق الى اهل بلده حزنا وبلاء فآكل هذا السم واستريح
من الدنيا فانه ما بقي من عمري الا اليسير فقال له خالد هاته فاخذه
ووضعه في راحته ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء بسم الله
الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء ثم استفه فجللته
غشية وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم افاق كأنما نشط من عقال
فانصرف العبادي الى قومه وكان عبادي المذهب وهم النسطورية
من النصارى فقال يا قوم قد جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة
فلم يضره فصالحوه واخرجوه منكم فصالحوه على مائة الف درهم
قال المسعودي وانما ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا
من تنقل البحار وتقلب العيون والانهار على مرور الدهور والاعصار
وحكاها شهاب الدين بن العماد في حكايته في النيل السعيد كذلك
ثم ان النا نبه على عدم الاكتفاء برؤيته وانه لا يكفيه الا اكله جميعه فقال
ص ﴿فقشرته جميعه ما تركت بقشوره لغيري ولا عندي بها توقيف﴾

ش قوله (قشرته جميعه) القشر في الاكل وغيره اخذ الشئ جميعه
او اتلافه وستفاه كل به فيقال كعب فلان اقشر ومنه يقال أكعاب
واعتاب ونواصي ويقال امراة قشراء ورجل اقشر يعني انه قليل الرزق
قليل الرزق تأتي قلة البركة وقلة الرزق عند حلوله ودخوله على
الشخص ونحو ذلك * وكان في قريتنا رجل قصاب يقال له سكيكر
عشق امراة جميلة يقال لها كعب الخير فلما شغف بحبها ماتت وتحسر
على موتها وحزن عليها حزنا شديدا فقال فيه بعض الادباء (مواليا)

صحبة سكيكر لكعب الخير كانت قال   لو كعب اقشر قشرها بالعجل في الحال
لو شار في الموت او شفتوا على الاهمال   قلت اقتلع بو وخلى كعب في الخلخال

ومنه قصة طويس المذكورة في الكتب وكلها اسباب يجريها الله تعالى
على يد من يشاء من خير او شر ولا في الحديث الشريف لا عدوى ولا
طيرة ولا فال (ونعق غراب) فقال رجل خير ان شاء الله فسمعه
بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له لا تقل هذا هل الخير
والشر الا بيد الله تعالى وقوله (قشرته جميعه) اي اكلته جميعه
ولا ابقى منه شيأ للغير وعندي مجاعة شديدة فمتى رايته لا ابقي منه
شيأ وهذا من قبيل قلة البركة لان الشخص اذا شره في الطعام
وازحى نفسه عليه واكل منه زائدا عن القدر المعتاد ضره وآذاه
وتولد منه الامراض ولهذا قيل * واكثر موت الناس بالتخم قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى صحيحا منعما   *   فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره   *   اذا قل اكل المرء عاش طويلا

قيل اجتمع عند ملك الهند ثلاثة من الحكماء هندي ورومي ومصري
فقال لهم الملك ليصف لي كل واحد دواء لا داء معه فقال الهندي
الدواء الذي لا داء معه ان تفطر كل يوم على شئ من بزر الهند با
وقال الرومي الدواء الذي لا داء معه ان تفطر كل يوم على ثلاث جرعات
من الماء الساخن وقال المصري الدواء الذي لا داء معه

ان لا تاكل الا بعد الجوع وان تقوم وانت تشتهى الطعام فانك
لا ترى علة الا علة الموت فقالوا كلهم صدق المصرى * ولما ارسل
المقوقس ملك مصر الى النبى صلى الله عليه وسلم الجاريتين مارية وسيرين
وكانتا من مدينة انصنا التى الآن خراب على شاطئ النيل من اقليم الصعيد
وارسل له البغلة المسماة بدلدل وارسل له عسلا من بنها قرية
من قرى مصر من نواحى القليوبية وارسل مع هذه الهدية حكيما
وقال ان قبل الهدية ورد الحكيم فهو نبى فلما وصلت الهدية والحكيم
الى النبى صلى الله عليه وسلم قبلها ورد الحكيم وقال نحن قوم لا ناكل
الا بعد الجوع واذا اكلنا لا نشبع فلا نحتاج الى حكيم فلما بلغ
المقوقس ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم قال يا له من نبى عظيم جمع الحكمة
فى كلمتين وفى الحديث جوعوا تصحوا * فالجوع محل النشاط للعبادة
ويتولد منه صحة الجسم وعدم الامراض خصوصا لاصحاب الرياضات
وارباب الخلوات فان انبجتهم فى ذلك للجوع لما ذكره العارف بالله تعالى
الامام البونى فى بعض كتبه انها لا تصح رياضة من احد وفى قلبه
مثقال حبة من شبع واما كثرة الاكل فانها تنشأ من امور اما
من شدة الشره على الطعام او تكون ذلك عادة فقد رأينا من
اكل الماجور الطعام ولم يشبع ورأينا من اكل مائة بيضة مشوية
ولم يشبع وكان بعض الجبابرة ياكل الفصيل مشويا فى غدائه فاكله
يوما واراد ان يجامع زوجته فامتنعت فعاتبها فقالت كيف
تصل الى وبينى وبينك فصيل * وذكر سيدى محيى الدين بن العربى
نفعنا الله به فى مواقع النجوم ان ابن عبد الملك كان اكولا مر برجل معه
زنبيلى بيض مشوى وتين فاكل ما فيهما فمرض ومات بذلك * وكان
الوليد من ملوك بنى امية جبارا عنيدا وكان يشرب الزرق الخمر وياكل
الفصيل وفتح المصحف فرأى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزقه وانشد
يقول   تهددنى بجبار عنيد * وانى ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقني الوليد
وهذا كله من تعنته وتجبره * (وكان المامون يأكل كثيرا فاصطنع
له بعض الحكماء المامونية فصار يأكل منها فانسدت معدته وقلّ
اكله لان قليلها يغذي الشخص ولهذا انسبت اليه * واما ما اتفق
لبعض الاولياء من انه كان يأكل الطعام الكثير الذي يكفي الجماعة
الكثيرة فانما هو من باب التصريف واظهار الكرامة) ومن ابن خلكان
كان سليمان بن عبد الملك يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامي وكان
به عرج * وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه ان سليمان بن عبد الملك
المذكور كان نهما في الاكل وقد نقل عنه اشياء غريبة فمنها انه
اصطبح في بعض الايام باربعين دجاجة مشوية واربعين بيضة
واربعة وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم اكل مع الناس في السماط
العام ومنها انه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد امر قيمه ان يجني
ثماره ويستطيب له منها وكان معه اصحابه فاكل القوم حتى اكتفوا
واستمر هو يأكل اكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فاكلها ثم
مال الى الفاكهة فاكل منها اكلا ذريعا ثم اتى بدجاجتين مشويتين
فاكلهما ثم مال الى الفاكهة فاكل منها اكلا ذريعا ثم اتى باناء يقعد
فيه الرجل مملوءا سمنا وسويقا وسكرا فاكله اجمع ثم سار الى دار
الخلافة واتى السماط فاكل مع الحاضرين كانه ما اكل شيئا ومنها
انه حج فاتى الطائف فاكل سبعمائة رمانة وخاروفا وست دجاجات
واتى بمكوك عنب فاكله اجمع ومنها انه كان له بستان فجاءه رجل
ليضمنه ودفع له قدرا من المال واستؤذن في ذلك فدخل
البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم اذن في ضمانه فلما قيل للضامن
احمل المال قال كان ذلك قبل ان يدخل امير المؤمنين * وقيل
كان سبب موته انه اكل اربعمائة بيضة وثمانمائة تينة واربعمائة كلوة
بشحمها وعشرين دجاجة محمرة وفشت لحمه في عسكره وكان موته بالحمى الاتي

والله اعلم (قيل) من رجل اكول فى سفر واجتاز بقرية فاضافه انسان واجلسه وكانت زوجته فى الفرن تخبز العيش فاتاه بجانب من الخبز وذهب يأتى بالادم كلما رجع وجد قد اكل الخبز جميعه فوضع عنده الادم وذهب يأتى له بخبز آخر ورجع فوجد اكل الادم جميعه ولم يزل على هذه الحالة حتى اكل جميع ما خبزته زوجته وكذا اكل الادم فقال له الرجل يريد معه المداعبة والمباسطة لما رأى منه هذه الحالة الى اين تمضى فقال الى مصر قال الك حاجة فيها قال نعم قال له وما هى قال وصف لى بها طبيب حاذق فقصدت الذهاب اليه قال لاى شئ قال انا رجل قل اكلى وانسد معدتى ومرادى منه شئ يصفه لى لعلى اقطع فى الاكل قال له الرجل انا بقالى عليك احسان ولكن سألتك بالله اذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا تمر على منزلى ان كان هذا فعلك ومعدتك مسدودة فكيف اذا تسعت ثم انه اخرجه من منزله وتوجه الى حال سبيله (وقوله ما نزلت بقيتو لغيرى) اى لاحد غيرى قريب او بعيد (ولا عندى بذا توقيف) اى لا اتوقف فى الاكل ولا استحى من احد اذا كان ماشيا ولا احزم ولا اطعم غيرى منه ولا انظر فيه ان كان باردا او حارا او مستاريا او من حرام او من حلال فعلى كل حال لا انظر لهذا المعنى ولا التفت لهذا الامر ولا اطعم غيرى * ثم ان الناظم تشوق الى ما كول من السمك المالح يقال له الفسيخ وتمناه واشتهاه فقال

ص * (انا خاطرى اكلت فسيخ على الندى * اضنا عليها باكيا واسيف) *

ش (قوله انا) يعنى ابو شادوف لا غيرى كما تقدم معناه فى ابيات غير هذا (خاطرى) اى مرادى ودائما يخطر ببالى ذلك الامر وانا متشوق اليه ومشتهيه ومنتظره وهو (اكلت فسيخ) والاكلة واحدة الاكل والفسيخ نوع من السمك يقال له البورى ونوع آخر

يقال له الطوبار يأخذونه ويضعونه على بعضه البعض
بعد ان يضعوا على كل رصة بطانيا من الملح فينتقع به ثم يسيل
منه ماء ثم يضمر ويصلحه الملح وينشف ثم انهم يأخذوه ويبيعوه
ويأكله اهل الريف وغيرهم يأخذون الفسيخة منه ويشقون
بطنها ويضعها الرجل والمرأة على يده اليسرى او في يديه الاثنين
ويعصر عليها الليمون وينتش منها لقمة لقمة يأخذ بعده القطعة اللحم
ويأخذ عليها اللقمة للخبز فيصير مثل الكلب الذي ينهش في الرمة
مثلاً ويحلو فمه ويديه القذارة والرائحة الخبيثة ويأكلونه
حتى في الاسواق واغرب من هذا انه اخبرني من اثق به من
اهالي سمنود انه دخل مطهرة مسجد ولي على البحر يقال له العدوي
نفعنا الله به فرأى شخصاً من الارياف قاعداً في بيت الخلاء ومعه
فسيخة ورغيف يأكل منهما فقام عليه وقال له تأكل في بيت الخلاء
فقال له انت تطردني من بيت الخلاء وهو مسجد للمسلمين والا
مرادك تأخذ مني الفسيخة فخرج من غير استنجاء والفسيخة في
يده وراح الى حال سبيله . ولكن له عند نساء الارياف موقع عظيم
وشهوة لا يعدلها شيء خصوصاً اهالي الكفور وبلاد الملق
فانهم لا يرونه الا من النيل يجيء لهم من دمياط ورشيد في المراكب
ويباع عندهم بالقمح والدراهم ولهم فيه رغبة زائدة ويجلب للصعيد
وغيره وهو مشهور ببلاد مصر . واما فسيخ البطارخ فانهم يبقوه
في الهواء الى ان يجمد ويصير يابساً من الفسيخ وهو مأكول الاكابر
وسمي بطارخاً لان جوفه ملآن بطروخ بخلاف الفسيخ فانه خالي
عن ذلك ويأكلون لحمه بالخل والزيت وربما اضافوا اليه الثوم
والبصل المخروطين والحرارات وهو شهوة عظيمة في بلاد المدن
وغيرها يتكلفون الاكلة منه كلفة زائدة ويأكلونه وحده ويسمونه
[illegible] الصبا الاولى ويجعلون البطارخ الذي في جوفه

في اناء ثاني ويضعون عليه الزيت الطيب او الشيرج وكل هذا له لذة عظيمة لكنه حار يابس واعتدال اكله في الشتاء وسمي الفسيخ فسيخا لتفسيخه عند الاكل او لان الذي صنعه اولا خرج منه ريح عند اكله فسمه آخر فقال فسي اخ فركبوا اها بين الكلمتين وجعلوهما علما وقالوا فسيخ * قيل سمع بعض اهل الريف قارئا يقرأ قوله وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فقال له يا شيخ وفيها فسيخ فقال نعم وفيها ما تشتهي نفسك الخبيثة وقوله (على الندى) اي وقت نزول الندا لاجل برودة الزمن لان الفسيخ حار يابس فاذا اكانه في اول النهار ربما اعتدل اكله هذا اذا كان في زمن الصيف واما زمن الشتاء ففي اي وقت كان ويستحب ان يشرب عليه شراب حلو او يؤكل عليه تمر فانه يذهب ضرره واذاه وقوله (اضال) تقدم معناه (عليها) اي على هذه الحالة والاكلة من الفسيخ لشدة شهوة نفسي الخبيثة اليها (باكيا) اي مستمرا على عدم حصول هذه الاكلة باكيا والبكاء هو غرغرة الدموع وسقوطها على الخدود ويقال بكت السماء اذا نزل منها المطر وبكاء السحاب قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال الشاعر ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم وهو مشتق من بك الجرح اذا خرج منه الدم وقوله (واسيف) سكنه لضرورة النظم لان اصله اضال اسيفا على هذه الاكلة حتى تحصل لي فلا انفك عن الحزن حتى آكل منها واشبع والاسف هو شدة الوجد على فقد الحبيب وبعد الصديق قال الشاعر

وما اسفي الا على من اوده * ومن لا اود وما عليه ملام

وقول بعضهم وما عتبي الا على من اوده * ومن لا اود وما عليه عتاب

وقال بعضهم

اعاتب ذا المودة من صديق * اذا ما رابني منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقي العتاب

ولبعضهم وانت اخي ما لم تكن لي حاجة * وان عرضت ايقنت ان لا اخا ليا

ولست براءٍ عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدي المساويا

وقال آخر (لما رايت بني الزمان وما بهم * خل وفي للشدائد اصطفي)
(ايقنت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي)

وقال آخر صديقك في هذا الزمان منافق * وخلك خل زره واحذر بوائقه
ونافق فعقد ان النفاق ولا تخف * كساداً فاسوق المنافق نافقه
فلا تخش الا الله لا رب غيره * فما رفع الدنيا لحر ولا ثقه

وقال آخر زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لا يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال آخر انت ما استغنيت عن صاحبك الدهر اخوه
واذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه * لو راى الناس نبيا * سائلا ما وصلوه

وقيل في الفرق بين الصاحب والصديق والخليل والحبيب * ان الصاحب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك ويحزن لحزنك ويعادي من تعادي ويصاحب من تصاحب * والخليل من طالت عشرته بك وتخللت محبته في الاعضاء * والحبيب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك الخ وتخللت محبته في الاعضاء واوطلب الفداء لفديته بمالك وبروحك * ثم ان الناظم انتقل من شهوة الخبز الى الطبيخ فقال

ص * (على من نضر في فرن دارو وطواجن * زغاليل من برج ابن ابو نعيف)

ش قوله (على من نضر) بالعين (في فرن) وهو ما تضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه في الجزء الاول من هذا الكتاب (دارو) اى دار الناظم فالضمير في داره راجع اليه يعني لا يكون في دار غيره ولا تكون الطواجن في فرن غير فرنه لاجل ما يصير مطمئن الخاطر منشرح الصدر اذا حصل له ذلك وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم تعريفه مرات (زغاليل) وهي افراخ الحمام البرى المتخذ من الابراج ويقال له الحمام الغيطي لانه يرعى في الغيطان

ومحلات الزرع والاجران وأكلها نافع يقوي الباءة اذا اضيف
اليها الحرارات والسمن البقري فلا تسأل عن جودة طعمها ولذة أكلها
والحمام اسم جنس شامل لكل ما غبّ وهدر ثم انه بين ان الزغاليل
التي اشار اليها لا تكون الا (من برج) لا من الزغاليل المتولدة من حمام
البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب
والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حوله بعضه البعض
فيه قواديس فخار يأتي اليها الحمام البري ويبات في تلك القواديس
ويفرخ ويخرا فيها ايضا ويسمون خراه عندهم ريشا ليأخذونه
لزرع البطيخ والنخل يطعمونه به وامره عندهم مشهور ويأخذون
من فراخه ويبيعون ويذبحون وهكذا في سائر البلاد واسم
الزغاليل مشتق من الزغللة وهو نبات ازرق اللون شبهت به الزغاليل
لزرقة ريشها او انه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة
الزغل ويسمونها العصافير ويسمون القرش فرس والفحم الذي يصنعون
به زبيب والكير الذي ينفخون به الشيخ ولهم اصطلاح في هذه الصنعة
لكن تراهم دائما في شدة خوف من الحكام وفقر زائد وقلة بركة *
(وسئل الامام الشافعي رضي الله عنه عن الكيمياء فقال اعرف من
افتقر بها لا من استغنى فكذلك الحمام في كل قليل من الايام يدخلون
عليه ويأخذون افراخه ويذبحونهم ويبيعون منهم فهم دائما في خوف
مثل الزغلية وواحد الزغاليل زغلول كما ان واحد الهبابيل هبول
والبرج مشتق من التبرج وهو المباهات بالزينة قال تعالى ولا متبرجات
بزينة (مسئلة هبالية) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف
ببلاد المدن المعد للغسل ونظافة الاجسام مناسبة مع ان اللفظ
واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الاولى ام كيف الحال (قلنا) الجواب
الفشروي ان المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسي
ووجه طبي فالوجه الاول ان الحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم

على الحيضان والمغاطس واشتلافهم مع بعضهم البعض وانبساطهم
بالكلام والمنادمات ونحو ذلك او كذلك برج الحمام فيه ازدحام
الحمام على بعضه البعض واشتلافه ودخوله القواديس لافراخه وتغريده
وتقديره وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه للحيضان والمغاطس
ودخوله لافراخه يشبه الخلاوى والاجتماع بالاولاد المرد لاجل
التكبيس والتحسيس ونحوه وصعوده بعد ذلك الى اعلى البرج
وذهابه لاكتساب رزقه مثل خروج الناس من الحمام يكتسبون
ارزاقهم ومعاشهم كما في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو اخماصا
وتروح بطانا فهذا هو وجه القياس القطيسي (والوجه الثاني)
ان الحمام حار رطب ينفع جميع الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة
واحسن الحمامات ما قدم بناؤه واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة
حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام فانه مسخن محرك
للباه وان كان في افراخه الرطوبة والغلظ لاسيما اذا اضيف اليه
الحرارات كما تقدم فان نفعه يكون تاما واجوده الحمام البرى
واما الذى في البيوت فان المداومة على اكله يتولد منها الحمى
وزيادة الدم فكان في ذلك المناسبة للحمام من هذا المعنى *
فاتجه الجواب عن وجه هذا المثال (واما اسم الحمام الطائر
فانه مشتق من الحوم وهو التردد في الطيران يقال حام الطائر
يحوم اذا فعل ما تقدم ومصدره حام يحوم حوما (واما الحمام
المبنى فانه مشتق من الحمى وهى السخونة لان الشخص اذا دخله
صار كانه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق
او من الحموم وهو الغطوس في الماء من قولهم فلان استحمى في البحر
بمعنى انه سبح فيه وغطس او من الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة
ويطلق على الصديق المحب لما في المحبة من شدة الحرارة والشوق

ومنه

ومنه قوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع اى محب يشفع لهم
ولشدة حرارته وقوة افعاله شددت ميمه الاولى * (واما الحمام
بكسر الميم فهو الموت فان حاء ه ما كسرت الا لان الشخص يكون فى
حال حياته فى شدة وقوة فاذا ما انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا اثره
قال الشاعر تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار
وهو مشتق من الشدة يقال حم الامر اذا اشتد ولا شك ان الموت
شدة عظيمة فى معالجة الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك *
انتهت الابحاث الفشروية والمصادر الهبالية وقوله (ابن) ويطلق
عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان (ابو شعنيف) اصله ابو
لكن لم يساعد لسنا لتحريفه فى الكلام وهذه كنيته واما اسمه الاصلى
فهو عفلق او بحلق على ما قيل وابنه المذكور فى النظم اسمه فلحس وهو
من اسماء الكلب واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق الخشكر
المسمى بالنيف المتقدم ذكره ويمضغه للبهائم فشاع خبره بالسرقة
وصار يقال فى البلد شاع بالنيف اى بسرقة النيف ثم انهم حذفوا
الجار والمجرور وابقوا الفعل والاسم وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا
ابو شعنيف وهو مشتق من الشعنفة على وزن القلطفة ولعلهما
بمعنى واحد ومصدره شعنف يشعنف شعنفة * ثم ان الناظم
بين كيفية اكله فى الزغاليل وانها تؤكل بالفطير فقال

متن * (وفطر فطائر من فطير ابن عمه * ويقعد لها قعد غلام خسيفهم

شرح قوله (وفطر) على وزن وشمر قال الشاعر
وشمر عن ايره وطرطع امه * عليها يبول فهى فى البول تغرق
ومعناه انه يقول اذا حصلت لى تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله
مرادى بحصولها عندى لا يلذ لى اكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطاير
مصدره مثل عمل عمايل او مثل قشر قشاير ومعناه ابطط او اصنع
فطيرا والفطاير جمع فطيرة وتجمع على الفطير مثل خميرة وخمير

شوّش عليك ونضربك فقال الرجل للقزان يا سيدى ما عدت
اخالفك ابدًا الطاجن الذى توضعنى فيه لا اطلع منه ابدًا
ثم ان القزان قال لزوجها اخبر زوجتك انى شوشت عليه ولا
بقى ينزل فى صاحبها ابدًا قال فمضى زوجها واخبرها بالقصة
ففرحت وقالت ان عاد يحط لنا احد فى طاجننا ما بقينا نطبخ
عنده شئ ابدًا ثم تركها زوجها ومضى الى اشغاله فانظر الى
هذا التغفل العظيم * ومن العجائب ان بعضهم صاد سمكة
فرأى مكتوبًا على جانبها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله
فاطلقها لاجل كلمة التوحيد والشهادة * واعجب من هذا
ان بعض الاولياء كان فى سفينة فهاجت الريح واشرفت السفينة
على الغرق فقال هذا الولى اسكن ايها البحر فانما على ظهرك بحر مثلك
اى بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح باذن الله تعالى فخرجت
من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له تزعم
انك ولى وبحر فى العلوم والمعرفة ولكن انا اسئلك عن مسئلة
ان اجبتها قال قولى فتكلمت السمكة بلسان فصيح وقالت له اذا
مسخ الرجل هل تعتد زوجته عدة الاحياء ام عدة الاموات
فتحير الشيخ فى امره ولم يرد لها جوابا فقالت السمكة اين دعواك
فى بحر العلوم فقال انى استغفر الله مما قلت فارشدينى الى الصواب
فقالت له ان مسخ جمادًا تعتد عدة الاموات وان مسخ حيوانا
تعتد عدة الاحياء ثم انها غابت فى البحر فتاب الولى من دعواه
ورجع الى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه انه يقبل التوبة عن عباده
فسبحان القادر على كل شئ وهو العزيز الرحيم فعجائب البحر لا تحصى
وبذكر قصة القزان والسمك تذكرت ان حفظ الوداد قليل
فى الناس * ويعجبنى قول بعضهم

لئن كان لى خل علمت ولاءه * وكان صدوقًا فى المقال خليلا

فخان ودادي ثم انكر صحبتي * فيا ليتني لم اتخذه خليلا

وقال بعضهم

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي

وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادي

وقالوا قد سعينا كل سعي * لقد صدقوا ولكن في فسادي

وقال آخر

لاضربن بحاجتي انف مقرعة * حدا وانصب طالبا على خشبه

اعشرتي لاناس لا اخلاق لهم * ببعض الشباب واقفال على خربه

ومن كلام الامام الشافعي رضي الله عنه

ابعد عن الناس كل بعد * ما لم تكن بينهم مجلي

ولا تقل كان لي ابا د * عليهم في الزمان الاول

المرء بين اهله كليث * اذا راوا ذيله مهلهل (وقال ايضا رضي الله عنه)

لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال

فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال (وقال بعضهم)

ما في زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا جار الزمان صفا

فعش فريدا ولا تركن الى احد * اني نصحتك فيما قد جرى وكفى

(ولابن عروس قطب بلاد المغرب)

الناس بحر عميق * والبعد عنهم سفينه انى نصحتك فانظر * لنفسك المسكينه

وقوله (في قرنه) اي قرن الناظم وصغره لاجل النظم يعني انه يأتي من الغيط او البحر فيراه في قرنه ناضجا مطبوخا من غير ان يتكلف بصنيعه وتشويحه من الزيت الحار والبصل ونحو ذلك وقوله (ولو كان) هذا السمك الذي تمناه (يا اخواني) يخاطب به اصحابه واحبابه واخوانه الاصدقاء والمحبين وكل المؤمنين اخوان في الله قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقال بعضهم من فقد اخوانه فقد فقد مروءته قيل اتى رجل الى المأمون فقال له انا اخوك اعطني من بيت مال المسلمين ما يكفيني

[Margin note: ٢ الذي احفظه (وفا) ه]

مثل البوري والقجاج والبني فان كل واحد منها له لذة عظيمة وتفاوت
في الطعم واللذة فاما البوري فيحشى بالبصل والحرارات ويعمل على
الارز المفلفل ويعمل ايضا في الطواجن مرفقة وغيرها وله لذة عظيمة
ويعمل ايضا بالكشك وقد اكلته في دمياط مرارا ويعمل ايضا بارز
لكن قليل عن المفلفل يعصرون عليه ماء الليمون ويسمونه فقاعية
واكلته وله لذة عظيمة وطعمية لطيفة * واما القجاج فانه اعلى رتبة
واطيب طعما من البوري وهو يشبه الشبار الكبير وفي المثل اذا
عدم الدجاج كل القجاج ويتنوع في الاطعمة مثل البوري * واما السمك
البني فانه الذي في الطعمية من الكل ولا يوجد الا في قاع البحر العذب
يحتالون على صيده وياخذونه ويهادون به الاكابر والامراء والوزراء
وهو جيد الطعم كثير النفع عن غيره خصوصا اذا قلي وحشي فلا تسأل
عن لذة طعمه فانك تود ان تاكل اصابعك من حسنه وفي المثل
عن لسان حال البني ان رايت احسن مني فلا تاكلني * ونوع في السمك
يقال له شبار له لذة في الطعم والماكل وقد ورد انه ياكل من حشيش
الجنة وكل هذا بعيد عن مقصد الناظم وانما مراده السمك الذي
يصيدون من بلاده لما ينزل عنها ماء النيل وتصير البرك والنقر
ملآنة بالماء فيتولد فيها سمك قراميط سود وشبار صغير وصير
ونحو ذلك فتنزل اولادهم ويصيدون منها فياتون به وينظفونه
ويضعونه في الطواجن ويضعون عليه شيئا يسيرا من الزيت الحار
وبعض بصل مخروط ويضعونه في الفرن الى ان ياخذ قوامه فياكلونه
بخبز الاذرة او الشعير ويصير له زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم
الذ الماكول ويأتون بالقراميط السود الصغار ويدفنونها في
الجورة الى ان تنضج يسيرا وياكلونها اعاذنا الله من ذلك * وبذكر
السمك تذكرت مما اتفق ان رجلا كان يهوى امرأة بديعة الحسن والجمال
وكان زوجها من اخواننا المطاعيم المغفلين فمر عليها فاشتهاها يوما

وقال لها طال الموعد فقالت له في غدنا تيجي في آخر النهار ثم انها اتحجت
وقالت لزوجها قد اشتهينا السمك نطبخه في هذا اليوم وناكله فمضى
الى السوق واتى به فنظفته واصلحت شانه ووضعته في طاجن كبير
وقالت له خذه وامض به الى الفران وارجعنا من طبيخه وقل للفران
يرسله مع غلامه آذان العصر فأخذ زوجها وذهب به الى الفران
واعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعا وطاعة ثم ان الفران ارسله
لها في الوقت المعلوم فبينما هي جالسة واذا بصاحبها الذي وعدته
يطرق الباب ففتحت له وطلع واكل من ذلك السمك وتمتع بحسنها
وجمالها وقضى منها مراده فبينما هو معها في الحديث اذ طرق
زوجها الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شيء والزم الصمت
ولا تتكلم ثم انها فتحت لزوجها الباب واظهرت له الحزن والبكاء
فقال لها ما الذي اصابك فقالت له اسكت يا راجل انا تشكن
روحي في قلبي انا لم اقدر ارد عليك وكانت وقعتي معك وقعة الشوم
اذ الفران يرسل الولد بالطاجن السمك فلما كشفته ناكل منه
طلع لي راجل من جوا الطاجن وقعد ومن خوفي منه خايفة
لا يطلع على شيء وهو قاعد ولولا استحيت كنت خرجت الى السكة
وانا طول عمري ما احد شافني ولا تعرف حد غيرك قال فطلع زوجها
يجري حتى طلع الى الرواق فرآه جالسا بجانب الطاجن فقال له ذلك
لك تطلع من خطك في الطاجن يا ترى هو الفران والا هو
فلم يتكلم بشيء فعند ذلك قالت له زوجته خذه وروح به الى
الفران وهو يخبرك بحقيقة الحال وقل له من ذا الوقت لا تحط
في طاجننا احد يخوفنا ويشوش علينا قال فمسك الرجل من يده
وتوجه به الى الفران واعلمه بالقصة فعرف الفران الامر وفهم
القضية فقام وعمل انه يضرب الرجل وقال له انا وضعتك في
طاجن اللحم يا القتني ونزلت في السمك ان بعيت تعا الغني

اوحمارة وحمير والفطير ثقيل غليظ لا يوافق الآدمى لانه يولد الارياح هذا اذا اكل وحده واما مع غيره فلا باس به وهذا كله فى فطير الريف الذى اراده الناظم فانهم يأخذون الدقيق لاغير ويعجنونه بالماء من غير خمير ويضعونه فى الفرن او يدمشونه فى الجورة ويقال له فطير دماسى ثم انهم يأخذونه ويأكلونه فهذا هو الثقيل المنهى عنه * واما الفطير الذى تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلامة ويبسس بالسمن والعسل النحل فهذا لا باس به وكذلك الذى يصنعونه وقت عجنه بالسمن ويخبزونه الفطور ونحوه فهذا لا باس به ايضا بل هو المطلوب وقوله (من فطير ابن عمه) واسمه عند اق اى يكون ابن عمه يتبرع له به من غير مقابل او يعيره الدقيق حتى يفتح الله عليه ويرده له او يهبه اياه او يتمكن من سرقته ويخبزه فى فرن او الجورة ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن ويفت فى مرقها الفطاير المذكورة ويتاهب للاكل منها (ويقعد لها) اى للزغاليل او للجوع ذلك (قعدة) اى مثل قعدة (غلام) وهو الذى اطر شاربه قال الشاعر

منا الغلام الذى اطر شاربه * والعانسون ومنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من جاز الكمال والشدة وقوله (خسيف) صفة الغلام اى عنده خسافة اى تفكر وكآبة وشدة حزن فاكون مثله عند تفكر وشدة جوع فما اصدق ان اذى هذا الطعام وهذا الفطير واكل منه حتى اكتفى ويذهب جوعى وتنقضى شهوتى مثل الغلام الذى اعتراه الحزن والاسف وقعد متفكرا حتى يذهب الله حزنه ويجمعه على احبابه فيزول همه ويسر بلقائهم فان اجتماع الاحبة عيد كما اتفق ان بعض العارفين مر برجلين يأكلان فى رمضان فقال لهما ما امركما فلا نحن محب صادق فرقنا الدهر من ثم اجتمعنا فى هذا اليوم واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال ما علامة محبتكما

فقال أحدهما اجرح ذراعي فجرحه فخرج الدم من ذراع الآخر من غير جرح فصارت ارواحهما واجسادهما كأنها روح واحدة في جسد واحد كما قال ابن العربي نفعنا الله به نحن جسميان لجسم واحد * نحن روحيان حللنا بدنا وقال ايضا عفي عنه ولما التقينا للوداع حسبتنا * لدى الضم والتعنيق حرفا مشددا ونحن وان كنا مثنى شخوصنا * فما تبصر الابصار الا موحدا

ومن هذا المعنى كثير من مشرب المحبين ومطلب العارفين نفعنا الله بهم اجمعين قال ابن هاني عفي عنه

لم يخلق الرحمن احسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب مع الهوى * فالناس تقطع في حديد بارد
واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

وله ايضا رضي الله عنه لا يعرف العشق الا كل من عشقا * وليس من قال اني عاشق صدقا
للعاشقين بحور يغرقون بها * لانهم عاجوا الاشواق والرقا .

وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المتحابين في الله في ظل العرش وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش * ثم ان الناظم انتقل الى شهوة اخرى تمناها فقال

ص * (علي من نضر طاجن بسمك في فرينه * ولو كان يا اخواني بلا تنضيف) *

ش قوله (علي من نضر) بعينه لا سمع باذنه (طاجن) ملآن (سمك) والسمك اسم جنس شامل لانواع كثيرة احل الله تعالى اكله هو والجراد حيا وميتا وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك بارد رطب غليظ والصغير بارد رطب لطيف واجوده الطري واذا طبخ بالسمن والبصل والبهارات الحارة اعتدل وزاد في الباه والمالح الحار من الطري واليبس ونفع الكبير منه ان يؤكل مع شراب عتيق وفي الوقت خصوصا اذا كان متخذا من ماء عذب جاري والمفلس منه اولى من غيره قال بعض الحكماء كل منه ما تفلس واترك منه ما تملس والمفلس منه

فقال له من اين انت اخى فقال من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة
فقال صدق الله العظيم وصدقت اعطوه درهما فقال ما هذا
عطاء الملوك فقال له المأمون لو فرضنا فرقت بيت المال على
اخوتك ربما يحصل لك اقل من ذلك فرضى الرجل ولم يطلب شيئا غير
الدرهم وقيل زاده عليه وارتد شاكرا وكان المأمون يحب الحلم
والعفو حتى انه كان يقول حبب الى الحلم حتى ظننت انى لا اثاب عليه
ومن حلمه ان جارية من جواريه قدمت اليه سمكا مشويا فى اسياخ
من الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فحرقها واتلفها فنظر اليها
فقالت والكاظمين الغيظ فقال قد كظمت غيظى فقالت والعافين
عن الناس فقال قد عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين
فقال انت حرة لوجه الله تعالى وهذه ملكة عظيمة فى الحلم والعفو
لا يقدر عليها احد رحمه الله وله اخبار كثيرة فى ذلك وقوله (بلا
تنظيف) اى ولو كان يجد هذا السمك فى طاجن فى فرن من غير غسل
ولا تنظيف بالماء بل يرصونه فى الطاجن بعظمه وجوفه حتى يصير
مثل المشوى فى الجودة فيتمنى الاكل منه ولو على هذه الحالة لشدة فقره
وقلة ما بيده وقوة شهوته للاكل منه وفى المثل الغريق يستند على
القش وفى مثل آخر بطينه ولا غسيل البرك فعلى كل حال انه يسد
جوعه ويقضى شهوته فان الشخص اذا اشتهت نفسه شيئا ولو حقيرا
متى وجده كان عنده عظيما واكل منه اكلا زائدا فان الشهوة البهيمية
ترمى صاحبها على اخبث المأكول فيكل من اطاع نفسه وهواه خسر *
قال سيدنا عيسى عليه السلام لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال صاحب
البردة رحمه الله وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم
قيل ان مخالفة النفس فيها النجاة والراحة للانسان والثواب فى المعاد
وقيل مكث سيدنا عمر بن الفارض نفعنا الله به مدة يشتهى اكل الهريسة
ويخالف نفسه ويصبر الى ان حصلت له يوما وهو فى الخلوة فقدمها ليأكل

فانشق حائط الخلوة وخرج منه شخص وقال اف عليك ياعمر فقال
فقال ان اكلتها ثم انه تركها ولم ياكلها بقية عمره وخالف نفسه * ومن
النكت المضحكة ان بعض الفقراء كان له تلميذ وكان دائما يقول له
خالف نفسك اذا قالت لك كل هذا فخالفها وكل غيره ولا تطعها ابدا
فاتى لشيخه يوما طعام مفتخر ووضعه بين يديه ووضع بين يدى
التلميذ صحن عدس وكان الذى وضع بين يدى الشيخ ارز مفلفل
بلحم ضان يقال لها فارش مارش فمد التلميذ يده واخذ الصحن
من قدام شيخه ووضع مكانه صحن العدس فقال له شيخه اما
قلت لك خالف نفسك فقال له ياسيدى حدثتنى نفسى انى آكل
من الصحن العدس فخالفتها واكلت من هذا اللحم الضان بالأرز
المفلفل وكان لشيخه غلام جميل فدخل الشيخ يوما فى الخلوة فوجد
التلميذ يلوط بالولد فقال له ماهذه الفعال فقال له ياسيدى
حدثتنى نفسى وقالت لى نك الشيخ فخالفتها وفعلت فى هذا الغلام
فقال له الشيخ اخرج قاتلك الله ما اشقاك وما اخبثك فخرج
من عنده ولم يصل اليه * ثم ان الناظم اشتهى شيئا لم يره فى بلده الا يوم عيد النحر
فقال ص * (على من رأى فى التل كرش ملقح * ومن فوقه الذبان يخف عفيف)
ش قوله (على من رأى) رؤية بصرية كما تقدم فى غير هذا البيت (فى
التل) اى تل بلده وهو الكوم العالى ويكون فى الغالب حول البلد لأن
كل من يكون عنده تراب او رماد يكبه قدام داره بين البلد أمامه
وبجاره مثله وهكذا الى ان يتصل ببعضه البعض ويعلو ويكبر من
كثرة ما يلقونه فوقه من القمامات وغيرها حتى يصير كوما عاليا يرى
من بعيد وبجانبه ايضا محلات خالية يشخون فيها جميعا نساؤهم
ورجالهم واولادهم وغالبهم يخرون فيها ايضا ترى ان النساء والرجال
يصعدون اليه وقت الشخاخ ويحصل لهم المنادمة فيه والمحادثة
عن الغيط والزرع والقلع والعجول والجاموس وغير ذلك

وربما وقع بينهم الشر عند الشخاخ فيقوم الشخص لخصمه ويشخ في جبته او يسيل على ردائه حتى يغرق جبته ويضارب رفيقه ورداء عليه الخ وهكذا ثم يؤول امرهم الى الصلح او القتل ونساؤهم على شكلهم عند قضاء الحاجة لا يتحاشون عن الكلام في غزل الطرف والفل وغير ذلك لانهم لا يعرفون المراحيض ولا تبنى عندهم ولا يقدرون عليها الا ان تكون في دار الشاد بالكفر له وبجماعته يشخون فيها وقد قيل في المعنى

سألت بني الارياف ما لبيوتكم * مراحيض قالوا لا مراحيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالتل والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمى عندهم ايضا العلية بكسر العين المهملة وتشديد اللام قال الشاعر

اتيت الكفر في ضحوه * رايت اهلو جميع شالوا وراحوا فوق علية * عليها الكل قد بالوا

اي طلعوا كلهم فوقها وشخوا عليها جميعا نساء ورجالا واطفالا وتطلق العلية عندهم على الغرفة المبنية من الطين غير المطوب ولهذا يقال فلان اليوم في العلالي اي انه صار يجلس عاليا عن الناس وبقوله في الكفر حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى قال الشاعر

جوز غزلان يا مخلاهم * شافني على القدم خالهم متى يا زمان تجمعنا * في العلالي انا واياهم

فان قيل ان الناظم قال في التل فيفهم منه انه يرى الكرش في جوف التل فيكون متواريا عنه واكد الرؤية بقوله (ومن فوقه الدبان) والدبان لا يسقط الا على شيء ظاهر لا على شيء مغطى مستور كما تقول فلان في الدار اي في داخلها فما الجواب قلنا الجواب القشروي ان في بمعنى على اي كرشا ملقيا على التل او الكوم كما يقال فلان في الجبل اي فوقه لا داخله لانه لا يستطيع ان يثقب الجبل ويدخل فيه وان حرف الجر على بابه ويكون قوله في التل بمعنى ان في جوف التل نقرة يشخون فيها ويرمون فيها الكروش مثلا فصدق عليه ان الكرش في جوفه وان كان ظاهرا

يرى للناس فاتجه الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (كرش ملفح)
اى كرش البهيمة التى يذبحونها يوم عيد النحر لانهم لا يرون اللحم الا فى
ذلك اليوم ولا يمكن انهم يلقون الكرش على التل بل يأخذونه
ويلقون ما فيه من التفل ويغلونه ويطبخونه مع بقية حوائج البهيمة
ويسمونه جعل مقل وله عندهم موقع عظيم وأما فى بلاد المدن
فانه من الضان ويضيفون اليه الراس والكوارع ويسمونه سقطا
ويصنعونه بالحرارات والسمن والكزبرة والسلق ويصبون عليه
الخل ويصير له لذة عظيمة فيبيعونه بالراس تارة ويدرجونه فى
الكرش مغسولا نظيفا وتارة من غير الرأس وتارة بالكوارع وتارة
بغيرها والرؤس يبيعونها مشوية وخدها والكوارع تصنع تسقية
يبيعونها ويصبون عليها الخل والدهن والثوم ولها لذة عظيمة كما
هو مشهور فى بلاد المدن وأما اهل الريف فانهم يصنعون جميع ذلك
فى الدست والبرام ويضيفون عليه الكزبرة وقليلا من الشيرج
ويقلون له بشئ من البصل او الثوم ويأكلونه ولا يعرفون السمن
ولا الحرارات ولا شيئا من ذلك وربما يسلقون ذلك بالماء ويأكلونه
حكم المرقة والكرش مشتق من التكريش وهو البروز والظهور
اى ان كرشه بارز ظاهر كما يقال للحائط اذا برزت منه حجارته عن سمتها
المعتاد وآلت للسقوط حائط مكرش اى آيل للسقوط وفلان صاحب
كرش اى كرشه ظاهر كبير خصوصا اذا كان رجلا سمينا جسيما فان
كرشه يظهر كبيرا خارجا وفى الحديث ان الله يكره الحبر السمين لكن هو
ممدوح فى الغنم والبقر يقال كبش سمين ممتلئ شحما ولحما فاذا ذبح على
هذه الحالة وادرج راسه فى كرشه يكون سقطه لذيذا عن غيره لسمنه
وكثرة شحمه ومن المناسبة ان السلطان قرلبا ارسل الى السلطان قانصوه
الغورى رحمه الله بهذه الابيات السيف والخنجر ريحاننا * اف على النرجس والآس
شرابنا من دم اعدائنا * وكأسنا جمجمة الراس فاجابه بقوله

لله في ملكه خاتم * تجري المقادير على نقشه
لا تنبش الشر فتبلى به * واحذر على نفسك من بشه
مصارع البغي لها صولة * تنكس السلطان عن عرشه
لما طغى الكبش بشحم الكلى * ادرج راس الكبش في كرشه
ونحن ان لم نرج او نبتغي * كالميت محمول على نعشه

فلم يرتدع بما ارسل له السلطان قانصوه الغوري بل سار اليه بخيله وعسكره فتلقاه نائب الغوري ورده خائبا والقى الله كيده في نحره ولم يغن عنه ما صحبه السلطان الغوري من قوله لما طغى الكبش بشحم الكلى الخ وهذا امثال الرجل الظالم اذا طغى وتجبر ربما اخذه الله تعالى بغتة وفي الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته * فالناظم تمنى من الله تعالى وترجى من كرمه وطمع ان يرى كرشا مرميا على التل اي الكوم غفل عنه اصحابه وتركوه نسيا وذهولا او ان الشاد بالكفر ذبح كبشا والقى كرشه على التل فان اهل الريف اذا ذبحوا بهيمة يوم العيد لا يتركون منها شيا ويأخذون كرشها وجميع حوايجها يطبخونه ويأكلونه فالناظم ترجى ان الدهر يغلط يوما ويرى هذا الكرش الذي تمناه وطلبه واشتهاه لكونه لم يقدر على مشاركة اهل الكفر في بهيمة (ولو كان من) (فوقه الدبان) وهو الذباب وانما استعمله العوام بلفظ الدبان لثقل الذبان على السنتهم ومفرده دبانه ودبون مفرد المذكور منه والدبان على وزن الغرفان او الجديان والدبون على وزن المحرون او المابون قال بعضهم مواليا

في خاطري يا مليح لو كنت دبانه * واحط فوق شفتك وخش انول دانه
على وبابوحسن لك عين نعسانه * غيري تواصل وانا نجي لك نقول بانه

(فائدة) للذباب خواص كثيرة ومنافع مذكورة في بعض الكتب منها انه اذا اخذت ذبابة وربطت وهي حية في خرقة بحيث تكون واسعة عليها حتى لا تموت وعلقت على من يشتك الرمد خفف عنه (وسئل بعض الفضلاء لاي شئ خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة لانه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه (وكان المشركون يطلون اصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليها الذباب فانزل الله تعالى في كتابه العزيز

توبيخاً لهم ولاصنامهم ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً
ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف
الطالب والمطلوب والذباب له اعداء كثيرة منها حيوان صغير
يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت الصغير الا ان فمه واسع وارجله
قصيرة عن ارجل العنكبوت يأخذ الذبابة بسرعة في فمه ويبلعها في شئ
يخرجه من فمه كنسج العنكبوت فلم تزل معلقة فيه الى ان تموت (وذكر
العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به ان زوجته
ام عبد الرحمن اصابها مرض شديد اشرفت به على الهلاك فدخل يوماً بيت
الخلاء فسمع هاتفاً يقول له خلص الذبابة من صنع الذباب ونحن
نخلص لك زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ الى الحائط فسمع حس
الذبابة فحابل وخلصها فخلصت زوجته في الحال وشفاها الله تعالى
وقوله (بعف عفيف) اى يتراكم على بعضه البعض من كثرة نزوله
عليه يمتص منه الرطوبة ونحوها وبعف بكسر الياء المثناة من تحت
وكسر العين المهملة يقال عف الذباب على الشئ اذا سقط عليه وكثر
وتراكم بعضه على بعض واما بفتح المثناة وضم العين فمن العفة
يقال عف الرجل عن الشئ بمعنى كف عنه ثم قال الناظم جزاه الله خيراً كيف ليحرره ولو قوفا

ص * (دنا ان شفته خدتو بجالو سلقتو * وكلتو بتفلو ما ارى تقنيف) *

ش قوله (دنا ان شفته) اى اذا من الله على ورأيته ملقياً على التل اخذته
اى اخذته فحذف الهمزة وابدل الذال المعجمة دالاً مهملة جرياً على اللغة الريفية
(بجالو سلقتو) بمعنى انى القيه في الدست او البرام واني عليه الماء
لا غير واسلقه من غير تقلية ولا شيرج وغير ذلك لشدة فقري وعدم
ما في يدي وقوله (وكلتو بتفلو) اى بما جوفه من المرقى واوانه بجس
مبالغة في الاشتهاء له وشدة الحاجة اليه وهذا يعابر به الرجل
الاكول عندهم فيقال فلان يأكل كرش بخراه سلاقو ومن ذلك
ما اتفق ان رجلاً من اهل الريف طلع مصر يبيع حباً من البيض

لاجل غلاقه ما عليه من مال السلطان فباعه وتوجه الى بلد فرأى
بان القصريين كروشا تباع فقال لنفسه خذ لام معيكه بجديد
وكل انت الاخر بجديد ولو انكسر عليك مال السلطان فاعطى بياع
الكروش الجديدين فصار يقطع له مما يباع للقطط وهو يأكل
من غير ملح واخذ بالجديد الثاني قطعة كبيرة وزاد له عليها كبدة
ورويه وهي الفشة ولف ما اخذه في شده الذى فوق راسه وربط
عليه وكانت الفلوس التى باع بها البيض مربوطة ايضا على الشد
ثم انه سافر الى ان مر على قرية في الطريق فرأى شجرة فجلس يستريح
تحتها فضربه الهواء فنام فجاء كلب فشم رائحة اللحم الذى على راسه
فخطف الشد بما فيه وطلع الى سطح في القرية فقام يجرى خلفه ويصيح
ودخل الدار التى طلع الكلب في سطحها فلما رآه النسوان مكشوف
الراس في هذه الحالة قالوا هذا سارق فمسكوه وسلموه للشاد في القرية
فضربه وحبسه يومين حتى شفع فيه اهل الخير فاطلقوه فمن عدم
ذوقه وشدة جهله ضيع الفلوس واكل الضرب ورجع الكفر خائبا
نائبا وقوله (ما ارى تقنيف) بمعنى انى ما اتقنف عن اكله لكونه فيه
التفل ولان جوانبه فيها النجاسة مثلا فان نفسي تطيب لاكله ولا
تمتنع عنه وفي القاموس الازرق والناموس الابلق ان التقنيف
مشتق من القنف وهو المنع عن الشئ كما يقال انت قنف او فلان
يتقنف او من القنافة بضم القاف وهى التى يوضع في خرق الناف
الذى على رقبة الثور ويعاير بها الرجل الخفيف العقل فيقال له يا قنافة
قال الشاعر لقد خف منى العقل حتى كانني * احاكي في الافعال قنافة البقر
ثم ان الناظم لما لم يتيسر له كرش ملقح على التل والكوم ترجى من الله تعالى
ان يبلغه مناه وانه بعد مدة ان طال عمره يروح المدينة ويشبع
فيها من اكل الكروش وغيرها من الترمس والمقبلى فقال

ص * (انا ان عشت لازور المدينة واشبع ** كروش ولو اني اموت كنيف)

ش قوله (انا ان عشت) من المعيشة وهي قوام الجسد وانتعاشه من الماكل والمشرب اى ان طال عمري وكان فيه تاخير في علم الله تعالى (لاروح المدينه) والمراد بها مصر حرسها الله تعالى وادام سرورها باهلها وابد نعيمها بسكانها وحرس علماءها الاعلام وامراءها الكرام لانها مدينة الانس والصفا والسرور والوفا خص الله نساءها بالحسن والجمال والبهجة والبهاء والكمال وطيب المعاشرة ولطف المذاكرة كم عاشق بحسنهن افتتن ومن لم يتزوج مصرية لم يتحصن وملاحها الولدان كانهم الغزلان او قضبان البان لايوجد مثلهم لافي الروم ولافي العجم ولافي العراق ولم ير الطف منهم في العشرة باتفاق كما قلت في هذا المعنى موشحا

(دور) يامن يرد عشق الجمال * يشد الى مصر الرحال .
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

(مذهب) ملاحها لايوجدوا * في الروم ولا ارض العراق
ولابلاد ارض العجم * ومن رقي السبع الطباق
* اللطف فيهم منطبع * وريقهم حلو المذاق .

(دور) من حاد عنهم بالميال * حرم عليه طيب الوصال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

(مذهب) ياحسنهم يالطفهم * ياظرفهم كم ذا ترى
من كل اغيد حين يميس * تقول لعقلك لا ترى
* مثلو ترى غيره يفوق * سبحان خلاق الورى

(دور) فعش بهم دوم الليال * فحبهم عندي حلال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى لو دلال

(مذهب) اما العجب كل العجب * في يوم الاعياد والفرح
كم ظبي يرفل في الحلل * والخال فوق خده وغنج
* تقول جنان رضوان حقيق * قد فتحت وقد خرج .

(دور) منها يريد قتل الرجال * بحسن قد والمبال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال
(مذهب) والله والله العظيم * ومن له انشق القمر
من عشقهم صبرى فنى * وزاد وجدى والسهر
* وقد بقيت صفر اليدين * ولست اقنع بالنظر
(دور) ماحيلتى فى كل حال * الا الدعا اراه محال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال
(مذهب) يوسف سميت ادعو الاله * يغفر ذنوبى كلها
وبلدتى شربين عظيم * بين المدائن قدرها
* بلد الفخار مع العلا * والعلم مشهور ذكرها
(دور) ثم الصلاة باتصال * على النبى باهى الجمال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال

فسبحان من خصهم برشاقة القدود واحمرار الخدود ورقة الكلام وقلة الملام وحسن الانطباع وقلة الامتناع لفظهم الطف من النسيم ورضابهم احلى من التسنيم كما قال الشاعر

مامثل مصر فى الورى بلدة * سكانها ترتع فى نعيمها
نسيمها الطف شئ فى الورى * واهلها الطف من نسيمها

وقوله (واشبع) الشبع هو امتلاء المعدة بالطعام والشراب والشبع الزائد مضر ويطلق على الحسى وهو ما تقدم وعلى المعنوى وهو الغنى بعد الفقر يقال اليوم فلان شبعان اى استغنى بعد فقره وشبع بعد جوع خصوصا اذا ذاق التعب والنصب اول زمانه وافاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثيرا ويقال فى المثل هذا محدث النعمة لانه لم يعرف قدرها ولم يصرفها فى مصارفها واعاجيب به الدهر حتى نال هذا الامر قال الشاعر (مستحدث النعمة مستودعا * عيناه مملوءتا فقر) (جرت به الدهر فنال الغنى * يا ويله ان عقل الدهر

واما اذا عرف الشخص ما انعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازم فعل الخير واحسن وتصدق فهذا هو المطلوب والامر المحبوب وقوله (كروش) جمع كرش اى ان بلغت المدينة لابد ان اشبع من الكروش التى تصلق وتباع واقضى مرادى وبغيتى منها (ولو انى) بعد شبعى من الكروش المذكورة وقضاء شهوتى (اموت كفيف) اى اعمى يقال كف بصره اذا حصل له العمى وفى الحديث القدسى ان الله تعالى يقول اذا اخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة وهو حديث حسن رواه الترمذى عن انس * ودال الابوصيرى الاديب

اذا رمدت عيناى قل مسامرى * وقلت احبائى من الحى والحمى
يقولون ان عوفى ملقناه ساعة * وان كف جئنا كى نهنيه بالعمى

لان الارمد مريض لا يزار فاذا عمى يقولون له انت بقيت من اهل الجنة وحصل لك الخير ونحو ذلك مما هو مشاهد بين الناس الآن وفى الحقيقة ان الاعمى مسكين والشفقة عليه فيها اجر عظيم وفضل جسيم خصوصا اذا كان فقير الحال فانه فى حكم الميت لا محال قيل وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان هذه الكلمات.

العدل اذا دام عمر * والظلم اذا دام دمر * والفقر هو الموت الاحمر * والاعمى ميت وان لم يقبر * ومن لم يترك الذكر لم يذكر * وما ابتلى الله عباده بشئ اضر من العمى والاعور على النصف من ضرر الاعمى كما فى المثل اعمى قال لاعور كاس العمى مر فقال الاعور نصفه خبرته

وفى المثل الآخر (عد الاعور الممقوت فى اهله * اولى من الاعمى على كل حال)

وقوله كفيف على وزن نتيف صفة للامرد اذا اطلعت ذقنه وكان يشتهى الخنات او يكون به ابنة والعياذ بالله تعالى فانه دائما يحلق ذقنه ويحسن للفاسق نفسه وينتف اصول شعره باظافيره او بالملقاط بالملقاط فان الامرد ما دام خالى العذار تميل النفس اليه واذا التحى قل منه الوفا وصار وجهه كالقفا قال الشاعر

التحى الامرد الذى * كان فى التيه مسرفا حسنا كان وجهه * وسرجا تصحفا
فسترو الله ناظرى * مذ رأى ذاك واشتفا شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا
وقال آخر سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهلت حسنه والجمالا
طلعت ذقنه وراحت عليه * ونفى الله نوميين اقتالا

ومن العشاق الوقحاء من يميل الى اصحاب اللحاء قال الشاعر
بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى ابراه من يحب العوانيا
فملت لاصحاب اللحاء تعففا * فما انا لوطى وما انا زانيا

وبعضهم يميل طبعه الى الشيوخ ويرى ان قول العزول فيهم ممنوع
قال الشاعر اهواه طفلا فى القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب
وقال بعضهم تعشقته شيخا كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
اخا العقل يدرى ما يراد من الفتى * امنت عليه من حسود ومن ضد

والعشق مراتب وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال بعضهم
تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب
وكل هذا من الانهماك على الشهوة والخول فى العشق والمحبة والا فالعاشق
الظريف لا يهوى الا الشكل اللطيف المناسب للتعنيق والبوس
وكلها غرامة فلوس * ثم ان الناظم بان كيفية اخذ الكروش
من المدينة من ثمن غزل العجوز وهى زوجته واسمها قطيعة فقال

ص *(واخذ من غزل العجوز وابيعو * واكل حقه يا ابن بنت عريف)*

ش قوله (واخذ من غزل العجوز وابيعو) المراد من غزل زوجته وكان اسمها
قطيعه وقيل اسمها بعره بنت قلوط والبعرة قريبة من القلوط
لانها بنته والقلوط ابوها فهو ملازم لها ولفظ العجوز يطلق على المراة الكبيرة
وعلى الخمرة فيقال لها العجوز ايضا والعذراء ولها اسماء كثيرة قال بعضهم
عجوز وعذراء فاعجب لها * تنادى باسمين من كل واسم
وفى الكلام تقديم وتاخير ومعناه اذا عشت لاروح المدينة
واخذ معى غزل العجوز وابيعه فيها (واكل بحقه) كروشا وغيرها

ولو

وَلو أَنّي بعدَ ذلك اموت كمدًا لأَنّي اذا قضيت مرادي وعشت
بقية العمر أعمى لا ابالي بعد قضاء شهوتي وحصول ما كنت ارجوه
من الله تعالى (يا ابن بنت عريف) يخاطب رجلاً من أهالي الكفر قيل
انه من اقاربه وقيل من اضدقائه والمعنى أني ابث اليه الشكوى
مما نالني ويقول له لا بد أنك تفرح لي اذا طال عمري ورحت المدينة
وشبعت فيها كروشًا وارجع اليك وهذا يدل على انه صديق له
وصداقته مؤكدة حتى انه خاطبه من دون اهل الكفر فان الشخص
لا يشكو حاله الا لصديق يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويحمل عنه الهموم
او يواسيه اذا كان متيسرًا من الدنيا ويسليه بالمحادثة ونحوها قال الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك او يسليك او يتوجع

وقال ابن عروس

اوصيك ان صادفك ضيم * اشكيه للي يريدك
الحمل اذا تفرق انشال * وان تم راقد يكيدك

وابن بنت عريف هذا اسمه على ما قيل خرا الحس واسمه والده فسا التيران
وسبب تسميته فسا التيران أنهم كلما ربطوا التيران على الطوالة يقف
في وسطها ويفسو فيها لانه كان كثير الفساء فيشم من يقربه رائحة
الفساء فيقول له انت فسيت فيقول له هذا فسا التيران فتسمى بذلك
واما جده لامه فيسمى عريف لاجل امور قيل انه كان يعرف الاولاد
طريق المحلات التي تحت التل يتخنون ويخرون فيها وقيل كان يعرف
تغريبة بني هلال وما وقع بينهم وقيل كان له معرفة ودراية في
ضرب الفرقلة ونقر الطبلة والعمل على الزمارة ونحو ذلك وقيل انه
كان يعرف الشاذ امور الملص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا
مثورة عواني فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما انه يطلق هذا
اللفظ على من يقيمه مؤدب الاطفال في الكتاب يعرف الاولاد احوال
القراءة ويعرف ايضًا الفقيه عن احوالهم في غيبته كما هو مشهور
في بلاد المدن وغيرها فان كل كتاب لا بد له من عريف على ما جرت به العادة *

قال العلامة البلقيني الشافعي في تفسير قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق جعل الله سبحانه وتعالى ذلك ليظهر الشاكر من غيره كما جاء في حديث الاعمى والاقرع والابرص روى ان ثلاثة من بني اسرائيل احدهم ابرص والثاني اقرع والثالث اعمى اراد الله تعالى ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا (فاتى الابرص) فقال اى شئ احب اليك قال لون حسن وجلد حسن فقد تقذرني الناس فمسحه بيده فذهب البرص واعطى لونا حسنا وجلدا حسنا فقال اى المال احب اليك قال الابل فاعطى ناقة عشرا وقال بارك الله لك فيها (واتى الاقرع) فقال له اى شئ احب اليك قال شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قد قذرني الناس منه فمسحه فذهب واعطى شعرا حسنا قال فاى المال احب اليك قال البقر فاعطاه بقرة حاملة وقال بارك الله لك فيها * (واتى الاعمى) فقال اى شئ احب اليك قال ان يرد الله الى بصرى فابصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاى المال احب اليك قال الغنم فاعطاه شاة فانتج هذا وولد هذا وهذا فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم (ثم انه اتى الابرص) في صورته وهيئته فقال له من انت قال رجل مسكين قطعت بي الحبال فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك اسألك بالذى اعطاك اللون الحسن والجلد والمال بعيرا اتبلغ عليه في سفرى فقال ان الحقوق كثيرة فقال كانى اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله فقال لقد ورثته كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (واتى الاقرع) في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لذلك ورد عليه مثل ما رد على الاول فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (واتى الاعمى) في صورته وهيئته رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بى الحبال في سفرى فقال قد كنت اعمى فرد الله بصرى وفقيرا فاغنانى فخذ ما شئت فوالله لا اجهدك

البوم شيئا اخذيتم فقال امسك عليك مالك فانما ابتليتم فقد رضي الله عنك و
على صاحبيك * فمن الناس من يحصل له غرور بالنعمة وطيش بالرياسة كما قال بعضهم

اقول لمن قد طيشته رياسة * تمهل رويدا فيك قد غلط الدهر
وما سدت عن علم ولا عن فصاحة * ولا عن ذكا فضل وهذا هو القهر
تأنى يراجع فيك دهرك عقله * فما سدت الا والزمان به سكر
ولكن سيصحو الدهر من بعد سكره * ويسقيك كاسا مذاقها الصبر

وقال آخر مخمسا

رئستم بلا حلم وعلم ولا ولا
وسدتم بلا اهل وفضل ولا ولا * سأقسم بالله الذي خلق الملا
يمينا لقد بخستم رتب العلا * والبستموها بعد عز تذللا

فتبا الدهر انتم عظماؤه * وانتم اراضيه وانتم سماؤه * فلو كنت ممن لا يرد قضاؤه
صفعت زمانا انتم رؤساؤه * بنعل ولكن صفعه بكم اولى

فطوبى لعبد يكتفي بذهابكم * وويل الحر يشتكي بابابكم * اقول وقلبي ملكم وازدرى بكم
لقد خاب من يسعى لنحو جنابكم * كما خاب من في عشقه سار اوزلا

فبعدي عن الاوطا صفو لبيتي * وفقد الذا هو وعظم بليتي * ونكدي وتعذيبي وقرب منيتي
فذاك مرادي واعتقادي وبغيتي * ولا يجمع الرحمن لي بكم شملا

ثم ان الناظم نبه على شيء آخر فقال

ص * (واشرق من الجامع زرابين على * واكل بها من شهوتي في الريف)
* (واشبع من الترمس واكل مقيلي * والقو بقشر ومارى توقيف)

ش هذا الكلام كله من بقية كلام لابن بنت عريف المتقدم ذكره
اي انه يقول انا اذا طلعت المدينة وبعت غزل العجوز واكلت بثمنه
كروشا وقضيت شهوتي من الكروش المذكورة ورايت الترمس
والمقلي الذي اشتهيته ولم يكن معي شيء من الدراهم فحينئذ ادخل
بعض الجوامع التي في اطراف حارات المدينة التي يصلي فيها اهل
الرياقة لان الزرابين لا تكون الا بارجل اهل الريف لان المراد بها
المراكيب وهي جمع زربون على وزن محجون اوما بون وهو المركوب

اذ يب يمشي بالفارح ويسمونه ايضا جوادا او رجيلا (واسرق)
والسرقة حرام ومنهي عنها قال الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا
ايديهما اي اذا سرق السارق النصاب وهو ربع دينار ما لم يكن له
فيه شبهة والا فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور في كتب الفقه واباح
الله تعالى قطع يد السارق نكالا له ولاجل تركها الامانة وعزها وارتكابها
الخيانة وذلك كما كتب رجل لبعض العلماء شعر

يد بخمس مئين عسجد فديت * ما بالها قطعت في ربع دينار

فاجابه بقوله عز الامانة اغلاها وارخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

اي ان هذه اليد لما تعدت على مال الغير واخذته وخانت الامانة
ارخص الله قدرها واباح قطعها بذل الخيانة فهي حكمة للبارئ جل وعلا
وشرود اوجبها على خلقه من امر ونهي وغير ذلك وقوله (من الجامع)
والمراد به المسجد وسمي جامعا لانه يجمع الناس للصلاة والعبادة
ونحو ذلك ومسجدا للسجود فيه وقوله (زرابين) تقدم ان المراد بها
المراكيب والتراجيل (عتق) يعني كثيرة لان سراق المراكيب يحتاج الى
زيادة معرفة في السرقة وقلة دين فاما المعرفة فهي ان يتقرب من
صاحب المركوب ويوهمه انه يريد الصلاة بل ربما وقف بجانبه وصبر
عليه الى ان يخر للسجود نعلام الغيوب فيأخذ هو الاخر المركوب
واما قلة الدين فانه لا يعرف الصلاة ولا يدخل الجامع الا للسرقة
فقط وربما كان جنبا وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلاحين
انهم لا يتحاشون عن هذا الامر ولا يعرفون الصلاة ولا العبادة
وغالبهم لا يدخل الجامع الا لغزل الصوف والغزل او حساب المال
او ليستظل فيه اوان الحر وربما ربط فيه العجلة او البقرة ويجعلونه
في الغالب محلا لمحادثتهم في الغيط والحيط والزرع والقلع ويصير
لهم ضجة عظيمة وصياح وعياط وغارات كأنهم في زريبة بقر والناظم
كان منهم لا محالة فلهذا نسب نفسه للسرقة وقال لابن بنت عريف

المتقدم ذكره انى اذا طلعت المدينة واكلت بحق الغزل كروشا ولم
يبق معى شئ اتلصص واتجسس واسال عن بعض الجوامع التى
باطراف حارات مصر واسرق منها المراكيب (واكل بها) فى كلامه
هذا تورية اما انه يبيعها وياكل بثمنها او انهم يصدفونه حالت
خطفه فيمسكونه ويطعمونه بالمراكيب التى خطفها علقة فيكون
هذا اكل معنوى فانه فى الغالب ان سارق الزرابين اذا وقع فى
ايديهم يقطعونها على احبال رقبته يقال فلان اكل علقة اليوم
بالزرابين وفلان سرق مركوبا ومسكوه وقطعوه على احبال رقبته
فسرقة المراكيب تحتاج الى خفة ودراية بالامور وان كانت ارذل
السرقات قيل مر بعض احذاق من اللصوص على بعض التجار
وهو جالس فى حانوته وبجانبه نعل له فاراد هذا اللص اخذه
فجاء بجانبه بخفة وحط رجله اليمنى فى واحدة واراد ان يحط
رجله اليسرى فى الاخرى فالتفت التاجر فهرب اللص وتوارى بعيدا
بحيث لايراه التاجر ولم ياخذ الفردة الثانية من نعله فقال لغلامه
اين الثانية فقال له لا ادرى قال قد سرقت فقال له خذ هذه واذهب
الى فلان وقل له يصنع واحدة مثلها فاخذها الغلام ومضى
وسبقه اللص حتى عرف الرجل الذى دفعها له فلما رجع الغلام
لسيده اتى اللص ومعه الفردة التى اخذها وقال للرجل لا تصنع
للتاجر شيئا فانه اتى الفردة الثانية واراها له وقال له هات الاخرى
فاعطاه اياها فاخذ الاولى بالسرقة والثانية بالحيلة فلما جاء
غلام التاجر يطلبها اخبره بالقضية فرجع واخبر سيده فتعجب
من حذق اللص وفعله * وقيل طلع الابوصيرى الاديب
الى مصر وذهب الى سوق المراكيب تحت الربع يشترى له مركوبا
فوقف على دكان فقال له بياع المراكيب عندى مركوب احمر مثل وجهك
يا شيخ العرب فالتفت له الثانى من البياعين وقال له عندى مركوب مليح

وحياة راسك وصار الجميع يبكتون عليه فصبر عليهم حتى فرغوا
من كلامهم وقال لهم يا مشايخ السوق انا رجل غريب تشوشوا في
فان جماعة اخبروني ان المراكيب اليوم كثيرة ومن رخصها على
اقفية اصحابها فقال الكل خلص تاب منا جميعا بما قاله بلطافة
ثم قالوا له بالله انت الا ابو صيري قال نعم فاكرموه واعطوه مركوبا
احمر فاخذه ومضى حتى دخل على البدري العودي رحمه الله تعالى
رئيس مصر في الدخول فلما رآه وفي رجله المركوب قال له وجهك احمر
يا ابو صيري فقال له بكت بذري ودخلت الحمام فكان الجواب
اظرف من السؤال * ومما مدح به البدر قول الابو صيري المذكور حيث قال
البدر كمل بالدخول * وفيه انطوى واندرج بوابه حلف بالطلاق * من يوم دخل ما خرج
والعرب يسمون المداس بالراحلة وقد جاء هذا في شعر المتقدمين
والمتاخرين واستعمله المتنبي في مواضع من شعره * قال ابن خلكان
رحمه الله تعالى جاء في صاحبنا جمال الدين الاردبيلي الجيد في صنع الاحكام
وغيرها وانا في مجلس الحكم بالقاهرة المحروسة وقعد عندي شيئا وكان الناس
مزدحمين لكثرة اشغالهم حينئذ ثم نهض وخرج فلم اشعر
الا وغلامه حضر وفي يده رقعة مكتوب فيها هذه الابيات

يا ايها المولى الذي بوجوده * ابدت محاسنها لنا الايام
اني حججت الى مقامك حجة الا شواق لا ما يوجب الاسلام
وانخت بالحرم الشريف مطيتي * فتشرفت واشتاقها الاقوام
فطلبت انشد عند نشداني لها * بيتا لمن هو في القريض امام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لي انه لما قام من عندي
وجد مداسه قد سرق فاستحسنت منه هذا النظم انتهى كلام ابن
خلكان والبيت الاخير الذي تمثل به هذا القائل لابي نواس من
قصيدة مدح بها الامين محمد بن هارون الرشيد ايام خلافته اولها

يَا دَارُ مَا صَنَعَتْ بِكِ الايامُ * لم يبق فيك بشاشة تستام

ويقول من جملتها في صفة ناقته

وتجشمت بي هول كل تنوفةٍ * هوجاء فيها جرأة قُدّامُ

تذوي المطي وراءها فكأنها * صَفٌّ تقدّمهن وهي امامُ

واذا المطي بنا بلغن محمداً * فظهورهن على الانام حرامُ

(قيل) سرق رجل مركوبًا واعطاه لولده يبيعه فسرق من الولد فقال له ابوه بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برسماله فقال هذا رسماله السرقة فقال الولد وقد سرق مني لاخسرت ولاكسبت فضحك عليه ابوه وخلى سبيله (وقيل) سرق باب دار ابي سالم القاضي فجاء الى باب المسجد وقلعه فقال واله ما الذي تصنع فقال اقلع هذا الباب فان صاحبه يعرف من قلع بابي (وقيل) كان مع ابي جحا زوجتان وكانت ام جحا مات فخرج ابوه يريد السفر فلما خرج من باب الدار تذكر انه نسي مركوبه فصاح على ولده ياجحا هات المركوب فسمعت زوجتاه الصياح ولم يعرفا الخبر فقالا له ياجحا ما يقول ابوك فقال يقول لك زوجات ابيك في نيابي فشتماه وقالتا له هذا كلام باطل فقال اسمعوا انتم منه وصدقوا ثم قال الواحدة يا ابي والا الاثنين يعني اجيب فردة من المركوب والا الاثنين فقال بل الاثنين فقال اصدقتم الكلام فظنوا انه يقول له بل نك الاثنين وما مراد ابيه الا المركوب فولع فيهم بالنيك الى ان حضر ابوه (وقيل) جلس العيني في محل يشرف على الطريق وكان عنده رجل من الشام من اعيان الناس فقال له يا سيدي يقولون ان اهل مصر عندهم الحذق واللطافة بخلاف بلدنا ومرادي ارى الامر عيانا فبينما هو يكلمه اذ مر بياع الفول الحار وهو ينادي عليه فقال العيني هل في مصر احمر من هذا قال الرجل الشامي لا قال اصبر حتى ابين لك حذقه

ثم ان العينى ناداه فطلع اليه ومعه الفول والعيش فقال له
مرادى فول حار ولكن ما عندى دراهم وما عندى الا فردة مركوب
تعطينى بها فقال له الرجل ياسيدى كل شئ جبته اطعمناك به *
قال فضحك العينى وتعجب الشامى من حذقه وانعما عليه ومضى
الى حال سبيله * ومن التورية قول بعضهم هجوا فى رجل اسمه عوض
مالفظه سر موجى قد سرقت * وضاق بى رحب الفضا
اتيت للسر وضحا * اخذت عنها عوضا
وقوله (من شهوتى فى الريف) اى شهوتى التى اشتهيتها وهى اكلى
من الكروش وشبعى منها لانى ما وجدتها فى الريف فاذا طلعت
المدينة وفعلت ما تقدم ذكره قضيتها وحصل لى المراد وقوله
(واشبع من الترمس) المراد به المملح بعد نقعه فى الماء اياما فان
اهل الريف لهم فيه رغبة لانه نقلهم اى يتنقلون به ايام الاعياد
ويهادى به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع فى
بلاد المدن دائما وهو فاكهة الارياف اذا طلعوا المدينة يفتخرون
باكله هو والمقيلى * وفى الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلامة
الشيخ شهاب الدين القليوبى رحمه الله تعا وهو ان من داوم على
اكل الترمس كل يوم مل كفه بقشره على الفطور فان بصره يزداد
قوة وقوله (واكل مقيلى) اى واشبع من المقيلى وهو الفول المنبت
المقلى بالنار ومن هذا سمى مقيلى وهو مشهور لا يحتاج للتعريف
وقوله (والفه بقشره) اى هو والترمس من شدة شوقى اليه لانى
متى اردت تقشير الترمس والمقيلى طال على الامر لانى احتاج
الى ان اقشره واحدة بعد واحدة وهذا لا يشفى خاطرى ولا مرادى
وايضا فان الناظم من اهل الريف والارياف يأخذونه بالكبشة
ويسفونه ولا يعرفون التقشير ولا غيره * (ومن المناسبة)
ان رجلا جلس هو وغلامه فى محل ظلام يأكلان زبيبا *

فقال له سيده كل زبيبة زبيبة وأنا الآخر مثلك فلما فرغا من
الاكل قال له ياعبد الخير أنا طمعت عليك بقيت اكل اثنتين اثنتين
فقال له ياسيدى ان كنت اكلت اثنتين اثنتين أنا بقيت اسف
سفا والعرب من عاداتهم انهم يأكلون الزبيب بالكبشة والتمر
بالخمسة ويجدون فى هذا الفعل لذة وحلاوة وقال الشاعر

هنيئا لاصحاب البيوت بيوتهم * وللآكلين التمر اخماسا اخماسا

وبعضهم يقشر الترمس والفول واحدة واحدة واهل الارياف
بخلاف ذلك ولهذا قال (ما ارى توقيف) يعنى ما اتوقف فى لقه
بقشره ومراده باللف الاكل كالعمامة ولف البردة ومنه داهية
تلفك مثلا ونحو ذلك * ثم ان الناظم تمنى ان يأخذ له لبدة فقال

ص * (واخذ لى لبد وكر مشنير * وانزل كما كلب ابن ابو جعنيف) *

ش قوله (واخذ لى لبد) هذا ايضا من جملة قوله لابن بنت عريف
السابق ذكره والمعنى انه يقول اذا اسعفنى السعد فى سرقة الزرابين
وبعتها واكلت بثمنها اكلا حسنا او معنويا كما تقدم وبقى معى شئ
ولو خمسة انصاف اخذت لى لبدة جديدة بنصف من الخمسة (و) اخذ
بالاربعة (كر مشنير) اى شدا حواشيه غزل احمر فانه يسمى عند
اهل الريف مشنيرا ولا يلبسه الا الاكابر منهم يقال فلان اليوم
لابس لبد وكر مشنير يعنى انه بقى من اكابر الكفر فالناظم تشوق
الى هذا الامر يعنى انه اذا اطلع المدينة وهون الله عليه بسرقة الزرابين
يأخذ ما فى مراده وينزل الى الكفر بلبدة وكر مشنير فى قوة وشهامة
مثل الكلب الآتى ذكره ولهذا قال (وانزل كما كلب ابن ابو جعنيف)
وكلب ابن جعنيف هذا كان مشهورا فى الكفر بالقوة والشجاعة
والنط على الكلاب وخطف العيش واكل البيض فكان الشخص من
اهل الكفر اذا انعم الله عليه بلبد وكر مشنير يقولون فلان اليوم
اصبح مثل كلب ابن ابو جعنيف اى فى القوة والشطارة والسرقة

حتى ستر نفسه وكسار روحه وبقي من الاكابر كما انك تشبه الانسان
في الخسة بالكلب او الخنزير فتقول انت مثل الكلب مثلاً وابو
صاحب الكلب كنى بابي جغيف او جغناف او جغنوف على ما قيل
لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جغناف ثقيل الدم مهذار في
الكلام من غير فائدة كما رأيته في القاموس الازرق والناموس
الابلق * ومن المناسبة لثقالة الدم وكثرة الكلام الحكاية
المشهورة في كتاب الف ليلة وليلة وهي ما اتفق ان رجلاً من اكابر
الشام صنع وليمة وخرج يدعو الناس لها فرأى شاباً غريباً ظريف
الشكل لطيف الذات بديع الحسن والجمال الا انه اعرج فدعاه
الى الوليمة فاجاب ودخل به على الجالسين في منزله فقاموا له
اجلالاً وتعظيماً لاجل صاحب المنزل فلما اراد الشاب ان يجلس
رأى بين القوم انساناً صنعته مزين فامتنع من الجلوس
واراد ان يخرج من المنزل فحلف عليه صاحب الوليمة وقال له
ما سبب مجيئك معي ودخولك الى منزلي وما سبب رجوعك
قبل فراغ دعوتي فقال له الشاب بالله يا مولاي لا تتعرض علي
فان سبب هذا كله رؤيتي لهذا النحس المزين قاتله الله تعالى
فانه ذميم الخصال قبيح الفعال تعيس الحركة قليل البركة فلما
سمع صاحب الدعوة والحاضرون كلام الشاب في حق المزين
كرهوا مجالسته وقالوا للشاب والله ما بقينا ناكل حتى تذكر لنا
ما وقع لك مع هذا المزين فانا كرهناه من وصفك فيه فقال
الشاب يا جماعة جرى لي مع هذا التعيس في بغداد بلدي حكاية
عجيبة لو كتبت بالابر على اماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر
وسبب عرجي وكسر رجلي هذا المنحوس فحلفت اني لا اجالسه
في مكان ولا اسكن مدينة هو فيها وسافرت من بغداد من اجله
وسكنت هذه المدينة وهي اقصى البلاد وقد نظرته عندكم

وأنا الليلة ما بات إلا مسافر فقالوا له حدثنا ما جرى لك
معه فأبى وألحوا عليه هذا والمزين قد اصفر وجهه وأطرق
برأسه الى الارض وأما الشاب فانه قال اسمعوا يا جماعة ان
والدى كان من مياسير بغداد ولم يرزق ولدا غيرى فلما كبرت
وبلغت انتقل والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لى مالا جزيلا
وخدما وحشما فصرت البس وانتعم وانا فى اهنى عيش فبينما
انا ذات يوم من الايام ماشى فى زقاق من ازقة بغداد اذ رأيت
مصطبة فجلست عليها لاستريح فاذا بصبية كأنها الشمس
لم تر عينى اجمل منها طلت من الطاق وكان لها زرع تسقيه فلما
نظرت اليها تبسمت ثم انها اغلقت الطاق ومضت فاشتعلت
فى قلبى النار وشغلت بحبها ومكثت قاعدا على المصطبة غائبا
عن الصواب الى قريب المغرب واذا بقاضى المدينة راكب على بغلة
وقدامه العبيد والخدم حتى نزل على هذا البيت الذى فيه الصبية
ودخله فعرفت انه ابوها فجئت الى بيتى وانا مكروب وزاد
علىّ العشق والهيام واعترانى الضنا فرضت بحبها واستمريت
على هذا الحال اياما واهلى يبكون علىّ ولا يعرفون حالى الى يوم
من الايام دخلت علىّ عجوز فلم يخف عليها امرى فقالت لى يا ولدى
انت ما فيك مرض غير انك عاشق فقم واجلس واطلعنى على قصتك
وانا ابلغك مرادك فاثر كلامها فى قلبى وجلست واخبرتها الخبر
فقالت لى ما صفة الموضع الذى رأيتها فيه فوصفته لها وقلت
لها ان اباها قاضى بغداد فقالت لى يا ولدى اعرفها واعرف اباها
وانا ادخل عليها كثيرا لكن عليها الحجر من امها وابيها وانما انا اسعى
فى اجتماعك بها ولا تعرف هذا الامر الا منى فطب نفسا وقر عينا
فلما سمعت كلامها وحديثها طابت نفسى للاكل والشرب وقلت لها
اسعى وجهدى ما تطلبينه خذيه منى فقامت من عندى وتوجهت اليها

وجاءتني ثاني مرة ووجهها متغير وقالت لي كلمتها فشتمتني
واغلظت علي فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضي وصارت
العجوز في كل يوم تعودني فجاءتني يوما وهي تضحك وقالت لي
هات البشارة قد طاب خاطر الصبية عليك لما ذكرت لها انك
مرضت بحبها ومن اجلها فقالت لي اقرئيه مني السلام وطيبي
قلبه وقولي له ان عندي اضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة
قبل الصلاة يجئ الى الدار وانا انزل افتح له الباب واطلع به
عندي في الطبقة واجتمع انا واياه ساعة ويخرج قبل ان يعود
ابي من الجامع فلما سمعت كلام العجوز زال عني ما كنت اجده
من الالم وفرح اهلي ولم ازل مترقبا يوم الجمعة حتى اني واذا بالعجوز
دخلت علي وقالت هيئ نفسك واحلق رأسك والبس احسن
ثيابك وامض في الميعاد وازل ما عليك من الاوساخ في حمام
فان معك في الوقت فسحة وخرجت من عندي فقلت لغلام من
بعض غلماني امض الى السوق واتني بمزين يكون عاقلا جيدا
قليل الفضول فغاب عني ساعة واتاني بهذا النحس لا كان الله له
في عون فلما دخل سلم علي فرددت عليه السلام فقال لي يا سيدي
اني اراك ناحل الجسم فقلت له اني كنت مريضا فقال اذهب الله
عنك البأس والاحزان وجميع الآلام واماط عنك الاسقام
ولا ازلت بك الاقدام وعافاك الله وشافاك ولا شمتت فيك
اعداك وهناك بما اعطاك فقلت له تقبل الله منك دعاءك
فقال لي ابشر يا سيدي فقد جاءتك العافية ان شاء الله تعالى
ثم قال لي تريد يا سيدي ان تقصر شعرك او تنقص دما فانه قد
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من قصر شعره يوم
الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء وروي عنه ايضا
انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب بصره فقلت له يا هذا

قم الآن واحلق رأسي ودع عنك الهذيان ولقلقة اللسان فاني
ضعيف من اثر المرض فادخل يده في جرمدانه واخرج منديلاً كان
معه ففتحه فاذا فيه اصطرلاب فاخذه ومضى الى وسط الدار
ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر فيه ساعة وتأمل طويلاً
وقال اعلم يا سيدي وفقك الله وهداك ورعاك وعافاك وشافاك
وهداك انه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة ثامن عشر صفر
الخير سنة ٦٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة من هجرة سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم بعد خمسة آلاف سنة من تاريخ سيدنا آدم عليه السلام
وثلاثة آلاف وعشرون سنة من تاريخ اسكندر الرومي واربعة
آلاف سنة من التاريخ الفارسي والطالع في يومنا هذا على
ما اوجب في الحساب من المريخ ثمان درجات وست دقائق
اتفق رب الطالع عطارد والمريخ داخل معه في تسديسه على
ان اخذ الشعر جيد ويدل ذلك يا مولاي ايضاً على انك تريد
الاجتماع بنفس والطالع في هذا الامر مسعود والحال فيه مذموم
فقلت له يا هذا والله لقد اضجرتني وضيقت منافسي واضجرت
روحي وفولت علي بفال غير حسن ولا محمود وما دعوتك للنجامة
ولا لشيء من كثرة الكلام فيما لا يعنيك وانما دعوتك لتأخذ
شعري فافعل ما دعوتك له ومن اجله ودع عنك ما لا اريد
والا فاذهب عني ودعني احضر لي مزيناً غيرك فقال يا مولاي
احمد الله انت طلبت مزيناً فمن الله عليك بمزين ومنجم وطبيب وعارف
بصنعة الكيمياء والسيمياء والنحو واللغة والمنطق والمعاني
والبيان والبديع وعلم الحديث والفقه والتواريخ والحساب
والصرف والعروض والانشاء وقد قرأت الكتب ودرستها
ومارست الامور وعرفتها ودبرت جميع الاشياء وركبتها
وانما كان سبيلك ان تحمد الله على ما اعطاك وتشكره على ما اولاك

فقد قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وما محمد الله عاجز عن الفضيلة حتى تقول لي هذا القول وانما اشير عليك اليوم ان تعمل ما اقول لك عليه في حساب الكواكب فاني ناصح لك ومشفق عليك واود لو كنت في خدمتك سنة لان حقك علي واجب وحق ابيك قبلك واجب ولا اريد منك اجرا ولو فعلت ذلك لكان من اسر الاشياء الى قلبي وكل هذا لاجل منزلتك عندي واكراما لوالدك رحمة الله عليه لان له عندي ايادي متقدمة وله علي فضل لا يحصى لانه كان يحب خدمتي له وما كان يخدمه احد غيري لما رأى من كثرة ادبي وقلة كلامي وحسن صنعتي وخفة يدي فلهذا كانت رغبته في وكان يحبني كثيرا لقلة فضولي فخدمتي لك فرض قال فلما سمعت منه ذلك الكلام قلت انت اليوم قاتلي لا محالة من كثرة كلامك وهذيانك فيما لا يعنيك فقال لي يا مولاي ومثلي من ينسب الى الهذيان وكثرة الكلام فوالله لقد كان والدك رحمة الله عليه اذا حضرت عنده يتمنى ان اتكلم بين يديه سنة كاملة ليقتبس من علمي ويلتقط من درر نظمي وفهمي وينظر الى حسن صنعتي ونحن سبعة اخوة الاول اسمه بقبوق والثاني اسمه الهدار والثالث اسمه بقبيق والرابع اسمه الكوز الاسواني والخامس اسمه الفشار والسادس اسمه الزعقوق وانا لقلة كلامي سموني الصامت وان اردت ان احكي لك عن اصلي وفضلي ونسبي وحسبي وما جرى لاخوتي الستة من اول الزمان الى آخره فاسمع ما اقول فلما اكثر علي الكلام واطاله بلا فائدة امرض قلبي وحسبت ان مرارتي قد انفطرت فقلت لغلامي ادفع له اربعة دنانير ودعه يروح عني لوجه الله تعالى فما بقيت احلق رأسي في هذا اليوم فلما سمع ما قلته لغلامي قال لي هذا النحس الخبيث ايش يا مولاي هذا الكلام

ايمان المسلمين تلزمني لا اخذ منك اجرة حتى احلق رأسك ولا بد لي
من خدمتك فانها واجبة علي واصلاح شأنك لازم لي ولا ابالي بعد
ذلك ان اخذت منك شيأ اولم آخذ فإن كنت يامولاي لا تعرف
قدري وحقي فانا اعرف حقك وقدرك لمقام والدك عندي فالله يرحمه
ويطول عمرك فوالله لقد فجع الناس فيه وكان والله جواداً اعظماً كريماً
حليماً سخياً محباً للاخوانه ارسل خلفي مرة في نهار جمعة مثل هذا اليوم
المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من اصحابه فقال انقص لي دماً
فاخرجت الاصطرلاب واخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموماً
لاخراج الدم فاعلمته بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتى يتغير هذا
الطالع واقضي حاجة مولانا ففرح بكلامي وقال والله ان عندك
فضيلة ولو كان احد غيرك لكان اخرج لي الدم وشكرني الجماعته
وحكيت لهم حكايا ظريفة فعجبوا وطرب جماعته منها غاية الطرب فانشد اقول

اتيت الى مولاي انقص دمه * فلم ار وقتا يقتضي صحة الجسم
جلست احدثهم بكل عجيبة * وبين يديه انثر العلم من فمي
فأعجبه مني السماع وقال لي * تجاوزت حد الفهم يامعدن العلم
فقلت له ياسيد الكل في الورى * افضت على الفضل لازلت في علم
لانك رب الفضل والجود والعطا * وكنز العلا في اللطف والجود والحلم

فلما سمع ابوك رحمه الله حكايتي وشعري طرب وصاح على الغلام وقال
أعطه مائة دينار وخلعة فاعطاني ما امر لي به ثم اخذت الطالع
فوجدته جيداً فاخرجت له الدم ثم ان هذا النحس صار يزيد في كلامه
وهذيانه فقلت لا رحم الله والدي الذي عرف مثلك قال فضحك هذا
النحس من كلامي وقال لا اله الا الله سبحان من يغير ولا يتغير ما اظن
الا ان المرض غيرك لا ني اري عقلك نقص والناس كلما كبر سنهم
زاد عقلهم وما اظن الا انك خرفت من المرض والله تعالى يقول والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا

ويُروى عن انس بن مالك انه قال من ارضى والديه فقد
ارضى الله تعالى ومن اسخط والديه فقد اسخط الله تعالى وقال الشاعر

واسى الفقير اذا ما كنت مقتدرا * على الزمان وللاحسان فاغتنم
الفقر داء دفين لا دواء له * والمال ذخر يزين المنطق الشمم
وافش السلام اذا ما جئت في ملاء * والوالدين فكن عونا لبرهم

لكن يا سيدي انت معذور والله تعالى يقول ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج وابوك وجدك ما كانا يفعلان شيئا
الا بمشورتي وقد قالوا في المثل من لم يكن له كبير فليتخذ له مشير
قال الشاعر اذا ما عزمت على حاجة * فشاور كبيرا ولا تعصه
وما تجد احدا ادرى بالامور مني ومع ذلك اني واقف بين يديك
على اقدامي اخدمك وما ضجرت منك فتضجر انت مني فقلت له
يا هذا لقد اطلت علي واوجعت رأسي من كثرة الكلام فبالله عليك
انصرف عني واظهرت له الغيظ واردت ان اقوم وقد دنا مني الوقت
الذي انا منتظره والوعد الذي انا طالبه وانا في كرب من هذا النحس
وكثرة كلامه فقال يا مولاي انا ما اعتب عليك ابدا وانا متعجب منك
الذي رأيتك بهذه اللحية وبالامس كنت احملك على كتفي وامضي بك الى
الكتاب فقلت له بحق الله احلق رأسي وقم عني قال فعند ذلك لما
رآني غضبت اخذ الموسى وسنه وتقدم الى رأسي وحلق منه بعض شعر
ثم رفع يده وقال يا مولاي ان العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن
قال الشاعر تأن ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وخير الامور ما كان فيه التأني واظنك مستعجلا وانت قاصد حاجة
وانا اخشى ان تكون حاجة غير موافقة وامرا غير صالح فاخبرني فان
وقت الصلاة قد قرب ثم رمى الموسى من يده واخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس
وقال بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله يا هذا

اسكت عني فقد ضيقت عليّ الدنيا وقد زهقت روحي منك فتقدم
واخذ الموسى وحلق شيأ يسيرًا ثم رماه وصار يهدر عليّ في الكلام الى
ان مضى ساعتان وبقي ساعة واحدة وخشيت ان تأخرت عن الموعد
لا ادري كيف السبيل في الدخول اليها فقلت له احلق رأسي بسرعة ودع
عنك كثرة الكلام فاني اريد ان اتوجه الى دعوة عند اصحابي فلما سمع
هذا النحس بذكر الدعوة قال انا لله وانا اليه راجعون والله يا سيدي
ذكرتني جماعة ضيوفا عندي وفرادي اصنع لهم طعامًا وما عندي شيء وانت
تحضر لي بجميع ما اطلبه ولا اروح الا واياك وتشرفني اليوم في محلي
وليمتي احسن من وليمة اصحابك فقلت خذ ما تريد واحلق بقية رأسي
ودعني في حالي فان الوقت ضاق ولا لي حاجة في الذهاب الى منزلك واحضر
لي جميع ما طلبه حتى البخور العود وفرادي ان الله يصرفه عني حتى امضي الى مطلوبي
فقال لي يا سيدي وانا الآخر عندي جماعة ملاح زيتون الحمامي وضليع الفامي
وسلطوح الفوال وعكرشة البقال وسعيد الحمال وسويد العتال وحميد الزبال
وابو عكاش البلان وقنبر الخرفان ولكل واحد منهم قصة ان اردت احكيها
لك فاما حميد الزبال فانه يرقص بالطار ويغني على الزمار وفي وصفه قولك

روحي الفداء لزبال شغفت به * حلو الشمائل كالاغصان ميالا
جاد الزمان به ليلا فقلت له * والشوق ينقص مني كلما زالا
اضرمت نارك في قلبي فجاوبني * لا غرو ان اصبح الوقاد زبالا

فامض يا سيدي معي الى اصحابي واترك اصحابك فانك تمضي الى اناس يكثرون
من الكلام فيشوشون عليك واما انا فاني مثل اسمي صامت ولا اكثر الكلام
وكذلك ضيوفي لا يتكلمون كلامًا كثيرًا فاذا توجهت معي اليهم تأنس
بي وبهم في هذا اليوم في منزلي واني خائف عليك من الذين انت قاصدهم
ربما يكون فيهم واحد فضولي فيوجع رأسك وانت قد ضعفت روحك
من هذا المرض فقلت له عز اليوم فان مرادي امضي الى اصحابي وامض انت
الى اصحابك فقال هذا النحس معاذ الله يا مولاي ان اخفي عنك وادعك

تمضي وحدك فقلت له يا هذا ان الموضع الذي انا ماض اليه لا يحمل
احدا يدخله غيري فقال لي يا مولاي اظنك اليوم في ميعاد واحدة من
احبابك واصحابك تريد الخلوة معها لاجل الحظ والخلاعة والانس
والمنادمة والا كنت تأخذني معك وانا احق من جميع الناس واساعدك
على ما تريده وانا خائف ان تكون امرأة اجنبية مخادعة تحتال عليك
وتفعل معك شيأ يروعك فان مدينة بغداد ما يقدر احد ان يعمل
فيها شيأ ووالي بغداد جبار وربما يصدفك معها او يخبره احد بك
فيرمي رقبتك فقلت له يا اخس الناس يا منحوس ايش هذا الكلام الذي
تقابلني به وقد ملأتني غيظا وها هو قد جاء وقت الصلاة فلم يزل يلح
على حتى فرغ من حلق رأسي فقلت له الآن امض الى اصحابك بهذا الطعام
وانا منتظرك الى ان تعود وتمضي معي ولم ازل اداهنه واخادعه
وهو يقول لا امضي الا معك ولا ادعك تروح وحدك حتى حلفت له
اني انتظره الى ان يعود وامضي انا واياه فاخذ جميع ما اعطيته له
وخرج من عندي ثم انه ارسله مع حمال الى منزله واخفى نفسه في بعض الازقة
واما انا فقد قمت من وقتي وساعتي وقد سلم المؤذن وضاق الوقت
فلبست ثيابي وسرت مسرعا وجئت الى ان اتيت الزقاق ووقفت على الدار
التي رأيت فيها الصبية وهذا التعيس المزين خلفي ولم اشعر به فوجدت الباب
مفتوحا فدخلت فوجدت العجوز واقفة خلف الباب تنظرني فطلعت
الطبقة التي فيها الصبية فلم اشعر الا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة
ودخل القاعة واغلق الباب فاشرفت انا من الطاق ورأيت هذا المزين
المنحوس قاتله الله قاعدا على الباب فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون
من اين علم هذا النحس بي حتى ساقه الله تعالى الى هتك ستري ثم ان صاحب
الدار ضرب جارية من جواره فاتى العبد يخلصها فضرب العبد فصاح
العبد فاعتقد هذا الكلب المزين الخبيث انه يضربني فصاح ومزق ثيابه
وحثى التراب على رأسه وصار يقول قتل سيدي في بيت القاضي واسيداه

فاقبل اليه الناس من كل جانب وهو يصيح ثم مضى الى داري والناس
خلفه واعلم اهلي وغلماني وقال لهم سيدي قتل في بيت القاضي فجاؤني
صارخين ناشرين الشعور وهو يصيح قد اهم الله ينصر السلطان
القاضي قتل سيدك فسمع صاحب الدار ضجة الخلق والصراخ والعياط
والناس يقولون له تقتل في دارك اولاد الناس والمزين يقول
واقتيلاه واسيداه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون في وجهه
وهذا النحس يقول الله ينصر مولانا السلطان فقال يا قوم ما هذه
القصة فقال له المزين تقتل سيدنا في دارك وتسألنا ما هي القصة
فقال له القاضي واين سيدك حتى اقتله فقال له هذا الخبيث
المزين انت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن ما بقي له حس
وسبب ذلك انك قتلته فقال له القاضي ومن ادخل سيدك في داري
بغير اذني فقال له انه عاشق بنتك وقد دخلها وانت في صلاة الجمعة
بحكم الموعد الذي اوعدته به فلما جئت ورأيته ضربته وقتلته وما بقي
يفرق بيني وبينك الا السلطان او تخرجه من بيتك في هذه الساعة
فقال له القاضي وقد اعتراه الحياء والخجل من الناس ان كنت صادقا
ادخل انت واخرجه فنهض هذا الكلب المزين النحس الشقي ودخل الدار
فلما رأيته طلبت طريقا اخرج منها او موضعا اهرب فيه فلم اجد غير
صندوق كبير فدخلت فيه ورددت علي الغطا وقطعت الحس
وكتمت النفس فالتفت هذا النحس الشقي الخبيث المزين فلم ير غير الصندوق
في المحل الذي كنت فيه فاتى اليه وحمله على رأسه وقد غاب عقلي وخرج بي
مسرعا فلما علمت انه لا يتركني حملت نفسي ورميت روحي من الصندوق
الى الارض فكسرت رجلي وخرجت فرأيت خلقا على الباب مثل التراب
فصرت انثر الدنانير على رؤسهم فالتهوا عني فحملني غلماني وعبيدي
على عواتقهم وصاروا يجرون بي في ازقة بغداد وهذا النحس المزين
يجري خلفي ويقول الحمد لله يا سيدي الذي خلصتك من القتل وانا وراءك

لا تخاف وما كان لك حاجة بعشق بنت القاضي وعشق النساء صعب
وصار يشنع علي في الاسواق ويهتكني بالكلام الى ان ادخلني غلماني
في خان فقلت للبواب بالله عليك امنعه مني فقام عليه البواب والغلمان
وطردوه ومنعوه وقد زهقت روحي واشرفت على الهلاك واحضرت
فقيها وكتبت وصيتي وارسلتها الى اهلي واخذت معي بعضا من غلماني
وجانب دراهم وسافرت من بلدك بغداد وما دخلت منزلي من الفضيحة
التي حصلت لي بسبب هذا الكلب وحلفت لا اسكن في بلدة فيها هذا
التعيس المزين فلما جئت الى بلدكم هذه احضرت لي طبيبا وصار يداويني
حتى شفاني الله تعالى وحمدت الله على ذلك لكن حصل لي من ذلك الكسر عرج
فهذا اول يوم خروجي من منزلي وقد لاقيتني ودعوتني الى وليمتك
فلما رأيت هذا الشقي جالسا عندكم ما طاب لي الجلوس ولا الاكل
وانما اسأل فضلكم ان تسمحوا لي بان اخرج من عندكم لاجل خاطر هذا
المنحوس وهذه يا جماعة قصتي قال فالتفتوا اليه وقالوا له هذا الكلام
صحيح فرفع رأسه وقال نعم وهو بحمد الله الذي سخرني له فخلصته وانكسرت
رجله فانه كسر رجله اولى من ضرب عنقه فانا قد عملت معه هذا الجميل
لله تعالى فقال له الجماعة الحاضرون قاتلك الله الا ابعد قد هتكت الشاب
وغربته عن اهله وفضحت قاضي بغداد ثم انهم نهروه وشتموه واخرجوه
من عندهم واكرموا الشاب اكراما زائدا وتعجبوا مما فعله معه هذا
النحس المزين وتفرق كل منهم الى حال سبيله * وفي الغالب ان كثرة الكلام
عند ارباب هذه الصناعة عادة معروفة وطبيعة جبلية توجد في كبيرهم
وصغيرهم لكن هذا النحس قد زاد في الثقالة والرذالة وعدم الذوق *
ومن المناسبة لذلك ما قاله العلامة القليوبي في نوادره وهو ما يحكى
عن الفضل بن الربيع انه قال لي الرشيد يوما اطلب منك حجاما اسكت
من الحجر فقلت له ان لي غلاما عاقلا اديبا ظريفا ذا سكينة ووقار
وله معرفة تامة فقال ابعثه الي فبعثته اليه واكدت عليه انه يلزم السكوت

مع الادب ولا ينطق بشيء وان يتأهب احسن اهبة واكثرت عليه
ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسا منقبضا فقال يا فضل
ان لذلك الغلام شأنا وانا لا نراه ابدا بعد اليوم ثم اني سألت فراشا
مختصا به عن خبره فقال يا فضل لما اتى الحاجم جئت به الى امير المؤمنين
لاخراج الدم فلما بدأ بالحجامة قال يا امير المؤمنين اني اسألك عن شيء فقال
له ما هو قال قدمت محمدا على المأمون والمأمون اسن منه فقال له اخبرك
به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسألك يا امير المؤمنين عن شيء آخر
فقال له ما هو قال لم قتلت جعفر بن يحيى البرمكي فقال له اخبرك به اذا
فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسألك عن شيء آخر فقال له قل فقال
لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد اطيب منها فقال له جوابك عن ذلك
اذا فرغت فلما فرغ دعا مسرورا خادمه وقال له لا تشرب الماء البارد
قبل ان تقتله فانه سألني عن ثلاث مسائل لو سألني عنها المنصور ما اجبته
قال الفضل فبينما انا جالس اذ دخل ابو دلامة على الرشيد باكيا وقد تواطأ
مع ام دلامة انه يدخل على الرشيد وهي تدخل على زبيدة فلما مثل
بين يديه بكى وانتحب فقال له الرشيد ما بالك تبكي فقال

وكنا كزوجي قطا في مفازة * من الامن في عيش رخي وفي رغد
فافردنا ريب الزمان بصرفه * ولم ار شيئا قط اوحش من فرد

ثم اعلن بالنحيب والعويل وقال يا امير المؤمنين ماتت ام دلامة
وانا محتاج الى تجهيزها فأمر له بمال وكانت ام دلامة قد دخلت على
زبيدة وهي باكية فقالت لها زبيدة ما بالك فقالت ان ابا دلامة
مضى لسبيله فاعطتها مالا تجهزه به وذهبت فدخل الرشيد على زبيدة
وهو مغضب من اسئلة الحجام وموت ام دلامة فقالت له زبيدة
يا امير المؤمنين ما لي اراك حزينا فاخبرها الخبر فضحكت وقالت
الآن خرجت ام دلامة من عندي لتجهيز ابي دلامة فضحك هو ايضا
وقال والآن خرج من عندي ابو دلامة لتجهيز ام دلامة قال الفضل

فخرج علينا الرشيد مسفراً مستبشراً مستغرقاً في الضحك فعجبت منه كيف دخل حزيناً وخرج مسروراً فاستخبرته فأخبرني بما حصل فشفعوا حينئذ في الحجام فقبل شفاعتي وأطلقه واستحضر أبا دلامة وقال له أحملك على هذا فقال له يا أمير المؤمنين لكي يقال انه لا يتوصل الى عطاء أمير المؤمنين الا بالحيلة وضحكا جميعاً من ظرافة حيلتهما * وقد علمت ان المزينين أقل الناس عقولاً وأفسدهم رأياً فلا ينبغي لعاقل أن يطلعهم على أسراره ولا يشاورهم في أمر من أموره فانهم لا يحفظون الاسرار ولا يكتمون الأخبار فالأولى اجتنابهم وعدم الركون اليهم واذا احتاج الانسان الى المشاورة فليشاور حكيماً عليماً خبيراً قد جرب الأمر فان المشاورة مطلوبة شرعاً * قال العلامة الباعيني في تفسيره أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه وهو غني عنها فقال تعالى وشاورهم في الأمر وهو تشريع للأمة وقد أثنى الله على عباده بالمشاورة فقال تعالى وأمرهم شورى بينهم * وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كانت أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها واذا كانت أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم الى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها رواه الترمذي عن أبي هريرة وأنشد أبو القاسم الحسيني قال أنشد في أبو عثمان

اذا كنت في حاجة مرسلاً * فأرسل حكيماً ولا توصه
وان باب أمر عليك التوى * فشاور حكيماً ولا تعصه
ونص الحديث الى أهله * فان الأمانة في نصه
اذا المرء أضمر خوف الاله * تبين ذلك في شخصه

(وأنشد أبو القاسم الحسن قال أنشدنا أبو بكر محمد بن المنذر قال أنشدنا أبو سلمة المؤدب) (شاور صديقك في الخفي المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل
فالله قد أوصى بذاك نبيه * في قوله شاورهم وتوكل)

وقال يحيى البرمكي ثلاثة تدل على عقول الرجال الهدية والكتاب والرسول * وسمع أبو الأسود الدؤلي رجلاً يقول اذا كنت في حاجة مرسلاً * فأرسل حكيماً ولا توصه فقال قد أخطأ قائل هذا البيت أيعلم الرسول الغيب وان لم توصه أنت فكيف يعلم ما في نفسك ثم انه قال اذا أرسلت في أمر رسولاً * ففهمه وأرسله أديباً

ولا تترك وصيته بشيء * وان هو كان ذا عقل (رسا) فان ضيعت ذلك فلا تلمه * على ان لم يكن عالما بالغيب
ثم ان الناظم عزم على مشايخ الكفر باسمائهم فقال

ص * (ويجلس بجنبي ابن جرو وكلخره * وابن كل النضيف وضيف)
* (وابن فسا التيران وابن خرالحس * وفلوط والزبله وابن كنيف) *

ش قوله (ويجلس بجنبي) اى هؤلاء المشايخ يعني مشايخ بلد الناظم الذين افتخر بذكرهم واجرى اسماءهم على لسانه والمعنى انه يقول اذا ترلت من المدينة وانا مكبي لبيتي وشذا مشنيا وانا كما الكلب المتقدم ذكره واتي الى مشايخ البلد المذكورو وجلسوا بجانبي وهم ثمانية رجال الاول (ابن جرو) الثاني ابن (كلخره) والثالث (ابن كل العتك النضيف) اى المتراسل بعضه اثر بعض حتى يعلي القفا مثل علم سيد احمد البدوي ونحوه وقيل الصك النضيف شرطه ان يكون من رجل بيد ويكون قفا الشخص مصلحا خاليا عن شئ يمنع عنه الصك بلا فلا ويراسله بالصك بسرعة وعجلة حتى يحمر قفاه فعلامة نضافة الصك احمرار القفا وورمه * حكي ان ابا نواس نادم امير المؤمنين هارون الرشيد ليلة فانعم عليه بجارية وامر بحملها معه وقال لها اذا طلب منك الحاجة صكيه وكلما اراد ذلك زيديه من الصك فلما وصل الى منزله واراد منها الفعل نزلت في قفاه ركا هكذا الى الصباح فلما اصبح اتى الخليفة وهو في غاية ما يكون من الالم لا يقدر ان يلتفت يمينا ولا شمالا فقال له الخليفة كيف كانت ليلتك يا ابا نواس مع الجارية فقال له يا امير المؤمنين كانت طيبة الا ان مولاتنا عودها عادة قبيحة فضحك منه وانعم عليه بمال وغيره * وقوله (وضيف) هذا فعل امر على لغة اهل الرياقة في كونهم يثبتون حرف العلة في فعل الامر كقولهم في قم قوم بالواو وفي ضف ضيف بالياء وفي نك نيك بالياء والمعنى انه يقول له ضف الصك على الصك اى اجعله متتابعا لا ينقطع بعضه عن بعض حتى لكثرته يصير كانه ضربة واحدة فان للمضاف والمضاف اليه كالشئ الواحد ويحتمل ان يكون قوله وضيف من الضيافة واتى به لتمام البيت (و) الرابع (ابن فسا التيران) سمي بذلك لان اباه كان انقطع مدة في داء لمرض اعتراه وهو كثرة الفساء فاتخذ له محلا بين التيران يسمي طوالة وصار يفسي فيها

ليلاً ونهاراً فصار كلما شم احدٌ رائحته يقول له ما هذا فيقول فسا ابن آن
فسمي بذلك (و) الخامس (ابن خرا الحسن) سمي ابوه بذلك لكثرة تحسنه من
الجلة وهو صغير وقيل قلع عرقيته ووضعها على الارض وصار يخرا فيها
حتى ملاها وصار يلحس من حواليها فسمي بذلك (و) السادس (قلوط)
مشتق من القلط على وزن الضرط والملط يقال فلانٌ غلظ قلوطه
بمعنى انه شبع من الرزق وبغى في الكفر عظيم الامر يجلس مع النصارى الى ركبه
بركيه ويلبس اللوطا الاحمر والشد المشنبر (و) السابع من مشايخ البلد
(الزبله) سمي بذلك لانه كان في صغره مشغولاً بلم الزبل من محل مراح الغنم
ومن السكك والكيمان وبيعه وكان هذا سبباً لسعدنيا وكان بينه وبين قلوط
صداقة في البلد فكان قلوط دائماً فيها لا يفارقها والزبلة تارة يسافر
وتارة يقعد فيها وكان قلوط هذا في وسطها سواء بسواء والزبله في طرفها
وكانوا ايها دون بعضهم بعضاً وبينهم محبة ومودة واتحاد غالباً ومناسبة
لان الزبلة قريبة من القلوط وان كان القلوط ارفع منها لكن ابن خرا
الحسن اعظم واكبر من الكل واشهر من الجميع ولذلك اذا ناديت احداً منهم
في البلد يغلب لسانك الى خرا الحسن ونحن في وجهك* ومن النوادر ان
بعض الولاة من المغفلين قال لكاتبه اكتب لفلان واغلظ عليه وقل له يا خرا
افعل كذا وكذا فقال له الكاتب يا مولاي لا يصلح هذا الكلام لهذا الرجل العظيم
القدر لانه من ارباب العظمة فقال له حيث كان الامر كذلك الحس موضع الخرا
بلسانك ولا تخل فيه اثراً (و) الثامن (ابن كنيف) وكان شهيراً موصوفاً معروفاً
يقصده جميع الناس من كل جهة ويقابلونه بوجوههم يتعاطى مصالح البلد
وكان نديماً للقلوط وابن خرا الحسن الا ان ابن خرا الحسن كان محبوب ابن كنيف
في الصغر فلما كبر صار ابن كنيف نديماً لهذه الجماعة المذكورين ولا يستغنون
عنه كما قال بعضهم مواليا (وطواط عشق خنفسا وضع بها محبوب* وبنا لها قصر حوابيت خلا
من طوب* وحضر النقل والمأكول والمشروب* ما النديم الا خرا الذي المحبوب* ثم ان الناظم لما تمنى
ان يجتمع عنده هؤلاء الجماعة يحصل له بهم السرور والفرح وينشرح بهذه اللمة عنده قال

ص *(وافرح بالنعمة وبسر خاطري * وهذا مرادي يا ابن بنت عريف)*

ش هذا كله خطاب لابن بنت عريف المتقدم ذكره اي انه يرجو من الله ان يبلغه مناه من سرقة الزرابين المتقدمة ويمن عليه حتى ينزل من المدينة بلده ويكرم ويشير ويكون له مقام في البلد ومقال بين الناس ويجتمع عليه شيوخ البلد المتقدم ذكرهم ولا يحتاج لاعادتهم فان الاعادة ليس فيها افادة وقد عرفت اسماءهم باللفظ والذوق وملخص القول ان الناظم يقول ان حصل لي هذا فهو غاية مطلوبي ومرادي من الدنيا وتمام مرغوبي من اللذات فاني قد كبرت والزوجة صارت عجوزا عقيما واذا من الله تعالى علي بما طلبته يبقى رزقا وافرا في على الله تعالى انه رزاق كريم يرزق الطائع والعاصي والبر والفاجر وانا على حد قول القائل (يا من طلب رزق ونالو * وروان في رزق امر اتي) (ثم في الرجا مترح ذوقك * لابد لك من خير آتي) او انه اختص بالطالب لنفسه وقال لعله المرأة تاكل خرا والف دقن ولا دقني (ثم انه ختم كلامه بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال

ص *(واختم قصيدي بالصلاة على النبي * نبي عربي مكي شريف عفيف)*

ش قد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره وفي شفاء لابن سبع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا من الصلاة علي فانها تطفئ غضب الرحمن وتوهن كيد الشيطان والاحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة وبالجملة فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مسنونة عقب الدعاء وقال الشيخ الملا في شرح ام البراهين ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة من كل مؤمن ودليل ذلك ما روي ان جبريل عليه السلام قال للرسول صلى الله عليه وسلم ان من الاعمال مقبولا ومردودا الا الصلاة عليك فانها مقبولة وقد ذكروا ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلها رياء فهي مقبولة بلا شك وقد روي ان الدعاء موقوف بين السماء والارض حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم في ابتدائه وفي انتهائه الى آخره قال وروي عن ابي بكر رضي الله عنه ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد وان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب في مقابلة العتق من النار ودخول الجنة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلة سلام الله تعالى واجل من الجنة فناهيك بها من منة قاله في كشف الاسرار * وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا

من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله
كيف نقول قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم
وان كان رواه الدارقطني وحسنه العراقي كما في مسالك الحنفاء وذكره السيوطي
مقيدا له بكونه بعد العصر والله اعلم *(خاتمة)* في ذكر نوادر متفرقة
نختم بها الكتاب وان كان قدم منها البعض استطرادا لمناسبة الكلام لبعض انواع
(قيل) تزوج بعضهم بامرأة مات عنها خمسة ازواج فلما مرض هذا السادس
صارت تبكي وتقول الى من تكلني بعدك فقال لها الى السابع الشقي (ويحكى)
ان بعض الظرفاء كان يكثر من الشراب سرا وكان عليه حجر من ابيه فبلغ والده ذلك
فما زال يتبع اخباره الى ان رآه ومعه زجاجة ملآنة من الخمر فمسكها وقال له ما هذه
فقال له هذا لبن فقال ويحك اللبن ابيض وهذا احمر فقال الولد صدقت
انه كان ابيض فلما رآك خجل واستحى واحمر ولعن الله من لا يستحي فخجل ابوه وتركه وانصرف
(ويحكى) ان بعض الظرفاء كان اذا غضبت زوجته بادر الى رفع رجليها واشتغل
بنكاحها فقالت له يوما انا كلما يشتد غضبي عليك تأتيني بشفيع معك لا استطيع رده
(وقيل) دخل رجل مجنون على قاض وهو ماسك ايره وقال السلام عليكم ورحمة الله
فقام القاضي وكشف عن استه وأداره الى المجنون وقال وعليكم السلام قال تعالى
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ما لهذا السلام الا هذا الرد (وحكى)
ان الاصمعي قال كنت يوما عند الرشيد فقال لي من عندك يؤانسك فقلت له
ليس عندي احد فلما ذهبت الى منزلي ارسل لي جارية بديعة الحسن والجمال آنستني
بكلامها واسمعتني عذب قراءتها من بدائع الحركات المطربة المهيجة لسواكن الشهوة
التي توقظ النائم وتنعش الفؤاد فلاعبتها ولاعبتني حتى مالت نفسي اليها ورغبت
في الركوب عليها وخلعت ثيابي وسألتها ان تخلع ثيابها فخلعتها وهي تتنفس
تنفس السقيم وتأخذ القلوب بكلامها الرخيم ولبسنا ملابس الشراب واحضرنا
المآكل والمشارب واكلنا وشربنا وتفكهنا واردت ان اهم فاعتراني من الفتور
وعدم الانتصاب ما كدر خاطري وافسد علي ليلتي فتحيرت في امري وصرت
لا ادري ما افعل واكثرت من ملاعبتها حتى صار يتقلب ايري بيدها فلم يزدد الا فتورا وارتخاء

وحصل له انكماش حتى صار كالميت الذى لا حركة فيه فعظمت حسرتى
وصرت منها فى حياء وخجل فلما آيست منه قالت يا سيدى دع ايرك فما لنا فيه
حيلة ولا تنفع فانه ميت ثم قامت وقالت لى نم على ظهرك حتى اغسله واكفنه فخجلت
منها ولم اقدر اخالفها ونمت لها كما طلبت فمسكته بيدها وغسلته وكفنته
بمنديل ثم قالت لى قم صل عليه فقمت وانا فى غاية الخجل فتوضأت وصليت الصبح
وسرت من وقتى الى الرشيد فقال لى ما خبرك فقلت له يا امير المؤمنين حكاية
غريبة واخبرته بما حصل لى معها فضحك حتى استلقى على ظهره وقال لى نحن احوج
اليها منك لصغرها وفطانتها فاخذها منى وعوضنى جارية غيرها وعشرة آلاف
درهم وحظيت عند الرشيد وسميت من يومها بالاصمعية (وقيل) كان رجل نحوى
اسمه زيد فرأى غلاما اسمه بكر فلما اختلى به قال له يا ولدى حرك الاير حركة الاعراب
فانه فاعل بلا ارتياب ومده الى استك كالمد المتصل واجعل الهمزة آلة لئلا ينفصل
واطال الكلام فى هذا المعنى فدخل عليه رجل يسمى عمرا فصك زيدا وقال له
اعرب ضرب عمرو زيدا فقام الولد وهو يجر ويقول واعرب وخرج بكر هاربا
(وقيل) مرض رجل نحوى وكان بعيدا عن اهله فرأى غلاما يعرفه من اولاد
جيرانه فقال له امض الى اهلى وقل لهم ان فلانا قد اصابه داء اوجع ركبتيه
وآذى خصيتيه واسقم بشرته وزاد علته واسهر مقلته واجرى عبرته وصار
يكثر على الغلام من هذا الكلام فقال الغلام يا سيدنا اقصر انا اقول هلك
قديما ولا يحتاج لهذا الكلام (وقيل) احتضر بعض البخلاء فقال له ولده اوصنى
فقال اذا جلست على مائدة الاكل وتكلم معك انسان فلا ترد على قول نعم ولا
تكررها فانك اذا كررتها ثانية فاتتك مضغة ثانية بتحريك فمك بها
(وقال بعض الطفيلية) اذا طلعت الشمس على الفقير ولم يتغد نادى مناد
من سماء سقف حلقه الصلاة على جنازة الغريب (وقيل) جاء رجل الى امرأة
بلحم فقال لها اطبخى بعضه فانه ينفع البطن واقلى بعضه فانه ينفع الظهر
واشوى بعضه فانه ينفع الجماع فقالت له يا رجل ما عندنا قدر ولا حطب
والاولى اننا نشوى الجميع (ووقف بعض النحاة) على قصاب وقال له هذا اللحم

من الضأن الفتي او من المعز الثني فقال له القصاب هو من خيار الضأن
قال له النحوي اذبحته لغرض ام لمرض فقال له حتى تبلغ انا وعيالي منه
قال النحوي اكان ذكرا ذا خصيتين ام انثى ذات حلمتين قال له الجزار كان ذكرا
ينطح الحائط برميه قال النحوي اكان يمج الماء بشدقه ام بمنخره بشفتيه
قال كان يدلي ذلومه في الماء ويشرب حتى يشبع قال النحوي اكان رعيا الشيح
والبعيثران ام العصف والريحان قال كان يرعى من نبات الارض كله قال له النحوي
استنت شفرتك وحددت مديتك قال جعلتها لو وقعت على فخذ الابعد لقطعتها
قال النحوي ابدأت بالتسمية واظهرت الحيعلة التي هي على وزن فيعلة على قول
بعضهم وقال بعضهم هي على وزن فعللة والصحيح الاول فقال القصاب الغلام
هات الجلد حتى اقطعه على اكتاف هذا النحس الذي عطلنا وقطع رزقنا فلما سمع
النحوي منه ذلك شتمه وهرب (وحكي) ان بعض الشعراء امتدح بعض
الرؤساء بقصيدة فرسم له ببردعة حمار وحزام فاخذهما على كتفه وخرج
بهما فمر به بعض اصحابه فقال له ما هذا قال اني مدحت مولانا الامير بقصيدة
من احسن القصائد فخلع علي خاصة من احسن ملابسه فبلغ الامير ذلك فضحك
وارسل له خلعة واجازه بجائزة حسنة (وحكي) عن الاصمعي انه قال
رأيت بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال اسود فقلت لها ام الك
قالت مكة فقلت ما هذه النقطة السوداء قالت الحجر الاسود فقلت لها
قصدا ان اطوف بالبيت واقبل الحجر الاسود فقالت فيهما لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس فاخرجت لها صرة فيها بعض دنانير وناولتها اياها فقالت
ادخلوها بسلام آمنين ان شئت فقبل الحجر الاسود وان شئت ادخل الحرم
قال فاذهلني حسنها وجمالها (قيل) سافر رجل مع جماعة وفيهم امرأة جميلة
ومعها ولد جميل فزنى الرجل بالمرأة ولاط بالولد فقالت المرأة للولد اعرفه
فلعلنا ان رجعنا نظفر به ونعرضه على الحكام فقال لها الولد اما انا
فكان ظهري لوجهه واما انت فكان وجهك لوجهه فعرفتيه ابلغ من معرفتي اياه
(ومات مجوسي) وعليه دين وترك ولدا له دار فقال بعض غرماء الميت لولده

لم لا تبيع دارك وتسدد دين أبيك وتخفف بها شينه فقال الحمار يا والدي إذا
بعت داري وقضيت دين أبي هل يدخل الجنة فقالوا لا قال دعوه في النار
وأنا في الدار (وقال المأمون) ليحيى بن أكثم وهو يعرض له من الذي يقول هذا البيت
قاضٍ يرى الحد في الزنا ولا * يرى على من يلوط من باس فقال له القاضي يحيى أوما يعرف أمير
المؤمنين من قاله قال لا فقال يحيى هو من قول الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي قال
أميرنا يرتشي وحاكمنا * يلوط والرأس شر ما راسي لا أرى الجور ينقضي وعلى الأمة والٍ من آل عباس
فأفحم المأمون وسكت خجلا (وأرسل بعض المغفلين إلى صديق له هذه الأبيات)
إذا ما ذكرتك يا منيتي * يسيل المخاط على لحيتي وليتك عندي إذا ما خريت * تكون لسانًا في ثقبتي
نسيمك عطر وماء السما * وأورثني الويل في ركبتي إذا لم تزرني أنا مزنف * فإن الهوى سهل معدتي
ومما ينسب للحريري رحمه الله تعالى صديقك في هذا الزمان منافق * وخلك خل دعه واحذر بوائقه

ونافق فقد آن النفاق ولا تقف * كسادًا فأحوال المنافق نافقة
وعرّض وقدّ وأظلم وبالفحش فافتخر * فما رفعت دنياك حرًّا ولا ثقة
وما فيك غير الدين عيب ولن ترى * بدهرك إلا ملحدًا وزنادقة

ومثل ذلك قول الأبوصيري الأديب عفا الله عنه

ستة في الهوى فعلهم * بعد الموت بهم تذكر تحول وعرص وافسق * وغن وقامر واسكر
ونختم هذا الكتاب بأبيات * من بحر الخرافات * فنقول

تم كتاب الهلس والتحريف * وما جرى في وصف أهل الريف
جعلته جزءين باختصار * فجاء كالزبلة في التيار
لكنه مع ثقل المعاني * وخبط عشوي يا ذوي العرفان
ولفظه الكثيف في المقال * وحشوه مسائل الهبال
أبحاثه جاءت كما الحس الخرا * يا وجه الأصحاب حقيقًا لا مرا
فليس يخلو جمعه من فائده * من نكتة أو قصة مشاهده
وأصل ما الجاني لفعله * وشرحه ونسخه ونقله
العارف الحبر وحيد الدهر * وعالم الإسلام زاكي الفخر
شيخ إمام مصدر الطلاب * وروضة العلوم والآداب

ومعدن الجود مع المطلوب * اعني الاحامرا محمد المندربي
جزاه رب العرش جنات النعيم * مع النظر لوجه مولانا الكريم
والله يرحم من قرا كتابي * هذا ويرشده الى الصواب
ومن رأى فيه عيوبا وخلل * وسدها فالشخص معذ الزلل
ولا تلمني فالسماح افضل * واعذر اخاك مكرها يا بطل
والحمد لله على التمام * ثم صلاة الله مع سلام
على النبي الهاشمي احمدا * والآل والاصحاب انجم الهدى
ما غردت ساجعة الاطيار * اولاح برق في دجا الاسحار

وكان طبع هذا الكتاب المنظوم في سلك كتب المفاكهة
بين الاصحاب * على ذمة المطبعة السعدية * الكائنة
بثغر الاسكندرية * مصححا على اصله المطبوع
مع زيادة الدقة من مصححه الفاضل *
النحرير الصالح الكامل * حضرة مولانا
الشيخ محمد يحيى السعدي فجاء بحمد الله
يفوق في الصحة عن اصله * وناهيك
بالثقة في مصححه الرئيس وفضله *
وذلك في غرة شهر الله رجب
من شهور سنة ١٢٨٩ هجرية *
على صاحبها الصلاة
والتحية * ما لاح بدر
تمام * وفاح
مسك
ختام *
م

